الدكتور طه حبيشى
أستاذ بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر

ولد الهدى ﷺ

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ.

وبعد: فلقد بدأ هذا العام الهجرى المرقوم بالخامس والعشرين بعد المائة الرابعة والألف الأول من هجرته ﷺ.

وكانت بداية هذا العام كسائر الأعوام تتزر بهذا الإزار الحسن الذى ترتاح إليه كل عين، ويأنس له كل فؤاد.

لقد بدأ هذا العام الهجرى كسائر الأعوام بداية على رأسها ضوء القمر يتلألأ كوكبًا دُريًّا وسط كون يحتاج إلى هذا الضياء، ويشتاق إلى هذا اللمعان.

وما هذا الإزار الحسن، وما هذا الكوكب الدرى إلا هذه الذكرى العطرة التى تتخلل كل خلية من خلايا أرواح المؤمنين فتغمرها بالفرحة وتشملها بالأمل، وتلوح لها بالمستقبل الآمن إذا هى سارت على درب صاحب هذه الذكرى، وتابعت السير على منهجه، وترسمت هداه.

وما هذا الوعد بكلام بشر، وما هذا الوعد بحديث نفس.

إنه ليس بكلام بشر يخطئ ويصيب، وليس هو بحديث نفس يرغب صاحبها من خلال هذا الحديث أن يهرب من هذا الواقع الأليم إلى خيال وردى حالم.

إن هذا الوعد ليس بحديث بشر، وليس بحديث نفس، وإنما هو وعد من الله عز وجل، ووعده لا يتخلف، فهو القائل ولا راد لقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ*وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ*وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ*لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (النور:٥٤: ٥٧).

وقد ينظر بعض الخلائق إلى هذا الوعد فاغرًا فاه وهو يقول: إنى لأعجب غاية العجب حين أتأمل هذا الوعد الإلهى الذى لا راد له، وأتأمل معه واقعًا إسلاميا مريرًا أحاطت بالمسلمين مآسيه، وأحاطت بالمسلمين مشاكله ودواهيه.

وهذه الإحاطة التى نراها فى الواقع ليس يشبهها شيء قدر ما يشبهها إحاطة السوار بالمعصم، أو إحاطة حبال المشنقة برقاب الآثمين.

ويتابع هذا المتأمل فى الواقع وفى النص كلامه قائلا: إنى لا أرى أمامى إلا أمة مسلمة قد أحاط بها أهل الأرض واجتمعوا عليها، كما يجتمع الأكلة النهمون على طعام شهى، يجذب إليه الأنوف والأذواق والأعين، كأنه هذه المائدة التى نزلت من السماء حين طلبها الطالبون أيام سيدنا المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ولن تتكرر بعد ذلك.

ويقول المندهش وما زال فمه فاغرا: وإنى لأنظر على مد البصر فلا أرى أمامى أملا فى انفراجة وشيكة، ولا سببًا يرد المعتدى عن عدوانه، ولا يقظة تدفع المسلمين إلى القيام بواجبهم فى الدفاع عن ذواتهم وأرضهم وعشيرتهم وأجوائهم ومياههم لإثبات شخصيتهم والإبانة عن مكانتهم بين العالمين.

وما كان لى ولا لغيرى إلا أن يوافق هذا المتأمل فى بعض ما ينظر فيه.

ولكننا لا نوافق هذا المتأمل فى يأسه الذى انتهى إليه.

لا شك ياصاحبى أننا نرى بعض المسلمين قد أحاطت بهم خطيئتهم فصرفتهم عن اتباع صاحب هذه الذكرى والسير خلفه، فلم يحققوا فى أنفسهم شرط التمكين فى الأرض.

وهؤلاء الذين قد أحاطت بهم خطيئتهم، ليس لنا إلا أن نسأل الله أن يردهم إلى الإسلام مردًّا جميلا.

وفريق آخر قد انتابهم بعض التقصير، ولوث مسيرتهم بعض الغفلة فانصرفوا عن الدين بعض الانصراف.

والأمل منعقد فى هؤلاء أن تردهم الشدائد، وأن يعودوا إلى دينهم غيورين عليه، نشطين فى الذب عنه.

وفريق من المؤمنين لا يرضون بغير هذا الدين بديلا، حيث إنهم يدركون أن عزهم فيه، ويحسبون أنهم مقصرون، فيصلون ليلهم بنهارهم يتأملون أحوالهم فى صمت، ويراجعون أمورهم مع الله فى دقة.

وماذاك إلا لأنهم يريدون أن يدور هواهم مع هوى الشرع حيث دار، يسبغ الله عليهم من رحمته ويمددهم بمدد من فضله.

ولو أن المسلمين حققوا فى أنفسهم شروطًا اشترطها الله عز وجل للتمكين لهم لمكن لهم فى الأرض، وحفظ لهم بيضتهم، ومنحهم مكانتهم التى ارتضى لهم.

والمتأمل فى زماننا هذا يجد حالة مشابهة لتلك الحالة التى سبقت مولد الهدى من التضييق على الناس فى الأمن والرزق، حيث تتهدد المجتمعات الآمنة سلطات واعتداءات أمة باغية، فتحاول أن تستلب أمنهم وأرزاقهم بغير حق.

وحين حدث ذلك فى عام مولد النبى ﷺ، وجدنا هذا المؤمن الصادق الإيمان يقابل غطرسة صاحب الغطرسة بهذه الإحالة العجيبة: إنا قوم لا نرهب غيرنا، لكن الواقع أننا أرباب الإبل وللبيت رب يحميه.

وحين رفرفت الذكرى على مثلى فى هذا العام، فإن آثارها تنضح بالأمل على نفوسنا أن تعود الأمة الإسلامية إلى نفسها فتتوحد، وأن تعود إلى دينها فتتمسك به، وأن تعود إلى قيمها فتحييها بين أفرادها فى مجتمعها عملا حيا يمشى على الأرض.

ولو حدث ذلك لجاء معه وعد الله مرتبطًا به ارتباط الشرط بمشروطه، فوعد الله لا يتخلف.

وإنها لبشرى للمؤمنين حينئذ.

ونسال الله عز وجل أن يجعل هذا العام عام خير وبركة، وأن يرفع به راية الإسلام عالية فى العالمين، وأن يجعل كيد كل ماكر فى نحره.

وأقول لأمتى بمناسبة مولد الهدى: كل عام وأنتم بخير.

المؤلف

أوساطٌ مناسبةٌ لمولدٍ عظيمٍ

أتمت آمنة حملها على خلاف ما يتم الحوامل حملهن ؛ فهى لم تجد لحملها وجعًا ولا ألمًا، وهى لم تجد لحملها عرضًا من أعراض الحمل، كما تجد ذلك بنات حواء.

أتمت آمنة حملها وقد كتب عليها أن تعيش فترة الحمل وحدها بعد أن رحل زوجها فى سَفْرَةٍ لا يعود منها الذاهبون.

أتمت آمنة حملها ولم يسجل التاريخ عنها أنها اشتكت من أعراض الحمل، كما لم يسجل التاريخ عنها أنها اشتكت آلام الوحدة.

وأغلب الظن عندى – بل هو اليقين المقطوع به – أن الذى أذهب عنها آلام الحمل هو الذى أذهب عنها شبح الوحدة المخيف، فعاشت أيامها سعيدة تعاودها الرؤى المرة بعد المرة، وهى تستبشر المرة بعد المرة بما تراه فى منامها من محدث وما تسمعه من كلام.

وقت المولد:

وكثيرون من أهل العلم يقولون: إن آمنة قد فاجأها المخاض بعد انفجار الفجر وفى أوائل استقبال ضياء النهار.

والذاهبون إلى هذا الرأى يعضد رأيهم أحاديث صحيحة كلها، تؤكد بظاهرها وبدون احتياج إلى تأويل أن النبى ﷺ قد ولد لأول النهار.

وقد استشكل بعضهم هذا الذى ارتآه الجمهور بما ورد من دنو النجوم عند مولده إرهاصًا بنبوته وتبشيرًا برسالته.

وانقسم القائلون بأن النبى ﷺ قد ولد نهارًا فى دفع هذا الإشكال إلى قسمين:

أما أحدهما: فقد استسهلوا الجواب حين قالوا: إن النجوم لم تدن يوم مولده.

وقبلوا تعليل المعترضين بأن النجوم لا تنزل نهارا.

وعليه فإذا كان النبى ﷺ قد ولد نهارًا فإنهم يرفضون ما روى من آثار تؤكد دنو النجوم لحظة ميلاده ﷺ.

وأما ثانيهما: فإنهم يقولون: إننا نقبل هذه الروايات التى تقول بدنو هذه النجوم فى

لحظة مولده وتدليها، ونرفض الإشكال المثار والاعتراض الذى وجه إلى هذا الرأى ؛ لأن الأساس الذى يعتمد عليه هذا الاعتراض لا يثبت، ذلك أن العصر الذى ولد فيه رسول الله ﷺ هو عصر إرهاصات، وعصر التبشير بنبوته.

والإرهاصات ليست سوى أمور تخالف المعتاد الذى تعوده الناس والأشياء، تحدث فى الكون دون ادعاء لنبوة أو رسالة، وليس لها من دلالة إلا التبشير بالنبوة والرسالة.

وتدلى النجوم يوم ميلاد الرسول ﷺ، إنما هو من نوع هذه الإرهاصات التى تمهد لنبوته، وتهيئ الناس للتصديق بها.

ولا مانع بعد ذلك أن تدنو النجوم فى أى وقت كان من ليل أو نهار.

هذا ما قالوه.

أما أنا فإنى أقول: إنه لا ارتباط بين تدلى النجوم وبين الليل أو النهار إلا فى مرأى العين ؛ وذلك لأن النجوم أجسام مضيئة، وهى موجودة فى مداراتها، فإذا ما أظلم الكوكب الأرضى أو جزء منه رأى المقيمون على هذا الجزء ضوء هذه النجوم.

فإذا غلب ضوء النهار وتغلبت أشعة الشمس المتشتتة على هذا الكوكب الأرضى، أو المنعكسة عليه، صعب مع هذا الضياء رؤية هذه النجوم، لبعدها من ناحية، ولتغلب أشعة الشمس المنعكسة أو المتشتتة على الكوكب والأفق من ناحية أخرى.

فإذا تدلت هذه النجوم وقربت، ربما تغلبت بضوئها على أشعة الشمس، أو كافأتها، أو نقصت عنها قليلا، أو ما سوى ذلك من الاحتمالات التى فى جميعها يتمكن الإنسان بالعين المجردة من رؤية ضوء هذه النجوم والإحساس بتدليها.

لقد ولد النبى ﷺ إذا نهارا، ولم يولد النبى ﷺ فى ستار من الليل تلفه ظلمته، ويحيط به سكونه.

نقل صاحب سبل الهدى ما يفيد هذا الجزم الذى جزمنا به من أن النبى ﷺ ولد نهارا.

قال: روى [الأربعة عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال: ولد رسول الله ﷺ عن ابنهار النهار].

ثم حكى عن ابن دحية أنه جزم به.

وعنده أن الزركشى قد صححه فى نهج البردة.

وذكر ابن دحية أن تدلى النجوم عند ميلاده والقول به ضعيف، لاقتضائه أن الــولادة كانت ليلا.

وما ذكره ابن دحية لا يوافق اتجاه الزركشى، ولا يقنعه التعليل الذى علل به.

قال الزركشى:وهذا لا يصلح أن يكون تعليلا فإن زمان النبــوة صـــالح للخــوارق، ويجوز أن تسقط النجوم نهارًا [(١)].

يوم المولد:

هذا هو كلامنا فى الوقت الذى ولد فيه رسول الله ﷺ، ذكرنا لك فيه رأى الجمهــور، ورأى المخالفين للجمهور، وما اخترناه من بين ذلك.

أما اليوم الذى ولد فيه، ففيه كلام يشبه الإجماع على أن النبى ﷺ ولد يوم الاثنين.

وهذا الكلام الذى يشبه أن يكون محل إجماع العلماء أيدتــه النصــوص الصــحيحة الواردة فى أصح الكتب بعد القرآن الكريم.

فلقد أخرج الإمام مسلم بالسند من طريق شعبة إلى أبى قتادة الأنصـــارى رضـــى الله عنه: [أن رسول الله ﷺ سئل عن صومه؟ قال: فغضب رسول الله ﷺ.

فقال عمر رضى الله عنه: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا، وببيعتنا ببيعة.

قال: فسئل عن صيام الدهر؟ فقال "لا صام ولا أفطر (أو ما صام وما أفطر) "قـــال: فسئل عن صوم يومين وإفطار يوم؟ قال: ومن يطيق ذلك؟ "قال: وسئل عن صـــوم يـــوم وإفطار يومين؟ قال: ليت أن الله قوانا لذلك "قال: وسئل عن صوم يوم وإفطار يوم؟ قـــال: ذاك صوم أخى داود (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال: وسئل عن صوم يوم الاثنين؟ قال: ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت "أو أنزل على فيه "قال: فقال "صوم ثلاثة من كل شهر، ورمضـــان إلـــى

---

(١) راجع سبل الهدى والرشاد جـ١ – ص٤٠١، ٤٠٢.

رمضان، صوم دهر" قال: وسئل عن صوم يوم عرفة؟ فقال: "يكفر السنة الماضية والباقية" قال: وسئل عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال:"يكفر السنة الماضية".

وفى هذا الحديث من رواية شعبة قال: وسئل عن صوم يوم الاثنين والخميس؟ فسكتنا عن ذكر الخميس. لما نراه وهما....

وفى مسلم طريق غيلان بمثل حديث شعبة، غير أنه ذكر فيه الاثنين، ولم يذكر الخميس.

وهذه طريق أخرى لهذا الحديث فى مسلم بسنده إلى غيلان عن عبد الله بن معبد الزمانى، عن أبى قتادة الأنصارى رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم الاثنين؟ فقال:"فيه ولدت، وفيه أنزل على][1].

وفى الأثر من مرويات ابن عباس عن يعقوب قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين، وتوفى يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين.

وفى بعض الطرق عند ابن عساكر زيادة:وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ وكانت وقعة بدر يوم الاثنين.

قد تحفظ ابن عساكر كما نتحفظ نحن على ما فى هذه الزيادة، إذ المحفوظ عند أهل العلم أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة، وكذلك نزول آية: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا**﴾ (المائدة: ٣) كانت فى حجة الوداع وفى يوم عرفة منها وكان بإجماع أهل العلم يوم جمعة.

وهكذا يتبين من جميع الروايات أن النبى ﷺ ولد يوم الاثنين وفى النهار منه على ما رأيت.

فائدة:

والناظر فى هذه الروايات التى ذكرناها يجد الأعرابى قد سأل عن أحكام الصيام فى

---

(١) راجع صحيح مسلم – ١٣ كتاب الصيام – ٣٦ باب استحباب صيام ثلاثة أيام... ح رقم ١٩٧، ١٩٨، والحديث عند أحمد، ٢٠٠/٢، ٢٣٠، وعند أبى داود ٢٤١/١ كتاب الصوم باب فى صوم الدهر تطوعًا.

أوقات متعددة.

وأنت خبير ولا شك أن الأحكام الفقهية محدودة مهما اختلف العلماء حولها، إذ هي الواجب الذى يحتل القمة فى الإلزام، أو هى الواجب والفرض كما يرى بعض العلماء.

ويليهما على درجة الإلزام (وأعنى به طلب الفعل) المندوب.

وعلى الجهة الأخرى نجد على القمة فى سلم الحظر الحرام، وهو طلب الكف بأسلوب صارم.

ويليه فى الدرجة المكروه.

وبين هاتين الطائفتين من الأحكام المباح، على قول من يقول: إن الإباحة يتعلق بها غرض الشارع، فهى حكم من الأحكام.

إذا تبين لك ذلك فاعلم أن السائل حين سأل النبى ﷺ عن هذه الأدرب من الصيام، إنما كان يريد أن يعلم حكم الصيام فى كل منها.

والنبى ﷺ حين أجاب عَدَلَ عن ذكر الحكم فى كل منها إلى ذكر تعليل الحكم، وهو أسلوب بليغ من النبى ﷺ كعادته ينبغى أن لا يفوتك.

ويكفى أن أوقفك هنا على حكم صيام يوم الاثنين حين طلب السائل معرفته.

وأنت لا يفوتك إدراك الحكمة وراء ما أجاب به النبى ﷺ.

فالنبى ﷺ لم يقل فى حكم صيام يوم الاثنين أنه حرام، أو مكروه، أو مباح، أو مندوب، أو واجب، وإنما قال:(ذاك يوم ولدت فيه، وأنزل على فيه) وهو يشير بكلمة أنزل على أو أوحى إلى بأن يوم الاثنين هو من بين أيام الأسبوع الذى شهد التقاء جبريل بالنبى ﷺ يقرأ عليه أول آية نزلت من القرآن الكريم.

وأنت تستطيع أن تضيف إلى ذلك ما ذكرته بقية الروايات من أن النبى ﷺ رفع الحجر الأسود فى بناء الكعبة؛ لحسم الخلاف وتشريف الحجر فى يوم الاثنين، كما أن النبى ﷺ انتقل إلى الرفيق الأعلى فى يوم الاثنين.

ولقد ذكر النبى ﷺ الخاصيتين الأولى والثانية يعلل بهما استحباب الصيام فى هذا

اليوم لأن غيرهما لا يصلح للتعليل.

وهذا النوع من التعليل يفيدنا أن النعمة إذا أنعم الله بها علينا يمكن أن نقابل هذه النعمة بشكر ربنا عليها بأى لون من ألوان الشكر ما لم يكن إثما.

ولا معنى بعد ذلك لمعترض إذا اعترض وقال: إنه لا يجوز أن يحتفل المسلمون بيوم ميلاده ﷺ، إذ هم لا يملكون حجة على هذا التعميم، طالما أن المسلم يحتفل بميلاد رسول الله ﷺ بلون من ألوان العبادة والطاعة التى تصلح أن تكون شكرًا لما أنعم به علينا من ميلاد رسول الله ﷺ، ومن إنزاله للوحى عليه، وتكليفه أن يبلغه لنا ليخرج: ﴿**ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ**﴾ (إبراهيم: ١).

ولم تكن هذه خاصية للنبى ﷺ وحده، ولكنها عامة فى كل نعمة.

وقد لا يكون جديدًا على سمعك أن أقول لك: إن النبى ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم العاشر من المحرم، فلما سألهم عن صيام هذا اليوم وعن سببه، أجابوه أنهم يصومونه شكرًا لله، حيث نجًّا فيه الله عز وجل موسى ومن آمن معه من بطش فرعون وقومه، ثم أهلك أعداءه بالغرق.

ويومها لم يكن للنبى ﷺ من تعليق إلا أن أقرهم على ذلك، ثم بين أنه أولى بموسى منهم، فهو أولا أخوه فى النبوة، وهو ثانيا من نسل إبراهيم وإسحاق، والنبى ﷺ من نسل إبراهيم وإسماعيل، ثم صام النبى ﷺ وأمر الناس بصيامه.

وأنا لا ينبغى على أن أبرح هذا الموطن من مواطن الحديث إليك قبل أن أقول لك: إنه ينبغى عليك أن تتأمل فيما ورد من صوم عاشوراء، وفيما ورد من صوم يوم الاثنين.

وسوف لا يخفاك حين تتأمل فيما طلبت إليك أن تتأمل فيه: أن يوم عاشوراء يتكرر فى العام مرة واحدة، ويوم الاثنين يتكرر فى كل أسبوع مرة، لكنه لا يأتى فى شهر ربيع وفى أوائله بالذات إلا مرة واحدة فى العام.

وفى هذا إشارة لأن النبى ﷺ قد شارك أخاه موسى عَلَيْهِ السَّلاَمُ فى أنه يجوز بل ينبغى أن يصوم المسلمون، وأن يتصدقوا، وأن يفعلوا من العبادات ما يدل على شكرهم للنعمة واعترافهم بالفضل للمنعم فى كل عام مرة، كما يفعل غير المسلمين مع المسلمين

فى الاحتفال بنعمة الله على الكون حين بعث الأنبياء وأرسل المرسلين.

ثم ينفرد النبى ﷺ باعتباره نعمة الله التى أنعم بها على الناس فى يوم ميلاده، وفى يوم بعثته بأن الناس يذكرونه بهذه الحيثية فى كل أسبوع مرة.

وهذه فائدة أردت أن أبصرك من خلالها بما شرحت لك، لعل زحمة الأيام وكثرة الصخب وشنآن الشانئين على النبى ﷺ وعلى نعمة الله للعالمين، لعل هذه الأمور وغيرَها تحول بينك وبين تذكر هذه النعمة والأخذ فى أسباب شكرها.

والله يوفقنا وإياك، ويرفع عنا وعنك ظلمات الشبهات، ويعجل بدفع آثارها حتى لا نشغل عن النبى ﷺ بشاغل، ونذكره كلما مرت الأيام وتوالت السنون، فما من لحظة ولا وقت إلا ونجد فيها نعمة من النعم أجراها الله على يد هذا النبى ﷺ، فلما لا نذكر بداية وجوده نورًا يسطع على الأرض ويملأ الأفق، ولما لا نذكر بداية وجوده نبيا هو خاتم النبيين والمرسلين برسالة هى خاتم الرسالات من تمسك بها عُصِمَ، ومن صُد عنها فكفى بجهنم سعيرا.

شهر ميلاده:

إذا تحقق بين يديك اليوم الذى ولد فيه، وأعانتك النصوص على هذا التحقق، فإنى لا بد أن أحدثك عن الشهر الذى ولد فيه.

وسوف أنصرف بك عن أقوال لا تقدح فى الإجماع، وأذكر لك ما أجمع عليه العلماء.

والذى أجمع عليه العلماء أن النبى ﷺ ولد فى شهر ربيع الأول.

والعرب تعرف هذا الشهر وتعرف مدلول الكلمة التى وضعت علما له وللشهر الذى يليه.

فالعرب إذًا تعرف من الشهور شهرين كلاهما يسمى ربيعًا.

وما كانوا يسمون الشهر الذى يلى ربيع الأول باسم ربيع الثانى، وإنما دائما كانوا يقولون: ربيع الآخر بكسر الخاء.

والربيع على كل حال يطلق على أمور شتى كلها تبعث على الراحة والنمو والجمال والنضرة.

فأنت ترى الربيع عند العرب يطلق على فصلين من فصول السنة.

أما أحدهما: فهو هذا الفصل الذى يكون فيه الكمأة والنور.

وأما ثانيهما: فهو هذا الفصل الذى يظهر فيه بدو الثمرة وعطاء الأشجار.

وقد يطلق الربيع على كل ما يريح القلب ويطمئن الفؤاد على نحو ما قال رسول الله ﷺ فى بعض ما روى عنه فى دعائه: **(اللهم اجعل القرآن ربيع قلبى).**

وكثيرًا ما يطلق الربيع عندهم على جدول الماء على نحو ما جاء فى الحديث الخاص بزكاة الزروع والثمار، وفيه: (ويشترط ما سقى الربيع).

وقد يطلق الربيع ويراد منه هذه الأماكن من الأرض ليست فيها معوقات، ويقال للواحد منها: صعيد على نحو ما جاء فى الأثر: **(فعدل إلى الربيع فتطهر).**

وربما سمى الكلأ والغيث ربيعا.

وعلى الجملة فإن كلمة الربيع تطلق ويراد منها: أصول الخير وما يترتب على هذه الأصول من ثمار تريح النفس ويسكن لها الفؤاد.

وإنما سمى شهر ربيع بهذا الاسم لأنه: صادف إطلاقه على هذا الجزء من العام أيام الخصب والنماء ونزول المطر.

ليس لعربى فصيح اللسان بالعربية أن يقيس على يوم قائظ وشاتٍ وصائف فيقول: هذا يوم رابع.

وسبب هذا المنع عندهم أن الربيع يفهم من لفظه كما يفهم من واقعه فى أيام السنة اعتدال الجو والمزاج، بحيث لا يغلب فيه حال حالا آخر.

وشهر ربيع وإن كان يقع فى السنة كلها إلا أن الله عز وجل قد أراد لنبيه ألا يولد إلا وقد صادف شهر ربيع الأول وقت الاعتدال من السنة، وما ذلك إلا لأن الله يريد أن يتفاءل الناس بمولده، وأن يذكروا أن ميلاده نعمة عظيمة.

وما ذلك إلا لأن الله يريد أن يكون الزمن الذي ولد فيه النبي ﷺ منشأ لضعفه الذي سينشأ عليه ويشب، ثم يلقى ربه وهو على جانب كبير من الاعتدال في شخصيته وفي علاقاته بالناس، وفي صفاته وسلوكه.

يوم ميلاده من الشهر:

والمشهور بين الناس أن النبي ﷺ ولد يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول.

وفي غير المشهور أقوال أخر:

قال صاحب سبل الهدى والرشاد يحكي هذه الأقوال جميعا: [قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: لاثنتي عشرة ليلة خلت منه، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف عن جابر وابن عباس. قال في الغرر: وهو الذي عليه العمل.

وقيل: لليلتين خلتا منه وقدمه في الإشارة.

وقيل: لثمان.

ونقل أبو عمر عن أصحاب الزيج أنهم صححوه ورجحه ابن دحية.

وقال الحافظ: إنه مقتضى أكثر الأخبار.

وقيل: لعشر.

حكاه الدمياطي عن جعفر الباقر وصححه.

وقيل: لسبع عشرة.

وقيل: لثماني عشرة.

وقيل: في أوله حين طلع الفجر] (١).

ولا أظنك إلا أن تكون على ما أنا عليه من أن الخلاف في يومه من شهر ربيع الأول بعد ما تحدد أنه يوم الاثنين منه، إنما هو خلاف عادي ومتوقع يقع مثله في مثل هذا الزمان كثيرا، ولا أهمية ترجى من حسمه، ولذا فإنا لن نحاول الترجيح بين هذه الآراء،

---

(١) سبل الهدى والرشاد – جـ ١ ص ٤٠٣.

وإن كنا نميل إلى المشهور منها.

فصل مولده:

وكما شاء الله عز وجل أن يولد النبى ﷺ فى شهر ربيع الأول، فقد شاءت جلت عنايته أن يولد كذلك فى فصل الربيع على ما عليه الكثيرون من أهل العلم من كتاب السير.

وقد شاء صاحب كتاب (حياة محمد) - ﷺ - أن يتابع أحد المستشرقين على أن النبى ﷺ ولد فى الصيف القائظ من سنة ٥٧٠ ميلادية فهو يقول: [ويرجح كوسان دبرسفال فى كتابه عن العرب أن محمدًا وُلِدَ فى ٢٠ أغسطس سنة ٥٧٠، أى عام الفيل، وأنه ولد بمكة بدار جده عبد المطلب] (١).

وأنا لا أدرى ما السبب الذى حمل التابع والمتبوع على أن يجزما بهذا الرأى.

فشهر أغسطس هو الشهر الثامن فى ترتيب الأشهر الميلادية وهو منتصف فصل الصيف.

وأنت ربما لا تنكر ما سأقصه عليك تذكيرًا لك من حكاية أن عبد الله أبَا النبى ﷺ قد خرج مع الخارجين فى التجارة إلى الشام من رحلة الصيف وآمنة تستقبل أوائل أشهر حملها.

ثم عاد عبد الله مع العائدين وقد أدركه المرض فى الطريق، فألزمه هذا الحى من بنى البخار فى يثرب أخواله الذين هم أخوال أبيه.

وشاء الله أن يشرب الفتى كأس المنون ويدفن، وآمنة لم تزل حاملا فى نبى هذه الأمة، وعمره فى بطن أمة على بعض الأقوال لم يتجاوز الشهرين بعد.

وإذا كنت ستذكر معى هذه الأحداث التى قصصتها عليك، فإنه يصعب عَلَىَّ وعليك أن نسلم للتابع أو للمتبوع أو لهما معًا ما ذهب إليه المتبوع ووافقه التابع من أن النبى ﷺ قد ولد صيفا.

---

(١) محمد حسين هيكل-حياة محمد-ط مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٤هـ- ص١٠٧.

والمقبول أن تكون آمنة قد استقبلت حملها فى أوائل الصيف ثم استمرت على حملها الصيف والخريف والشتاء ليكون ميلاد النبى ﷺ أوائل الربيع.

وهذا الذى ذكرت لك مقبول عقلا، وإن كنا لا نملك سوى أحداث التاريخ دليلا على ذلك، إذ ليس هناك نص صريح مرفوع إلى النبى ﷺ كهذا النص الذى قال النبى ﷺ فيه عن يوم الاثنين: "ذاك يوم ولدت فيه".

ونحن وإن كنا نملك ما يشبه الإجماع من كتاب السير على أن النبى ﷺ ولد فى الربيع، فإننا لا نملك الإجماع الكامل على ذلك لوجود بعض المخالفين، كهؤلاء الذين يقولون: إن عبد الله قد مات بعد ميلاد محمد ﷺ، أو ما يقرب من ذلك من آراء بعض الناس الذين لهم اهتمام بهذا الموضوع من قريب أو من بعيد.

ولقد حكى صاحب سبل الهدى والرشاد عن أولئك الذين قد اشتغلوا بعلم الفلك أن النبى ﷺ قد ولد فى الربيع شهرًا كما ولد فى الربيع فصلا من فصول السنة.

ولم يكن ميلاده هكذا عشوائيا، وإنما شاءت العناية الإلهية أن يتوسط ميلاده أيام الأسبوع فكان يوم الاثنين، وأن يستقبل بميلاده أوائل الضياء إعلانا عن أنه سيكون على يديه نجاة هذا الكون الذى طلع فجر نجاته بعد ليل طويل.

كما شاء الله أن يكون ميلاده فى أعدل فصول السنة وهو فصل الربيع الذى ينبت البقل وتجرى به النعمة، وتعتدل به الأمزجة، وتعتدل فيه الأحوال لا يطغى بعضها على بعض.

هكذا كان ميلاد النبى ﷺ وتلك كانت حكمة أوقات مولده.

عام مولده:

يبقى لنا من الحديث عن أوقات المولد أن نتحدث عن العام الذى ولد فيه ﷺ.

وأنا لم أصادف خلافًا حول هذا العام الذى ولد فيه، حيث إن هناك إجماعًا تاما على أن النبى ﷺ ولد فى عام الفيل.

وليس من قبيل المصادفة أن يولد النبى ﷺ فى عام الفيل، وإنما ميلاده فى هذا العام

لَقَدَرٌ مَحْتُومٌ.

وفى هذا العام الذى ولد فيه النبى ﷺ من الإرهاصات التى تبشر بنوته ما لا يستطيع أحد أن ينكرها.

فالنبى ﷺ سيأتى إلى هذا العالم بما يصلحه، ويخبر الناس أن ذلك وحى يوحى إليه من الله عز وجل.

ولما كان الإنسان أكثر شىء جدلاً فإنه لن يقبل بسهولة ما يأتيه به النبى ﷺ من الأمور التى من شأنها أن تصلحه، وإنما تأخذه اللجاجة إلى حد أنه يطلب على ذلك دليلا يعرف به صدق هذا النبى ﷺ فى مدعاه، ولن يكون هذا الدليل إلا أمرًا خارقًا للعادة، متأبيا على النواميس التى شأنها أن تربط بين الأشياء برباط سببى.

هما أمران إذًا سيظهران على يد النبى القادم ﷺ:

المصلحة فيما يأتى به.

والمعجزة تكون دليلا على صدقه فيما ادعاه من صلته بربه.

وهذان الأمران يحيط بهما من الخطر ما لا أظنك تغفل عنه.

وهذان الأمران فيهما من عظم القدر ما يحوجهما إلى تمهيد يكون بين يديهما كسائر الحوادث الكبرى فى الكون.

وهذا هو الذى حدث فى عام الفيل وهو العام الذى ولد فيه النبى ﷺ إرهاصًا وتمهيدًا لنبوته.

فلقد سبق أن أفردنا مساحة فى الجزء الأول من هذه الدراسة للحديث عن هذا الإرهاص، حيث قد تحدثنا فى كتابنا [فى ساحة النبى ﷺ] عن هذا الموضوع بما يغنينا عن الإطالة فيه هنا.

وذكرنا لهذا الموضوع هناك وإن كان يغنينا عن إعادته هنا، إلا أنه لا يحملنا على الزهد فى الإشارة إليه.

وفيما يتعلق بالتنبيه على أن ما سيأتى به النبى القادم ﷺ وهو من قبيل الإصلاح

العظيم، فإنك سترى رأى العين صدق ذلك، لو أنك تأملت حادث الفيل باعتباره كان نهاية خطة رسمتها دولة الروم، بقصد السيطرة على الطريق التجارى الـذى يـربط الشـرق بالغرب، وهو هذا الطريق الممتد على ساحل البحر الأحمر من جهته الغربية، وهو يمتـد طولا من الشمال إلى الجنوب، وفى منتصفه مكة التى امتازت بالبيت العتيق شرف جميع الخلائق من نسل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ولقد حاول الروم أكثر من مرة السيطرة على هذا الطريق.

فهم قد حاولوا أن يسيطروا عليه من غير حرب ولا قتال لو أمكنهم من ذلك اصطناع الحيلة والتدبير.

ولقد حاولوا بالحيلة والتدبير أن يسيطروا على مكة على نحو ما علمت مما ذكـرت لك سلفا.

كتبت ضمن ما كتبت فى كتاب [فى ساحة النبى ﷺ] ما أنقله إليك بنصه قلت: وكانت الحيلة السياسية على النحو التالى:

لقد ارتضى قيصر الروم لملك مكة رجلاً من ساداتها هو عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى، وكتب له رسائل يبلغها قومه، فعاد بها وجمع القوم إليه يرغبهم فى حسـن الجزاء من قيصر، وينذرهم بسوء العاقبة فى الشام إذا هم عصوه، وأهون مـا هنالـك أن يغلق أبوابها فى وجوههم وهم يذهبون إليها ويعودون منها كل عام. قال: ياقوم! إن قيصر قد علمتم أمانكم ببلاده وما تصيبون من التجارة فى كنفه، وقد ملكنى عليكم وأنا ابن عمكم وأحدكم، وإنما آخذ منكم الجراب من القرظ والعكة من السمن والأوهاب فأجمع ذلـك ثـم أذهب إليه، وأنا أخاف إن أبيتم ذلك أن يمنع منكم الشام فلا تتجروا به وينقطـع مـرفقكم منه.

وهذه المحاولة السياسية غرضها كما هو ظاهر كغرض تلك المحاولـة العسـكرية، وكلتاهما يثبتان شيئا واحدًا وهو قيام كعبة الحجاز على كـره مـن ذوى السـلطان فـى الجنوب، وإن دولة الروم لم تكن تريدها باختيارها، وإنما كانت مشغولة بها معنية بتحويلها إلى حوزتها، فلم تستطيع أن تنال منها منالها.

وأنت تدرك مما ذكرناه هناك أن الروم برغم محاولاتهم، وبرغم تنوع هذه المحاولات، لم يستطيعوا أن يقتنصوا من العرب هذا الطريق، برغم ما كان للروم من عنفوان، وبرغم ما كان لهم من قوة سياسية تتمثل فى القدرة على الحيلة والتدبير، واختراق الوشائج بقصد تقطيعها والنيل منها.

وفى هذا شيء من الإرهاص بنبوة سيدنا محمد ﷺ.

وشيء آخر وثيق الصلة بما ذكرناه يتمثل فى محاولة أبرهة من استلاب هذا الطريق من العرب لصالح ساداته، ولكنه هذه المرة سيعتمد على صارم القدرة والاقتدار.

وإذا كانت الكعبة البيت الحرام هى المكان الدينى المقدس، الذى ربط العرب به وبرب هذا البيت العتيق الذى لم يختلفوا على تقديسه وتقديره، فإنه من الممكن فى تصورات أبرهة أن يصنع لهم البديل المتميز، وأن يوجههم إليه توجيهًا دينيًا محفوفًا بأمرين:

أحدهما: أن يهدم البيت العتيق لتأتى الأجيال القادمة وليس لها من رابط يربطها بهذا البيت الذى محيت آثاره.

وثانيهما: أن يكون البيت الجديد الذى أنشأه إنشاء فى منطقة قريبة منه قربًا يمكنه من السيطرة عليه، وتوجيه الناس إليه توجيها دينيا مسيسًا على النحو الذى يريده، ويريده ساداته من ورائه.

هكذا فكر أبرهة وتلك هى طريقة تفكيره على ما نعتقد.

وإنه لمن السذاجة فى التفكير أن نظن أن أبرهة قد جيش الجيوش ضد الكعبة، ووقع فى قلبه كراهيته لها، لأن رجلاً أحدث له فى القليس حدثًا يؤذى المكان ويؤذى مشاعره.

ولو قد حدث هذا لكان من الممكن أن يؤدب أبرهة الفاعل وأسرته، والبطن الذى هو منها، أو العرب المحيطين به فى الجنوب على أكثر تقدير.

جمع أبرهة أمره وسار بجيشه إلى مشارف مكة على نحو ما تحكى القصة الشهيرة.

والذى نقصد إليه هنا منها هو أن الله قد فاجأ العرب وغير العرب بما لم يكن فى

الحسبان، من نحو أن يمتنع الفيل من أن يقصد إلى الكعبة، وهو وأفراد نوعه هم المعول عليهم أن يهدموها.

ومن نحو هذه الطير الأبابيل التى جاءت من عرض البحر لترمى جيش الغزاة بحجارة من سجيل، بحيث تركت جنود هذا الجيش فى أقبح صورة، وهى صورة العصف المأكول الذى يظهر فى مخلفات الماشية.

وهذا الذى فاجأ الله به القوم، ورآه العرب رأى العين لم يكن من جنس هذه الأمور التى تجرى على الأسباب المعتادة.

تُرَى: لماذا كان هذا الخارق الذى خرق هذه العادة وجاء على غير المعتاد مما ألفه الناس من ارتباط الأسباب بالمسببات؟.

هل كان ذلك إكراما لأهل مكة الوثنيين، وخذلانا لأهل الكتاب من النصارى.

لو كان الأمر على هذا النحو لما حل بالنصارى فيما بعد من هزيمة الفرس لهم، وغلبها لجيوشهم والسيطرة عليهم.

فهل يكون من الجائز أن تكون خوارق العادات هذه قد ظهرت إكراما للبيت والرفع من شأنه؟.

هذا احتمال وارد، ولكن لو كان هذا الأمر هو السبب فى ظهور خوارق العادات لكان مطردًا فى كل اعتداء، وفى كل محاولة انتقاص من شأن البيت العتيق.

والتاريخ شاهد – فى حديثه وقديمه – بأن البيت قد اعتدى عليه، واستلب منه الحجر، وارتكبت فيه الجرائم ومورست فيه الخطايا ولم تقع من أجل ذلك خوارق العادات.

إذًا لا بد لهذا العام بعينه من خاصية تتصل بحدث قد وقع فيه، شاء الله أن ترتبط به هذه الخوارق على نحو ما من الأنحاء.

وليس فى هذا العام من حدث نعلمه سوى ميلاد هذا النبى العظيم ﷺ، الذى سيدعى أنه نبى، وأنه خاتم النبيين، وستكون دعوته تلك مؤيدة بمثل هذا النوع من خوارق العادات.

وليس أمامنا والحالة هذه إلا أن نقول: إن النبى ﷺ قد ولد فى عام الفيل بيقين، وأن الله قد أحاط هذا الحدث بهذا النوع من الإرهاص ليكون تمهيدًا لنبوة هذا النبى ﷺ، وهو إرهاص قد شهده على مرأى العين شيوخ وفتيان وصبيان، وكثير منهم سيعيش ليشهد نبوة هذا النبى العظيم ﷺ، وما سيظهر على يديه من معجزات حسية ومعنوية تؤكد صدق ما ادعاه.

أرأيت إلى هذا المولد باعتباره حدثًا عظيما فى عام متميز، بل فى زمان متميز نهاره، ومطلع هذا النور فى ذلك النهار، ووسطية هذا النهار من أيام الأسبوع، وشهره، والفصل الذى ولد فيه!.

إنه لحدث عظيم فى ظرف زمان متميز وكفى.

مكان مولده:

أما المكان الذى ولد فيه النبى ﷺ، فقد توفر فيه من عناصر التميز والامتياز ما يكافئ تلك العناصر التى توفرت للزمان الذى ولد فيه.

فأنت تستطيع أن تتامل مكة بادى الأمر، وسوف يظهر لك أنها حاضرة يقوم فيها أناس يعبدون الأصنام، وهى فى ذاتها لا تتميز بمناخ جيد حيث إن الجبال الجرداء التى تكاد تطبق عليها من جميع الجهات تجعل صيفها حارًّا لا يطاق.

وكان الوادى الذى تقوم فيه غير ذى زرع، ولا يكاد يوجد فى البلدة كلها فى الوقت الذى ولد فيه النبى ﷺ حديقة واحدة لا.. ولا بؤرة خضراء تسر الناظرين.

هذا ما يتراءى لنا بادى الرأى وأوائل النظر كما يتراءى لك.

وهذا الذى تراءى لنا جميعًا لم يمنع مكة من أن تشتهر فى التاريخ القديم، كما لم تشتهر حاضرة أخرى من حواضر جزيرة العرب، الأمر الذى جعلنا نقول:

إنه لو قدر لمكة أن تكون على أطراف جزيرة العرب الشمالية أو الجنوبية أو الشرقية، ما كان لها أن تتميز بما تميزت به، وما كان لها أن تشتهر شهرتها التى احتلتها فى القديم بين المدائن والأمصار.

تُرَى ما الذى جعل مكة تتمتع بهذه الشهرة وتلك المكانة؟.

لقد كانت هناك أسباب تجمعت لمكة ولم تتجمع لغيرها.

منها: أن موقعها فى منتصف ساحل البلاد الغربى، وعلى بعد ثمانية وأربعين ميلا من البحر الأحمر، جعلها محطة صالحة فى طرق القوافل الطوال التى تجمع فى بعض الأحيان ألف جمل بعضها وراء بعض، والتى كانت تحمل المتاجر بين جنوبى بلاد العرب (ومن ثم بين الهند وإفريقية الوسطى) وبين مصر، وفلسطين، وبلاد الشام.

وكان التجار أصحاب هذه التجارة يؤلفون فيما بينهم شركات خاصة، ويسيطرون على أسواق عكاظ، ويقومون بالشعائر الدينية المجزية حول الكعبة وحجرها الأسود المقدس [1].

وهذا الموقع الممتاز فى العصور القديمة جعل أهل الحواضر المحيطة بجزيرة العرب، خاصة ما كان من أهل الشمال والجنوب ينفسون على أهل مكة هذا الموقع الممتاز، وهذه الوظيفة المتميزة التى حباهم الله بها من بين العالمين.

وما كان لهذا الموقع الممتاز أن يؤدى عمله وحده فى إعلاء شرف مكة وأهلها.

وما كان لهذا الموقع الممتاز أن يأخذ بألباب المحيطين بمكة من الحواضر، ويلفتهم إلى قاطنيها فينفسون عليهم ما قد حباهم الله به، لو لم ينضم إلى هذا الموقع الممتاز عوامل أخرى تعضد هذا العامل وتقويه.

ومن هذه العوامل التى عضدت الموقع الممتاز وجود هذا البيت العتيق فى مكة، والذى عرف بأسماء متعددة منها (الكعبة).

والكعبة: اسم يطلق على كل بناء مربع الشكل، أو قريبًا من التربيع، وبناء البيت الحرام فيه هذه الصفة.

ولقد مال صاحب قصة الحضارة إلى أن البيت العتيق تجدد بناؤه عشر مرات.

---

(١) راجع ول ديورنت – قصة الحضارة عصر الإيمان – ترجمة / محمد بدران م٧ ح١٣ ط الأسرة/ القاهرة ص ١٨.

وعبارته وإن كانت تفيد أنه لا يميل إلى رفض أو قبول، إلا أن عدم تعليقه ربما يفيد أنه قد ارتضى هذا المعتقد الشائع قال:

[ومعنى الكعبة البيت المربع. واللفظ ذو صلة باللفظ الإنجليزى (مكعب) ومن المعتقدات الشائعة أن الكعبة بنيت ثم أعيد بناؤها عشر مرات، فقد بناها فى فجر التاريخ ملائكة السماء، وبناها فى المرة الثانية آدم أبو البشر، وفى المرة الثالثة ابنه شيث، ثم بناها فى المرة الرابعة إبراهيم وإسماعيل ابنه من هاجر.... [(١)] وبناها فى المرة السابعة قصى زعيم قبيلة قريش، وبناها فى المرة الثامنة كبار قريش فى حياة محمد - ﷺ - (٦٠٥) وبناها فى المرتين التاسعة والعاشرة زعماء المسلمين عامى ٦٨١ و ٦٩٦] [(٢)].

والكعبة على ما هى عليه اليوم يبلغ طولها أربعين قدما، وعرضها خمسة وثلاثين، فى حين أن ارتفاعها يبلغ الخمسين قدما، وفى زاويتها من الجنوب الشرقى الحجر الأسود أو الأسعد، وهو حجر يقدره العرب تقديرًا دينيا من أيام إبراهيم وإسماعيل إلى اليوم، وارتفاعه من الأرض نحو خمسة أقدام، وهو متصف باللون القاتم، وشكله بيضى وقطره نحو السبع بوصات.

ويذهب البعض إلى أن هذا الحجر ميراث العرب من أبيهم إسماعيل، وهو المشار إليه فى الزبور الثامن عشر بعد المائة فى الآيتين ٢٢ و ٢٣ [الحجر الذى رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية].

وهو الوارد ذكره فى إنجيل متى من خلال هذا النص:

[الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا. لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه] [(٣)].

---

(١) ولا أدرى لم أسقط إعادة بناء الكعبة فى المرتين الخامسة والسادسة مع أن مرجعه وهو الأزرقى فى أغلب الظن قد ذكرهما حيث قال: (... (٥) بناية العمالقة، (٦) بناية جرهم، أخبار مكة - الأزرقى / تحقيق: رشدى الصالح ملحس - الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ط دار الثقافة مكة - جـ ١ ص ٣٥٥.

(٢) قصة الحضارة م ٧ ح ١٣ ص ١٨.

(٣) راجع الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل متى إصحاح ٢١ آيات ٤٢-٤٤.

ولعلنا قد تحدثنا عن الكعبة فى نشرة سبقت لنا من قبل، خصصـناها للحـديث عـن إعداد الساحة لرسول الله ﷺ بما هو أوفى من ذلك [(١)].

والذى نهتم بتأكيده هو أن الكعبة كان لها دور فى بناء شخصية مكة ومنحها درجتهـا من الاهتمام لا ينكره إلا جاحد.

وقبل ميلاد النبى ﷺ بأجيال متعددة، شاع فى جزيرة العرب وحدة اللغة، حيث أجمـع الجميع على أن للعرب لغة سائدة لا يجوز لعربى أن يجهلها توحد بينهم فى الفهم والتلقى، كما توحد بينهم فى الثقافة والسلوك، بحكم أنهم كلما اجتمعوا فى مكان أو اجتمع بعضـهم إنما يفهم بعضهم بعضا، ويستطيع بعضهم أن يبث الآخرين من خلال اللغة مـا يحـب أن يبثه فيهم من المدح أو الإثارة، ومن المجاملة أو التودد.

وساعد على منح اللواء وعقده للغة قريش ما كان العرب يفعلونه مـن زيـادة مكـة للاتجار أو ممارسة الشعائر.

وفى أسواق التجارة من كل عام كان العرب يتبارون فى عرض آدابهـم علـى مـا يستطيعون أن يتحدثوا به، أو على ما يستطيع أن يتحدث به بعضهم من شعر أو نثر.

وما كان الواحد منهم يلقى أدبه على غير نظام بحيث يذهب أدبه بغير رجع للصدى، وإنما كان الواحد منهم يلقى أدبه من شعر أو نثر أمام عمالقـة البيـان، وفقهـاء اللغـة، وجهابذة الإحساس بالمعانى.

وهؤلاء العمالقة كانت وظيفتهم بعد السماع أن يحكموا للقائل أو عليه، دون أن يهتموا بإطراء من حكم له، أو شنآن من حكم عليه.

ومن أهم هذه الأسواق سوق عكاظ.

وأنت تستطيع أن تجد مكانه على الطريق بين مكة والطائف فى واد بينه وبين مكـة ثلاث ليال، وهو إلى الطائف أقرب حيث إن بينه وبين الطائف مقدار ليلة واحـدة علـى مقياس أسفار العرب.

---

(١) راجع (فى ساحة النبى ﷺ) أ.د/ طه حبيشى- ط. القاهرة.

وهذه السوق كانت تنصب قبل الحج بفترة كافية، والعرب يتجمعون فيها ولا ينصرفون عنها قبل العشر الأواخر من ذى القعدة.

فإذا انصرفوا عنها انصرفوا إلى المجنة، وهى سوق يقيمونها قريبًا من مكة، ولا ينصرفون عنها إلا يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذى الحجة، حيث يذهبون إلى ذى المجاز وهى سوق تقام قريبًا من عرفة.

وهذه الأسواق قد اشتهرت بالأدب وتنافس الناس فى إجادته، شهرتها بالتجارة وتبادل السلع.

ولا يجوز أن نلتفت إلى افتراضات بغير دليل، يقول فيها أصحابها:

إنه لم يكن فى جزيرة العرب لغة مجمع عليها، لأن هذا افتراض مبنى على الظن الآثم، وليس له فى دنيا الناس ولا فى عالم التاريخ ما يؤيده.

هذه حاضرة العرب المشهورة باسمها فى القديم والحديث (مكة).

ولقد روى المؤرخون للأديان، أن اسمها قد ورد فى الكتب المقدسة من كتب العهد القديم والحديث، والكتب المقدسة عند الهنود وغير ذلك مما ذكرناه لك سلفًا [1].

وهذه الحاضرة بما لها من أهمية هى المكان الذى شاء الله عز وجل أن يولد فيه النبى ﷺ ليكون مطلع النور للعالم كله فيما بعد.

ولسنا نهتم بتحقيق ما إذا كان النبى ﷺ قد ولدته أمة آمنة فى بيت شيخ بنى هاشم، أو ولدته فى بيت الزوجية الذى ضم آمنة وفتى بنى هاشم الذى فاز بها زوجة له، وفلج بها على أبيه وهو عبد الله بن عبد المطلب.

فسواء كانت دار شيخ قريش هى التى استقبلت حفيد عبد المطلب، أو كانت دار عبد الله هى التى استقبلته، فإن مكة فى كل حال هى التى ضمت هاتين الدارين.

ومكة على كل حال هى التى صارت مطلع النور.

ومكة على كل حال هى التى صارت مولد عظيم لميلاد عظيم ومولود عظيم.

---

(١) انظر المرجع السابق.

ليلة طيبة وفجر فخور

أتيتَ والناسُ فوضَى لا تمرُّ بهم	إلا علَى صنمٍ قد هامَ فى صَنَمِ
والخلقُ يفتكُ أقواهُم بأضعفِهِم	كالليثِ بالبُهْمِ أو كالحُوتِ بالبَلَمِ

إنها لليلة طيبة.

وإنه لفجر فخور.

هى ليلة طيبة تزهو على سائر الليالى لما شهدته من حوادث، رأى منها الراءون فيما يرى المستيقظ اليقظ والمستيقظ الغافل على السواء، لأنها تفرض نفسها على الأعين حتى ترى بإرادة الرائى أو على غير إرادة منه، وسمع منها السامعون بإرادتهم أو على غير إرادتهم لما يفرضه المتحدث من حديث، بقصد إبلاغ هذا الحديث لمن يريد إبلاغه له.

وإنه لفجر فخور، إذ ليس له فجر يشبهه فى التاريخ أو يناظره، فأصبح هو فجرًا متفردًا يتطاول على الزمان، لأنه هو الذى شهد ميلاد هذا النبى الخاتم ﷺ، واحتوى ما صاحب النبى ﷺ من أحداث.

وهو فجر فخور؛ لأنه أنهى حياة من الظلمات قد استدبرت الدنيا فى سفرة إلى الماضى السحيق لا يجوز لها أن تستقبل الدنيا بعدها، إلا فى شىء من التسلل يكبح جماحه بمشيئة الله يقظة مستعينة بما جاء على يد القادم فى هذا الفجر من بشائر ونذر، إنها بشائر تفسح فى طريق الأمل طولا وعرضًا حتى يستوعب رغبات المؤمنين مهما كانت الخطى سريعة، ومهما كانت الخطى متسعة، ومهما كان البصر طويلا فى مده إلى الأمام، أو مده إلى اليمين، أو إلى اليسار.

وإنها نُذُرٌ تكبح جماح من تسول له نفسه أن يعتدى على أسباب حضارة الإنسان، أو يحول بين كل متطلع وبين أن يدرك ما يتطلع إليه من الخير.

إنه إذًا لفجر فخور، حيث ردم حياة الظلمة ووضعها تحت أطباقِ الثرى فى ماض سحيق إلى الأبد، وتوعد من ينبش قبور هذه الظلمة محاولا إحياءها، وتفعيلها فى الناس بعد أن يسكب عليها شيئا من عطور العصر، وعَرْفِ الزمان الحديث ليستر نتنها بغضب

من الله عز وجل وانتقام آجل أو وشيك.

إنها إذًا ليلة طيبة وإنه إذًا لفجر فخور.

والمؤرخون يذكرون هنا أحداثًا ووقائع لا نحسب أن الشرع قد اهتم بها على أنها من الأمور التى تثبت نبوة هذا النبى ﷺ، ولا نحسب أن المسلمين يهتمون بها إلا بمقدار أنها شيء قد أتاحه الله للكون كله حيه وجماده، كى يعبر عن ابتهاجه بقدوم هذا النبى الجديد ﷺ.

أما هذه الأشياء الإجماعية، فهى لا تعدو أن تكون من باب حكاية هذه المبشرات التى وقعت فى الكتب المقدسة تؤكد قدوم هذا النبى القادم ﷺ من نسل إسماعيل.

ولست فى حاجة إلى أن ألفتك إلى أن ما ذكره المؤرخون من هذه الصفة التى ولد عليها النبى ﷺ، ما هى إلا صفات للنبى ﷺ قد اختصه الله بها، يمتاز بها عن جميع أقرانه، لأنه معد لرسالة يكون فيها هو الوسيط بين الله وعباده.

أقول هذا كله بين يدى هذه الأشياء التى سأسطرها الآن من كلام أصحاب التاريخ والسير والمحدثين، كى أهدهد من انفعالات من يريدون أن ينفعلوا بغير سبب، فيقولون فى شيء من الغضب: هذه روايات تخالف العلم التجريبى، أو يصعب ضبطها على ميزان المحدثين رواية، أو يصعب هضمها على عقل المشككين الذى لم يتعود هضم مثل هذه الأمور.

ولعلك تدرك معى الآن أن ما سنذكره من وقائع، فإننا لا نعدو بالقصد من ورائها ما وجدت هى من أجله، وهو هذا التعبير عن ابتهاج الكون بمقدم هذا المولود الجديد، أو من أنها صفات مميزة لهذا المخلوق الذى أعده الله لمهمة لم يختر لها غيره، أو أنها روايات أهل الكتاب لما يجدونه فى كتبهم المقدسة من بشارات وعلامات تصاحب ميلاد هذا النبى الجديد.

حديث اليهودى فى الليلة المباركة فى مكة:

ومن هذه الروايات ما ذكره ابن كثير نقلا عن محمد بن إسحاق فيما ينقله عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: [كان يهودى قد سكن مكة يتجر بها، فلما كانت الليلة

التى ولد فيها رسول الله ﷺ قال فى مجلس من قريش: يامعشر قريش! هل ولد فيكم الليلة مولود؟ فقال القوم: والله ما نعلمه، فقال: الله أكبر، أما إذا أخطاكم فلا بأس، انظروا واحفظوا ما أقول لكم: ولد هذه الليلة نبى هذه الأمة الأخيرة، بين كتفيه علامة فيها شعيرات متواترات كأنهن عُرف فرس لا يرضع ليلتين وذلك أن عفريتًا من الجن أدخل إصبعه فى فمه فمنعه الرضاع، فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه، فلما ساروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهله، فقالوا: قد والله ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدًا، فالتقى القوم فقالوا: هل سمعتهم حديث اليهودى، وهل بلغكم مولد هذا الغلام؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودى فأخبروه الخبر قال: فاذهبوا معى حتى أنظر إليه فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة فقالوا: أخرجى إلينا ابنك فأخرجته وكشفوا له عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودى مغشيا عليه فلما أفاق، قالوا له: مالك ويلك؟ قال: قد ذهبت والله النبوة من بنى إسرائيل، فرحتم بها يامعشر قريش! والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب] (١).

حديث بعض اليهود فى المدينة:

لقد حدثتك الآن حديث يهودى فى مكة له فيها إقامة عارضة، لقضاء أعمال وإبرام صفقات، وله فيها كذلك صداقات مستقرة على أسس من الاقتصاد الذى هو الأساس فى إقامة اليهود لعلاقة سوية أو غير سوية مع الناس.

ولم تكن المدينة المنورة أو يثرب على نحو ما كانوا يسمونها وقتئذ، بأقل حظًا فى مجال سماع البشريات بالنبى ﷺ فى الليلة المباركة التى تلاها الفجر الزاهر، حيث نقل محمد بن إسحاق رواية سطرها ابن كثير على نحوها قال: [وقال محمد بن إسحاق: حدثنى صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال: حدثنى من شئت من رجال قومى ممن لا أتهم عن حسان بن ثابت قال: إنى لغلام يفعة ابن سبع سنين – أو ثمان سنين – أعقل ما رأيت وسمعت، إذا بيهودى فى يثرب يصرخ ذات غداة يامعشر يهود فاجتمعوا إليه – وأنا أسمع فقالوا: ويلك ما لك؟! قال: قد طلع نجم أحمد الذى يولد به

---

(١) البداية والنهاية – ابن كثير – ط. مكتبة دار المعارف بيروت – الطبعة الثانية ١٩٧٧م حـ٢ – ص٢٦٧.

فى هذه الليلة.

وروى الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة من حديث أبى بكر بن عبد الله العامرى عن سليمان بن سحيم وذريح بن عبد الرحمن كلاهما عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه قال: سمعت أبى (مالك بن سنان) يقول: جئت بنى عبد الأشهل يوما لا نحدث فيهم ونحن يومئذ فى هدنة من الحرب - فسمعت يوشع اليهودى يقول: أظل خروج نبى يقال له أحمد يخرج من الحرم.

فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلى - كالمستهزئ به - ما صفته؟ فقال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، فى عينيه حمرة، يلبس الشملة ويركب الحمار، سيفه على عاتقه، وهذا البلد مُهَاجَرُهُ.

قال: فرجعت إلى قومى بنى خدرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع.

وسمع رجلاً منا يقول:ويوشع يقول هذا وحده؟! كل يهود يثرب يقولون هذا.

قال أبى (مالك بن سنان): فخرجت حتى جئت بنى قريظة فأجد جمعًا فتذاكروا النبى ﷺ.

فقال الزبير بن باطا: قد طلع الكوكب الأحمر الذى لم يطلع إلا لخروج نبى أو ظهوره ولم يبق أحد إلا أحمد وهذا مُهَاجَرُهُ.

قال أبو سعيد: فلما قدم النبى ﷺ أخبره أبى هذا الخبر، فقال رسول الله ﷺ: "لو أسلم الزبير لأسلم ذووه من رؤساء اليهود إنما هم له تبع".

وقال أبو نعيم: حدثنا عمر بن محمد حدثنا إبراهيم بن السندى حدثنا النضر بن سلمة، حدثنا إسماعيل بن قيس بن سليمان بن زيد بن ثابت عن أم سعد بنت سعد بن الربيع.

سمعت زيد بن ثابت يقول: كان أحبار يهود بنى قريظة والنضير يذكرون صفة النبى ﷺ، فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نبى وأنه لا نبى بعده، واسمه أحمد ومهاجرة إلى يثرب، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا.

وقد أورد هذه القصة الحافظ أبو نعيم في كتابه من طرق أخرى، ولله الحمد][١].

حديث يهود الشام عن ليلة الميلاد:

أما يهود الشام فقد كان لأحبارهم والمطلعين على أسرار كتبهم حديث عن النبى ﷺ، قد تزامن مع أحاديث اليهود الذين يسكنون المدينة، واليهود الذين يترددون على مكة فى زيارات الود، أو رحلات التجارة.

ومن ذلك أن أبَا نعيم قد ذكر بسنده ونقله عنه الحافظ ابن كثير من غير أن يعلق بشيء على ما نقل، ما نذكره بين يديك الآن من لفظه عند ابن كثير.

قال: [وقال أبو نعيم ومحمد بن حبان: حدثنا أبو بكر بن أبى عاصم، حدثنا وهب بن بقية، حدثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أسامة بن زيد، قال: قال زيد بن عمرو بن نفيل قال لى حبر من أحبار الشام: قد خرج فى بلدك نبى – أو هو خارج – قد خرج نجمه فارجع فصدقه واتبعه] [٢].

احتفاء الكون به ﷺ:

وفى الليلة التى ولد فيها النبى ﷺ حدثت بعض المظاهر الكونية يذكرها المؤرخون، فيعتبرها بعضهم إرهاصات بنبوته ﷺ.

والبعض الآخر لم تأخذهم الحماسة فاعتبروها من باب المصادفات التوفيقية أو أنكروا وجودها بالكلية.

ولسنا الآن فى مجال الموازنة بين ما يذهب إليه هؤلاء وهؤلاء، وإنما سنذكر بعض روايات التاريخ يتقبلها المصدقون بها والمؤمنون بهذا النبى ﷺ، فيعتبرونها احتفاء من الكون برسول الله ﷺ وابتهاجًا بمولده.

ومن روايات التاريخ ما رواه [ابن السكن من حديث عثمان بن أبى العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله، أنها شَهِدَتْ وِلاَدَةَ آمنةَ بنتِ وهبٍ رسولَ اللهِ ﷺ ليلا.

---

(١) السابق جـ٢ ص ٢٦٧ وما بعدها.

(٢) السابق جـ ٢ ص ٢٦٨.

قالت: فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نورًا، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى أني لأقول لتقعن على] (١).

ومن هذه الروايات ما رواه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما ولد رسول الله ﷺ أشرقت الأرض نورا.

ولقد سبق قريبًا أن ذكرنا مسألة تدلى النجوم ليلة ميلاده ﷺ وهو مظهر من مظاهر الكون، لم يعتده الكون، ولم يعرفه الناس من سننه.

ومن المشهور من التغيرات التي حدثت في هذه الليلة ما ذكره البعض من تحطم إيوان كسرى، وذهاب ماء بحيرة ساوه إلى غير ذلك مما اشتهر على ألسنة الكثيرين الذين تحدثوا عن ميلاده ﷺ.

روايات اشتهرت في مكة على لسان آمنة:

أما ما روى عن آمنة بنت وهب زهرة بنى زهرة مما رأته يوم ولادته فهو كثير، وقد عرفه المكيون عنها معرفة تقاوم إنكار المنكرين، وتطاول الصدق الجازم والاعتقاد الثابت إلى عنان السماء.

وآمنة حين تروى ما رأت إنما ترويه عن وعى الرائى من غير صارف يصرفها عن هذا الذى تراه.

فآمنة لم تنشغل بوجع الميلاد، ولم تنشغل بما يصاحب الميلاد من الأشياء التي كتبت على بنات حواء.

وهي من أجل ذلك كانت في تمام وعيها وكمال إدراكها لم يشك أحد من الرواة في ذلك.

ونحن نذكر بعض ما رأته آمنة من طرق متعددة جميعها يفيد نفس المعنى مما يؤكد صدق ما ذكرناه.

---

(١) الاكتفاء في مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء ٥٦٥ – ٦٣٤هـ – تحقيق مصطفى عبد الواحد – ط. مطبعة السنة المحمدية ١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م – جـ ١ ص ١٦٧.

ومن ذلك ما رواه: [أبو العجفاء رحمه الله تعالى مرسلا قال: قال رسول الله ﷺ: رأت أمي حين وضعتني سطع منها نور فأضاءت له قصور بُصرى].

قال الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي: [رواه ابن سعد ورجاله ثقات].

[وعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إني عند الله لخاتم النبيين" الحديث.

وفيه رؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين، وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نورًا أضاءت له قصور الشام] (١).

وحين التقت آمنة بحليمة السعدية – وهي مرضعته ﷺ – وقع بينهما حديث حول رسول الله ﷺ في يوم ولادته.

وفيما روته حليمة من كلام آمنة لها أنها قالت: [إن لابني هذا لشأنًا إني حملت به فلم أجد حملا قط كان أخف علي ولا أعظم بركة منه، ثم رأيت نورًا كأنه شهاب خرج مني حين وضعته أضاءت لي أعناق الإبل ببصرى، ثم وضعته فما وقع كما تقع الصبيان، وقع واضعًا يديه بالأرض رافعًا رأسه إلى السماء].

وعن ابن عباس فيما رواه ابن سعد وابن عساكر: [إن آمنة قالت: لما فصل مني ابني محمد ﷺ خرج منه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب] (٢).

والروايات في هذا المجال كثيرة وطرقها متعددة، واشتهارها بين المكيين قبل عصر المبعث وبعده لا يقاومه نكران ولا يقف في وجهه جحود.

لقد اشتهرت هذه الروايات على ألسنة الفحول والجهابذة من أهل مكة شعرًا ونثرا.

فهذه قريحة الشعر تنساب على لسان العباس عم النبي ﷺ بما يسجله من واقع النبي ﷺ يوم ولادته من المكرمات التي أحاطه الله عز وجل بها.

---

(١) رواه الإمام أحمد والبزار والحاكم وابن حبان وصححاه.

(٢) راجع سبل الهدى والرشاد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى ٩٤٢هـ- تحقيق د/ مصطفى عبد الواحد- طبع المجلس الأعلى- لجنة إحياء التراث الإسلامي-القاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م - جـ١ - ص ٤١١ وما بعدها.

فقال العباس يشدو بما منحته قريحته:

وأنتَ لَمَّا وُلِــدتَ أَشْــرَقَتِ الأَرْ ... ضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الأُفُقُ

فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّــو ... رِ وَسُبُــلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

مُشَاهَدَاتُ قَابِلَتِه:

ولقد شاء الله عز وجل أن تكون قابلته الشِّفاءَ بنت عوف بن عبد بن الحارث.

وهى قريبة لآمنة بنت وهب حيث تنتسبان جميعًا إلى زُهرة بن عبد مناف.

وقد ذكر صاحب كتاب – أسد الغابة – أن اسمها – العَنْقَاءُ – حيث قال: [... وأمة (يعنى عبد الرحمن بن عوف) العنقاء – وهى الشِّفاءُ بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة – فهى ابنة عم أبيه].

وقد ذكر ابن عباس أن: الشِّفاءَ عاشت حتى آمنت مع من آمن بنبوة رسول الله ﷺ وتابعته على دينه.

ذكر عز الدين بن الأثير قال: [أخبرنا يحيى بن محمد إجازة بإسناده إلى أبى بكر بن أبى عاصم قال: حدثنا عبد الله بن شبيب، حدثنى إبراهيم بن يحيى بن هانئ، حدثنى أبى، حدثنا خازم بن حسين عن عبد الله بن أبى بكر، عن الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: أسلمت أم عثمان، وأم طلحة، وأم عمار بن ياسر، وأم عبد الرحمن بن عوف، وأم أبى بكر الصديق والزبير، وأسلم سعد وأمه فى الحياة][(١)].

لقد أسلمت الشِّفاءُ وتابعت النبى ﷺ.

ولما لم تُسلم وهى هذه التى رأت يوم ولادة النبى ﷺ أمورًا لم تبرح مخيلتها بعد.

وهى أمور تبقى ماثلةً أمام الشِّفاءَ ليلها ونهارها، تحتل من فكرها مكانا، وتضع أمامها علامات استفهام كبرى لم تتم الإجابة عنها بما يُروى الغليل ويَشفى العليل إلا بعد أربعين سنة من هذا الميلاد الكريم.

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير (٥٥٥- ٦٣٠هـ) تحقيق / محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور- ط. الشعب بدون – م ٧ – ص ٨، ١٦٣، ١٦٤.

رأت الشَّفاءُ ما رأت، وذكرت ما رأته ولم تُخْفِه.

نقل الإمام ابن كثير ﷺ عن القاضي عياض ما ذكرته الشَّفاءُ تحكى ما رأته يوم الميلاد العظيم قال: [وذكر القاضي عياض عن الشَّفاءَ أم عبد الرحمن ابن عوف أنها كانت قَابِلَتَهُ وأنها أخبرت به حين سقط على يديها واستهل سمعت قائلا يقول: يرحمك الله، وإنه سطع منه نور رؤيت منه قصور الروم](١).

رحيل الليلة المباركة:

أوشكت الليلة المباركة أن تنقضى.

وأوشك الفجر الفخور أن ينبلج على مكة المباركة.

وآمنة تشعر فى ليلتها بشعور لا تملك أن تفسره، فما هو هذا الشعور الذى تشعر به كل أنثى قرب المخاض، وما هو بالشعور الذى يترك كل إنسان فى ليله لأحلام الكَرَى تداعب عيونَه، أو إلى النوم العميق المستغرق يملأ جفونَه.

إن ما وجدته آمنة فى هذه الليلة لشىء عجيب.

ومن أهم هذه الأشياء التى رأتها هذا الذى يحدثها ويخبرها أنها قد حملت بنبى هذه الأمة أعظم مولود وأطهر مخلوق، ويطلب إليها محدثها أنه إذا أقبل وليدها وانفصل عنها، عليها أن تعيذه بالواحد الأحد من شر كل حاسد إذا حسد.

وآمنة تسمع كلمات التوحيد هذه فلا تنكر منها شيئا، لأن قلبها الطاهر قد فطر على التوحيد، وجبل على التسليم للواحد الأحد الذى هو رب البيت العتيق.

رأت آمنة وسمعت كلمات التوحيد فلم تنكر منها شيئا.

ثم يأمرها الذى تسمعه أنها بعد أن تعيذ وليدها بالواحد الأحد، يجب عليها أن تصر على تسميته محمدا.

وآمنة لم يأخذها شىء من العجب حين تسمع من يطلب إليها ذلك، برغم أن هذا الاسم الذى طلب إليها أن تسمى ابنها به، لم يكن من الأسماء الشهيرة فى مكة، لا.. ولا

---

(١) ابن كثير – بداية ج ٢ ص ٢٦٤.

فى جزيرة العرب.

وآمنة لم يأخذها العجب من هذه التسمية بسبب سلامة فطرتها وكفى.

إن فطرة آمنة المنسجمة مع التوحيد هى نفسها تلك الفطرة المنسجمة مع ضرورة أن يكون للمجتمع قطب يدور الناس حوله، يحبهم ويحبونه، يكون سبب النعمة لهم ويمدحونه، ويكون وسيلة للفضل ينصب عليهم صبًا ويحمدونه.

فلمَ لا يكون محمدا؟!

سمعت آمنة من يهتف بها: إذا انفصل عنك الوليد فقولى:

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، وسمه محمدا.

ويمر الليل رويدًا رويدًا وآمنة راقدة فى شعب بنى هاشم، وفى زقاق من هذا الشعب حيث دارُ عبد الله، التى أعدها عبد المطلب لابنه يوم أن أعفته الأقدار من ذبح ولده.

ترقد آمنة فى هذه الدار [1] وهى تتأمل تاريخ إنشائها والأحداث التى مرت بها فيها.

ولكنها ما كانت تستطيع أن تمزق حجب المستقبل لتعلم أن هذه الدار ينتظرها أحداث عظام، بعضها مفرح مبهج، وبعضها مؤلم حزين.

ولو قد أذن لجدران هذه الدار وأسقفها وأرضها أن تتكلم، لتكلمت مبتسمة مرة ولتكلمت بدمع العيون وحرقة المشاعر مرة أخرى.

لو أذن لهذه الدار أن تتكلم لقالت فرحة مزهوة لآمنة: يجب أن تصغى لى إصغاء تاما، فإنى سأشهد ميلادًا ومولودا، لم يتح لمثلى من بقاع الأرض بقعة تشهد هذا الميلاد ولا هذا المولود.

ثم إنى وحدى من بين بقاع الأرض التى سأشهد نبى هذه الأمة صبيا، وشابًا فريدا، وزوجًا متوددا، وأبًا رحيما حوله البنون والبنات فى أى عمر يكون البنون، وفى أى عمر تكون البنات.

ثم تواصل الدار حديثها إلى آمنة لو أذن للدار أن تتكلم مبتسمة مزهوة: اعلمى

---

(١) راجع البداية والنهاية لابن كثير جـ ٢ ص ٢٦١، وسبل الهدى والرشاد جـ ١ ص ٤٠٨ وغيرهما.

يازَهرة بنى زُهرة أنى من بين بقاع الأرض سأشهد المزمل، وسأشهد المدثر.

وما المزمل وما المدثر إلا هذا الوليد، الذى ستعيذينه بعد قليل بالواحد من شر كل حاسد وتسميه محمدا.

وما هذا المزمل وما ذاك المدثر إلا هذا الذى أعذتيه بالواحد من شر كل حاسد، فنشأ بأعين القدر، ورباه ربه، وآواه خالقه، وهداه إلهه، وأغناه الغنى الحميد.

وما هذا المزمل وما ذاك المدثر إلا محمدًا الذى شرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره.

وما هذا المزمل وما ذاك المدثر إلا محمدًا الذى آتاه جبريل على رأس الجبل ليضمه ويرسله، ثم يقول له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ*خَلَقَ الإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ*الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ*عَلَّمَ الإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

وما كان لهذا المدثر أن يبقى فى دثاره، وما كان لهذا المزمل أن يبقى مزملا، حيث جاءه الوحى هنا وعلى هذه البقعة عديمة الشبيه والنظير، ليقول له: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ*قُمِ الَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً*نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً*أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾.

﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ*قُمْ فَأَنذِرْ*وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ*وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ*وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ*وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.

لو أذن للدار أن تتحدث مع آمنة عن المستقبل لبدأتها بالحديث مبتسمة فخورة، لا تستعمل إلا الأفعال الماضية، تعبر بها عن المستقبل المحتوم، الذى شاء الله أن لا تتخلف حوادثه.

وآمنة زَهرة بنى زُهرة تتنصت إلى الدار فرحة مسرورة بما ستستقبله الدار من أحوال الوليد القادم.

غير أن الدنيا لا تصفو دائما، ولا تحلو فى معظم الأحايين.

نظرت آمنة إلى الدار وتنصتت، فإذا بالدار تتنهد وتخرج زفرة كأنها قطعة من لهيب جهنم.

واكفهر الجو قليلا، وإذا بالدار تقول: ياأم محمد إنى سأشهد حدثًا عجيبًا بل أحداثا، إنى سأشهد الحدث الجليل يوم يُخْرِجُ الناسُ الوليدَ من مكةَ، لا لشيء إلا لأنه أراد أن يخرجهم من الظلمات إلى النور: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾.

ثم تتنهد الدار أخرى لتقول: ياأم محمد اعلمى أن وليدك لن يكافئ السيئة بالسيئة، ولو أراد لفعل، إنى سأشهد حدثًا سيجتمع فيه الشباب الغريونَ بقيادة فرعون هذه الأمة لينهشوا لحم هذا الوليد ويريقوا دمه، لتخلص لهم الدنيا بشرورها، ويتخلصوا من ومضة الخير فيها.

ومع ذلك ياأم محمد فإن وليدك المرتقب سيشغله شاغل عظيم وهو يترك مكة، وهذا الشاغل هو أموال هؤلاء الفجرة ونويهم التى استأمنوه عليها، ولن يهدأ لهذا الوليد بال إلا بعد أن يدبر الأمر قبل هجرته، ويترك ابن عم له سيولد فيما بعد ويسمى علىَّ بن أبى طالب شقيق أبيه، ويطلب إليه أن يرد الأمانات إلى أهلها.

ثم تتنهد الدار مرة أخرى وتقول: ياأم محمد إن القادم الجديد بعد هجرته سيتنازل عنى – حبًا وكرامة – لعقيل بن أبى طالب ابن عمه الذى سيبيعنى فيما بعد إلى محمد بن يوسف الثقفى من أهل ثقيف بالطائف، الذين أبوا أن يضيفوا النبى ﷺ والذين معه.

ثم أجهشت الدار بالبكاء لتقول: ياأم محمد أتعلمين ما مصيرى الأخير، إنى سأقع فى آخر الزمان فى يد أناس لا يرحمون، فيحولوننى إلى أماكن يزدريها الناس أو إلى أماكن مغلقة لا يلتفت إليها أحد.

أرأيت يازهرة بنى زهرة؟!.

أرأيت ياأم محمد أفعال بنى الإنسان؟!.

توشك الليلة المباركة على الانتهاء وآمنة على غير المشاعر الطبيعية.

يفرض عليها خيالها صورًا مرت بها فى الماضى فتفرح وتألم.

وتتنصت إلى الدار مرة وهى فرحة، وأخرى وهى مكلومة، فتفرح آمنة وتألم.

ويخرجها من ذلك كله دعاء الهاتف: لقد حملت بسيد البشر، فإذا انفصل عنك فقو

أعيذه بالواحد الأحد من شر حاسد إذا حسد، وسميه محمدا.

استدعاء القابلة:

وما كان لآمنة أن تبقى هكذا وحدها فى حجرة الزوجية، القارة على يمين الداخل إلى البيت من الجهة الشمالية، والتى تفتح على هذا البهو الكائن على يسار الداخل.

ما كان لآمنة أن تبقى كذلك وحدها فى هذه المساحة التى تتسع نسبيا على فرد واحد، إذ هى موجودة فى حجرة عرضها ستة أمتار، وطولها اثنا عشر مترا، ومطلة على فناء فى نفس طولها وعرضها.

من أجل ذلك رأت آمنة أن تقطع عنها هذا الخيال الذى تتلاحق صوره، متصلا بالماضى والحاضر فى عالمين من الذكريات والآمال.

وما كان لزهرة بنى زهرة أن تستدعى قابلة من القابلات أينما اتفق، ما كان فى سيدات بنى زهرة من يقمن بهذا العمل.

فأرسلت آمنة من أجل ذلك إلى – الشَّفاءَ – وهى العنقاء بنت عوف ابن الحارث بن زهرة.

فأقبلت إليها وخفت إلى طلبها لا تلوى على شىء.

وأقبل مع العنقاء قريبات آمنة يقبلن جميعًا مسرعات الخطى، آمّات شعب بن هاشم.

وحين أَقْبَلْنَ إلى هذا الزقاق الشهير، وأَبْصَرْنَ هذا الدرج الحجرى من الجهة الشمالية للدار التى يَعْرِفْنَهَا ولا ينكرن منها شيئا، صعدن الدرج، ودلفن من هذا الباب الذى يؤدى بهن إلى بهو متسع على يسار الداخل، فانحرفن يمينا إلى هذه الحجرة التى ترقد فيها آمنة، وإذا بها هذه الحجرة المستطيلة يمتد طولها من الشمال إلى الجنوب فى اثنى عشر مترا، وعرضها من الغرب إلى الشرق فى ستة أمتار، وهى مقببة بالخشب لكى تناسب طقس مكة فى الصيف والشتاء.

لقد دخلن بصحبة الشَّفاءَ إلى هذه الحجرة مرقد آمنة، وإذا بهذه الحجرة مجموعة من النساء، هن كريمات بنى هاشم، سلائل الشرف والسؤدد.

وجلس الجميع حول آمنة يأخذهن العجب بعد العجب، إذ هن يرين آمنة وقد رقدت هادئة ترتسم النضرة على وجهها، وتستقر السكينة فى نفسها، لا تبدى شيئا من ضجر، ولا تعلن شيئا من تألم.

وكيف يكون لأم محمد القادم أن تشعر بشىء من ضجر، أو تشعر بشىء من ألم، والقادم هو الذى أخبر عنه ربه فيما بعد: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

بشراك ياآمنة فقد ذهب عنك الألم بسبب هذه الرحمة المهداة، كما ذهب عنك كل ألم الدنيا، وكل ألم الآخرة مهما كانت رغبات الشانئين عليك، والراغبين فى إيذاء النبى ﷺ من خلالك، أو من خلال فتى قريش الذى ارتبط اسمه باسمك فى الأولين والآخرين.

اجتمع النسوة فى بيت عبد الله بن عبد المطلب، وقد أوشك فجر العشرين من أبريل من سنة خمسمائة وإحدى وسبعين من ميلاد المسيح عيسى بن مريم أن يبزغ، ليكون إعلانا بقرب مطلع النور من جبال فاران.

وما كان العرب يؤرخون بمثل هذا التاريخ.

وما كان للعرب بداية تاريخ متفق عليه.

ولقد شاء الله عز وجل أن يحدث لهم فى الكون حدثًا اجتماعيا فيه الكثير من المبشرات بمطلع النور الجديد، وهو حدث الفيل الشهير.

اجتمع النسوة فى بيت عبد الله ينظرن آمنة بنت وهب، فيأخذهم القلق، إذ ما يرونه من حال آمنة غير ما تعودن رؤيته من قبل من أحوال السيدات عند المخاض.

فدار الهمس، كل واحدة تريد أن تعرف الحقيقة.

وانقسم رأى النسوة الحاضرات إلى قسمين:

فمنهن من تقول: إن المظاهر التى ظهرت على آمنة ما هى إلا مظاهر حمل كاذب، وليس فى بطنها من الأجنة شىء قليل كان هذا الشىء أو كثير.

ومنهن من قالت معلقة على هذا الرأى: إن هذا الذى تقلنه ما هو إلا إفراط فى التشاؤم الذى يؤدى إلى التجنى على الحقيقة، وكل ما هناك أننا قد دعينا إلى [illegible]

يحن وقته بعد، وما آمنة إلا واحدة تستقبل الحمل لأول مرة، ولم يسبق لها أن عاشت تجربته، فأخطأت فى حساب أيامها، وعلينا أن ننصرف عنها إلى أن يأتى وقت مخاضها.

تجاذب النسوة أطراف الحديث، وإذا بالمفاجآت الكبرى.

إذا بالكون يبتسم، فتكون ابتسامة الكون نورًا تراها المجتمعات، وتعبر عنها الشِّفاءُ القابلة فيما ذكرته ونقلناه لك من حديث.

وإذا بآمنة ترى نورًا يخرج منها، وترى من خلال ضوء هذا النور، أنه يضىء لها بُصْرَى وهى من أعمال دمشق فى بلاد الشام.

ولم تكن آمنة قد انتهت فى يوم من الأيام إلى بلاد الشام زائرة أو متجرة، ولكنها أخبرت بهذا الموقع الذى رأته بأنه هو هذا الموقع الذى يتحدث الناس عنه ويسمونه: بصرى، وأنه هو هذا الموقع الذى يدخل فى أعمال دمشق من بلاد الشام.

ومن الأمور التوفيقية أو القدرية أن بصرى هذه كانت من أوائل ما وقع فى يد المسلمين أيام الفتح، فتذكر المسلمون ما قالته آمنة عن النور الذى ظهر لها يوم ميلاد الهدى.

أمور عظيمة شاهدتها الأعين، وليس بعد ما تراه الأعين رغبة لمستزيد.

الميلاد المبارك:

شاهدت الأعين ما شاهدت، وقطعت المشاهدة جميع الاحتمالات حين فرض الواقع نفسه على الْمُجْتَمِعَاتِ.

تُرَى ماذا يكون هذا الواقع الذى فرض نفسه؟.

إنه هذا الميلاد العظيم لذلك النبى الأعظم ﷺ.

ولا يهمنا بعد هذه العظمة أن يكون النبى ﷺ قد ولد مختونًا مقطوع السرة أم. لا. ؛ فما مسألة الختان، وما مسألة قطع السرة سوى أمور عارضة لا تضيف شيئا لعظمة النبى ﷺ إن وجدت هذه الأمور، ولا تنتقص شيئا من عظمته إذا لم توجد.

ومع ذلك فإن كثيرًا من روايات التاريخ تذكر أن النبى ﷺ قد ولد هكذا مختونا

مقطوع السرة.

وأقول من روايات التاريخ لأننا نحن الآن فى فترة من الزمن هى تلك الفتـرة التـى نتحدث عنها، والتى شهدت ميلاد رسول الله ﷺ لم تكن منضبطة بمنهج المحدثين، وإنمـا كانت الروايات المتصلة بها منضبطة على مناهج المؤرخين.

والمؤرخون يقبلون من الروايات ما لا يخضعونها إلى قواعد الحديث فى الرواية.

وكل ما هنالك هو أن المشتغلين بفحص روايات التاريخ إنما تحكمهم دراياتهم بفلسفة هذا التاريخ، أو بقواعد علم الاجتماع.

وأنا أحيلك هنا إلى مقدمة عبد الرحمن بن خلدون لتقف على القواعد التـى اقترحهـا ليتأكد الباحث فى التاريخ من روايات التاريخ على أساس منها.

وبعد هذا البيان المبسط أقول: إنى سأنقل إليك من لفظ ابن كثير بتعليقاته مـا يعـالج القضية التى نحن بصددها، وسترى من تحفظات ابن كثير ما يفيد أنه يريـد أن يخضـع روايات التاريخ إلى ضوابط المحدثين فى الرواية.

ولو أنه قد فعل ذلك فيما نقله فى جزئه الأول بتمامه من كتابه هذا الموسوم بـ (البداية والنهاية) لما صح بين يديه عشر معشار ما ذكره.

ولو أنا ألزمنا المؤرخين فى القديم والحديث بمنهج المحدثين لما خلصت لنـا روايـة واحدة من روايات هذا التاريخ.

والمقصود مما ذكرناه هو ما يجب علينا فعله هو أن نحاكم كل علم إلى قواعده، وأن نعتمد من كل فن ما نعتمده على أساس من معياره.

ومع ذلك فإنى سأنقل بين يديك ما نقله الرواة، وذكره عنهم ابن كثير وتحفظه علـى جميع ما ذكر.

يقول الحافظ بن كثير رضى الله عنه: [حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمـة عـن ابـن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال: ولد رسـول الله ﷺ مختونـا مسرورا، قال: فأعجب جده عبد المطلب وحظى عنده، وقال: ليكونن لابنى هذا شأن فكان

له شأن].

قال ابن كثير: (وهذا الحديث فى صحته نظر).

ثم ذكر له طريقًا أخرى قال: [وقد رواه الحافظ بن عساكر من حديث سفيان بن محمد المصيصى عن هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: من كرامتى على الله أنى ولدت مختونا ولم ير سوأتى أحد].

وذكر ابن كثير أن ابن عساكر قد ذكر هذا الحديث أيضًا عن الحسن بن عرفة عن هشيم.

ثم ذكر رواية بسندها إلى عبد الله بن عمر قال: [ولد رسول الله ﷺ مسرورًا مختونا].

ثم نقل عن أبى نعيم بسنده إلى ابن عباس عن أبيه العباس قال: (ولد رسول الله ﷺ مختونا مسرورا، فأعجب ذلك جده عبد المطلب وحظى عنده، وقال: ليكونن لابنى هذا شأن، فكان له شأن].

ويعلق ابن كثير على آحاد هذه الروايات بأنها فيها نظر، ولكنه نقل رأى العلماء فى الحكم على مجموع هذه الروايات حين انضم بعضها إلى بعض فقال: [وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق حتى زعم بعضهم أنه متواتر].

وعندى أن دعوى التواتر هنا المقصود بها المشهور، لا هذا التواتر الاصطلاحى الذى يعرفه الناس.

ولقد استرسل ابن كثير مع حكمه الذى حكم به على آحاد هذه الروايات يشرح المراد بما ورد فيها فقال: [ومعنى – مختونا – أى مقطوع الختان، و– مسرورًا – أى مقطوع السرة من بطن أمه].

ومما ينبغى ذكره هنا ما رواه المؤرخون من أن النبى ﷺ حين ولد، نزل جاثيا على ركبتيه رافعًا رأسه إلى السماء، أخذ قبضة من تراب الأرض، وقبض عليها فى إشارات واضحة يعلمها من يعلمها، وينصرف عنها من ينصرف عنها.

وابن كثير هذه المرة يروى هذه الصفات من طرق عن آمنة بنت وهب وغيرها دون أن يتحفظ عليها.

وهى روايات لا تختلف كثيرًا عن تلك الروايات التى تحفظ عليها من قبل.

وجملة القول: أن النبى ﷺ قد ولد ولادة نظيفة، لم يجهد أمه فى ولادته، وقد صاحبته أمور أخذت بأبصار المحيطين به وبصائرهم، ومن أوائلهم أمه ومن أحطنَ به وبأمه من نساء بنى زهرة وبنى هاشم.

ولله فى خلقه شئون وحكم منها: أن الله عز وجل لا يفاجئ الكون بالأحداث العظام، وإنما يكون لكل حدث عظيم إرهاصاته.

وما هذه الأشياء التى صحبت ميلاد النبى ﷺ وقدمت له، إلا إرهاصات لنبوة هذا النبى ﷺ (١).

عبد المطلب يتلقى البشرى:

وما كان لعبد المطلب وهو جد النبى ﷺ أن تمر عليه هذه الليلة وتلك الأحداث ينعم بالنوم ويستمتع بأحلام الكرى.

وما كان لعبد المطلب وهو جد النبى ﷺ أن يتناسى لحظة طالما منى نفسه باستقبالها والاستمتاع بها، ربما يجد فيها ومن خلالها ما يرفع عن كاهله أوزار خبر قد أتاه من يثرب منذ شهور لا يعدو أن يكون سوط عذاب يلهب نفسه صباح مساء، حيث علم بأن الذبيح قد سافر عنه سفرة لا يؤوب من مثلها الذاهبون.

وما كان لعبد المطلب أن ينعم بالكرى، وهو الذى يسمع ما يحيط به من أخبار فى مكة وفى غير مكة، تتحدث عن نبى قادم له صفات معينة كلها تشير بالبنان إلى أن هذا النبى القادم ﷺ لن يخطئه هذا الحى من قريش، ولن يخطئ هو هذا الحى من قريش.

بل إن هذه الصفات تشير وبشكل واضح إلى أن هذا النبى القادم ﷺ لن يخطئ هذه

---

(١) راجع ابن كثير – بداية جـ ٢ ص ٢٦٤ وما بعدها، ومحمد يوسف الصالحى سبل جـ١ – ص ٤١٢ وما بعدها.

الدار فى هذا الزقاق المتصل فى شعب بنى هاشم، والتى جمعت بين زهرة بنى زهرة وهذا الفتى الذى نجّا من الذبح ونجا من سفاسف الأخلاق، وهو الناجى عند ربه بمشيئة ربه.

ما كان لعبد المطلب أن يعيش هادئا هذه الليلة، وأن يستسلم لهذا النوم العميق الذى استسلم إليه كل إنسان لا يشغله شيء من عظائم الأمور ولا حتى من صغائرها.

والشأن فى أمثال عبد المطلب الذين قد أحاطت بهم أحوالهم، أنهم قلقون ينتظرون خبرا، ولولا حياء الرجال فيه وترفعه على صغائر الأمور؛ لتردد على بيت آمنة يتنصت خبرًا من خلال أحاديث النسوة حول آمنة، لعله يريحه من قلقه، أو يهدهد شيئا من اضطرابه.

إن الظن بشيخ بنى هاشم وعميد مجتمعهم، أنه ليس أمامه من مفر، وليس عنده من بديل يريحه ويهدئ من اضطرابه، فأسلم نفسه للطرقات إسلام من يذرع طرقات مكة وفجاجها يريد أن يعرف طول كل فج وعرضه، وصفة كل طريق على نحوه.

وما هو بالذى يريد ذلك ولا ذاك، وإنما هو يقوم بما يقوم به قطعًا للوقت وصمته، وإقصاء لشبح القلق وقسوته.

وما هو إلا أن انشق نور الفجر، وبدا انسلاخ النهار من الليل حتى سمع صوت البشرى، ياعبد المطلب إنه قد ولد لك، فاقترب عبد المطلب من مصدر الصوت الصادر من بيت الفضل والكرم فى شعب بنى هاشم، وعلم أن الصوت الذى يناديه إنما هو صوت الشِّفاءَ التى هى العنقاء بنت عوف بن الحارث سليلة زهرة بن عبد مناف من أبناء عمومته، فلما اقترب منها أخبرته الخبر قال: أرونى ابنى.

أو أن الصوت الذى سمعه صوت جارية آمنة التى آنست وحدتها بعد فراق زوجها.

جاء فى البداية لابن كثير نقلا عن ابن إسحاق أن آمنة بعد أن وضعت النبى ﷺ، أرسلت إلى جده جاريتها [فقالت: قد ولد لك غلام فانظر إليه، فلما جاءها أخبرته وحدثته بما كانت رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت أن تسميه. فأخذه عبد المطلب فأدخله على هبل فى جوف الكعبة].

تُرَى ما الذى يمكن أن تقوله آمنة بنت وهب حين أقبل عبد المطلب استجابة لدعوتها التى كان ينتظرها، أو استجابة لدعوة القابلة التى أرادت أن تبشره بمولوده الجديد؟.

إن مثل آمنة لا يمكن أن تقول شيئا إلا ما قد رأته فترة الحمل، وما قد رأتــه لحظــة الميلاد متصلا بهذا الوليد.

وقد ترى الحوامل من النساء أمورًا تخدش حياءهن أن يذكرنها فى محضر الرجال.

أما ما رأته آمنة فإنه شىء يزهو به الرجال والنساء على السواء.

فما عسى أن تكون آمنة قد رأته وتحب أن تذكره فى هذه اللحظة لجده عبد المطلب؟.

ذكر محمد بن إسحاق أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث: [أنها أُتِيــت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك قد حلمت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولى: أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، من كل بر عاهد وكل عبد رائد، يذود عنى ذائد، فإنه عند الحميد الماجد، حتى أراه قد أتى المشاهد. وآية ذلك أنه يخرج معه نــور يمــلأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وقع فسميه محمدا.فإن اسمه فى التوراة أحمد يحمــده أهل السماء وأهل الأرض واسمه فى الإنجيل أحمد يحمده أهل الســماء وأهــل الأرض، واسمه فى القرآن محمد].

وعند محمد بن سعد فى طبقاته بسنده إلى ابن عباس: [أن آمنة بنت وهب قالت: لقــد علقت به – تعنى رسول الله ﷺ – فما وجدت مشقة حتى وضعته، فلما فصل منى خــرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب، ثم وقع إلى الأرض معتمدًا على يديه، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء].

قال ابن كثير: [وقال بعضهم (يعنى المؤرخين والرواة وكتاب السير) وقع جاثيا على ركبتيه، وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رؤيــت أعنــاق الإبــل ببصرى، رافعًا رأسه إلى السماء].

هذا ما يمكن أن تقوله آمنة، وقد شاهد بعضه اللائى يحطن بها من النسوة.

فقد ذكر البيهقى بسنده إلى عثمان بن أبى العاص قال: [حدثتنى أمى أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله ﷺ ليلة ولدته، قالت فما شىء أنظره فى البيت إلا نور، وإنــى

أنظر إلى النجوم تدنو حتى أنى لأقول ليقعن علىّ].

أما القاضى عياض فقد ذكر عن قابلته – الشِّفاءَ – أنها أخبرت به حين سقط على يديها واستهل سمعت قائلا يقول: يرحمك الله، وإنه سطع منه نور رؤيت منه قصور الروم (١).

عبد المطلب يشكر رب البيت:

هكذا أقبل عبد المطلب إلى بيت آمنة يستحث الخطى، لا تقعد به شيخوخته، ولا يحول بينه وبين الإسراع مكانته وهيبته.

وهكذا يأتى عبد المطلب ملبيا دعوة آمنة، وما أن رآها وتحدثت إليه بما رأت حتى أصغى إليها بفؤاده قبل آذانه، يلتقط بقلبه كل كلمة تقولها وترسمها يد القدر فى فؤاده.

لقد ذكرت له جميع المشاهد التى رأتها ورآها معها نسوة من بنى زهرة، ونسوة من بنى هاشم.

ولقد ذكرت له ما سمعته من الهاتف من خبر وتوصيات.

لقد أوصاها الهاتف أن تعيذه بالواحد من شر كل حاسد.

وما أكثر الحاسدين فى المجتمعات المغلقة.

وما أكثر الحاسدين فى مجتمعات اليهود وهم على مقربة منها ومن وليدها، حين تغتم نفوسهم، وتضيق أفئدتهم لخروج النبوة من بنى إسحاق، لتستقر فى بنى إسماعيل.

ولقد أوصى الهاتف آمنة أنه إذا انفصل عنها وليدها فلتسمه محمدا.

ثم أخبر الهاتف آمنة بأن هذا الوليد قد سمى من قبل فى الكتب المقدسة، فهو فى التوراة والإنجيل أحمد، وهو فى القرآن الذى لم يسمع به أحد إلى هذا العهد محمد.

أصغى عبد المطلب بِجُمَّاعِ فؤاده إلى آمنة تحدثه، ثم تذكر رؤياه، كما تذكر تعبير هذه الرؤيا.

---

(١) راجع ابن كثير – بداية جـ ٢ ص ٢٦٣ وما بعدها.

لقد تذكر أنه رأى فيما يرى النائم أنه قد انفصلت عنه سلسلة أصلها في السماء وطرفاها يمتدان شرقًا وغربا.

فلما سأل عن تعبير هذه الرؤيا، قالوا له: إنك سيولد لك ولد له شأن وأى شأن.

ولقد رأى عبد المطلب فى منامه من يأمره أن يسمى ولده محمدًا ليكون محمودًا في الأرض ومحمودًا فى السماء.

ولقد سمع عبد المطلب كلام آمنة، فالتقى فى حاضرة نفسه مع ما رآه فى منامه.

وعبد المطلب لم يشأ أن يدفع عنه مدلولات هذه الرؤيا، وهو الذى قد رأى منذ فترة ليست بالطويلة من يأمره بحفر زمزم ويحدد له مكانها بدقة، وما هى إلا أيام بذل فيها بعض مجهوده حتى صدق الواقع رؤياه.

أو ليست هذه تجربة تحمله على ألا يدفع عن نفسه ما يراه وما تراه آمنة اليوم؟.

لقد أصبح النبى ﷺ بين أمه وجده وذويه أمرًا واقعا، فلماذا لا يأخذه جده ويذهب به إلى جوف الكعبة يناجى رب الكعبة دون سواه؟.

ولم لا يناجى رب الكعبة ويشكره، وهو الذى ناداه فى هذا العام حين اشتد الأمر وعظم الخطب فى يوم أبرهة، وقد اشتد عليه فى القول حين قال له عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل، وإن للبيت ربًا يحرسه ويحميه.

وما زالت كلمات أبرهة ترن فى أذن عبد المطلب وهو يقول بصلف الكافر: أوَ يمنعه منى؟! وعبد المطلب يقول له بإيمان المؤمن: أنت وذاك.

لقد ذهب عبد المطلب ساعتها يقول لربه:

لَّاهُمَّ إِنَّ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ رِحَالَكَ

وَانْصُرْ عَلَى آلِ الصَّلِيبِ وَعَابِدِيهِ الْيَوْمَ آلَكَ

إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَقِبْلَتَنَا فَافْعَلْ مَا بَدَا لَكَ

وما هى إلا ساعات حتى فرج الله الهم وأزاح الغمة وأصبح أبرهة ورجاله كالعصف المأكول.

تذكر عبد المطلب دعاءه هذا الذى نادى به رب البيت فى هذا العام وقبل وقت ليس بالطويل من ميلاد محمد ﷺ.

أيجوز مع هذه البشائر أن يتوجه عبد المطلب بالشكر لغير رب هذا البيت؟.

حمل عبد المطلب سيدنا محمدًا ﷺ إلى جوف الكعبة يناجى ربه ويناديه، يحصنه بأسماء الله ودعائه إياه هذا المولود الجديد، الذى أخبرته آمنة أنه قد سمى فى التوراة والإنجيل أحمد، وفى القرآن الذى لا يعرفون عنه شيئا محمدًا.

دخل عبد المطلب إلى جوف الكعبة على ما روى محمد بن إسحاق والنبى ﷺ معه قد أدخله بصحبته إلى جوف الكعبة، ثم قام عبد المطلب يدعو ويشكر الله عز وجل ويقول:

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِى أَعْطَانِى ... هَذَا الْغُلاَمَ الطَّيِّبَ الأَرْدَانِ
قَدْ سَادَ فِى الْمَهْدِ عَلَى الْغِلْمَانِ ... أُعِيذُهُ بِالْبَيْتِ ذِى الأَرْكَانِ
حَتَّى يَكُونَ بُلْغَةَ الْفِتْيَانِ ... حَتَّى أَرَاهُ بَالِغَ الْبُنْيَانِ
أُعِيذُهُ مِنْ كُلِّ ذِى شَنَآنِ ... مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْعَنَانِ
ذِى هِمَّةٍ لَيْسَ لَهُ عَيْنَانِ ... حَتَّى أَرَاهُ رَافِعَ اللِّسَانِ
أَنْتَ الَّذِى سُمِّيتَ فِى الْقُرْآنِ ... فِى كُتُبٍ ثَابِتَةِ الْمَثَانِى
أَحْمَدُ مَكْتُوبٌ عَلَى اللِّسَانِ

تَسْمِيَتُهُ ﷺ

هكذا ولد الهدى ﷺ.

وهكذا أرسلت آمنة فى طلب جده عبد المطلب.

وهكذا أقبل عبد المطلب واستمع إلى آمنة بنت وهب، تقص عليه ما رأت وما سمعت، وحديثها يثير عند الشيخ ما رآه هو الآخر وما سمعه.

وما رآه الشيخ فى نومه هو أنه وجد أن سلسلة من الفضة تخرج منه، لها طرف إلى الأرض وآخر إلى السماء، ولها طرف إلى الشرق وطرف إلى الغرب، ثم تتحول هذه كلها إلى شجرة ذات أوراق، ينتشر على أوراقها الخير والنماء والضياء.

والشيخ يستمع إلى آمنة وهو يذكر ما عُبِّرَ له من رؤياه، فيطابق هذا على ذاك، ولا ينكر شيئًا من هذا أو ذاك، ثم تنهى آمنة حديثها إلى الشيخ برجاء أن يُسَمِّيَهُ الشيخُ محمدًا.

وتلاقت الرغبتان لتنتهيا بالشيخ والأم إلى تسمية القادم الجديد.

بَيْنَ الاسْمِ والْمُسَمَّى:

والناس يعلمون جميعًا أنه لابد لكل موجود من اسم.

وأقل وظائف هذا الاسم أنه يكون قرينا للمسمى، بحيث يتمكن غيره أن يستدعيه أو يتحدث عنه بواسطة هذا الاسم.

ومع ذلك فإن للأسماء وظائف أخرى غير وظيفة استدعاء المسمى أو الحديث عنه.

ولكى يتضح الأمر شيئا ما من الاتضاح نقول: إن الأسماء فى اللغة العربية يمكن تسميتها باعتبار علاقاتها بالمسمى إلى ثلاثة أقسام:

أ – العَلَمُ: والعلم فى الكثير الأغلب هو هذا الاسم الذى وضع للمسمى لكى يدل عليه دلالة مباشرة، لا يحتاج معها إلى شىء فوق هذا الاسم، فهو لا يحتاج لكى يدل على مسماه إلى إشارة أو إلى جملة شارحة مثلا.

وفى الغالب يكون هذا الاسم الدال على صاحبه هو الذى وضع له عند ميلاده، وظل المقربون منه يلحون بهذا الاسم مرتبطًا بمسماه على الأذهان، حتى يتصوره الناس مرتبطا

بمسماه طبقًا لنظرية الارتباط الشرطي المعروفة.

ب – اللَّقَبُ: واللقب نوع آخر من الأسماء يدل على مسماه بإضافة شيء آخر من الرفعة أو الخسة.

ومن هذا النوع هذه الألقاب العلمية، أو هذه الألقاب الاجتماعية التي يحصل عليها الإنسان ببذل المجهود في مجالات معينة بسببه يحصل المرء على لقب أو أكثر.

ومن هذه الألقاب: تلك الألقاب التي يحصل عليها المرء بسبب اشتهاره بهذه الأفعال أو الأقوال الدونية، التي يبغضه بسببها المحيطون به، والذين يقفون على كثير من أحواله.

وقد يكون للمحيطين به عذر في إلصاق هذه الألقاب وإطلاقها عليه.

لكن المجتمع والأفراد يعابون دينيا، بحيث لا يعذرهم الشرع فيما يفعلون إذا قاموا بإطلاق ألقاب على إنسان يذمونه بها وهي ليست من صنعه، وليس له من يد في فعل مسببات هذه الألقاب أو تركها.

ولو أن الأفراد والجماعات ارتكبوا مثل هذه الحماقات في حق إنسان، فإنهم بهذا الفعل الذي يفعلونه إنما يعرضون أنفسهم للطرد من رحمة الله.

جـ – الْكُنْيَةُ: ومن الأسماء التي تتسع لها اللغة العربية مرتبطة بمسمياتها هذه الكنى المشتهرة على ألسنة الناس.

والكنية من الأسماء: هي ما تبدأ بأب وأم وبنت وابن.

ودلالات هذه الكنى على أصحابها مشتهرة بين الناس اشتهارًا عظيما.

الْعَلَمُ لا يُشعِرُ بِرِفْعَةٍ ولا خِسَّةٍ غالبًا:

والأمر المتعارف عليه لُغَوِيًّا أن الأعلام من بين هذه الأنواع الثلاثة، ليس له عند كثير من الناس من معنى فوق ما ذكرناه لك من استدعاء المسمى أو الحديث عنه.

أما أن يتحول العلم إلى صفة للمسمى فهذا من القليل النادر.

فكم من إنسان يسميه أهله في صغره كريما وهو شديد البخل.

وكم من إنسان سماه أهله يحيى في صغره تفاؤلا له بطول العمر، فلم يتم أيام

رضاعه.

وكم من إنسان سماه قومه حساما ليكون شجاعا، فنشأ وهو يحسب أن كــل صــيحة عليه فيذوب منها فَرَقًا..إلخ.

ومن هنا فإن الأمر المقطوع به أن اللغة العربية لا تطلب من الاسم العلــم أن يــدل على شيء في المسمى، سوى إقباله عند الطلــب، أو أن يســتوعب الْمُخَاطَــبُ حــديث المتحدثين عنه.

مُمَيِّزَاتُ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ ﷺ:

أما النبى ﷺ فقد خرج بأسمائه عن هذه الأغلبية فى الناس.

فما من اسم من أسماء رسول الله ﷺ إلا وله دلالة فيه، مما يجعلنا نقول بارتياح: إن كل اسم علم لرسول الله قد جمع خواص اللقب الذى يستعمل فى المــدح، وضــمها إلــى خواص الْعَلَمِ ليكون اسم النبى ﷺ علما وصفة فى وقت واحد.

وقد نقف بك وقفات عند بعض أسمائه ﷺ، فنضىء الطريق أمامك إليهــا، وســوف ترى بنفسك أنه ما من اسم من أسماء رسول الله ﷺ إلا وفيه حقيقة العلم والصــفة علــى السواء، أو قُلْ فيه حقيقةُ العلم واللقب الذى يفيد صفة المدح.

مُحَمَّدٌ ﷺ:

وأول أسمائه ﷺ هو هذا الاسم الشهير (محمد ﷺ) وهذا الاسم المبارك الكــريم هــو أول من تسمى به رسول الله ﷺ بين قومه، فكانوا ينادونه به وهم يدركون مــن ينــادون وعلى أى الصفات يكون.

الَّذِينَ تَسَمَّوْا بِهَذَا الاسْمِ قَبْلَهُ:

ولم يكن هذا الاسم شائعًا فى العرب ولا معروفًا عند الناس.

ولكنه قد بدا يظهر قبيل ميلاده ﷺ لسبب معروف.

وهذا السبب أنه قد أشيع فى العالمين أنه قد أظل زمان سيظهر فيه نبى من العــرب واسمه (محمد).

والذين أشاعوا هذا الحديث هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

ولما كان للعرب رحلات إلى بلاد الشام واليمن وغيرهما، فقد تسامعوا بهـذا النبـى القادم، وعلموا أن ظهوره محتوم، فرغب بعض العرب أن يكون هذا القادم الجديـد فـى أولاده، فسمى بعض الناس أبناءهم محمدا.

وقد أحصى الباحثون المهتمون بهذه الفترة من الزمن، وبهذا النوع من الدراسات كل من كان اسمهم محمدًا فى الجاهلية.

فأحصاهم بعضهم نثرا، وأحصاهم بعضهم نظما.

وهم: محمد بن أسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر، ومحمد بن الْبَرِّ، ومحمـد ابـن الحارث بن حديج، ومحمد بن حرماز، ومحمد بن حمران بن أبى حمران، ومحمـد بـن خزاعى، ومحمد بن خولى الهمدانى، ومحمد بن سفيان بن مجاشـع جـدُ جـدِ الفـرزدق الشاعر المشهور، ومحمد بن عدى بن ربيعة بن سواد وهو السعدى، ومحمد بن عقبة بـن أحيحة بن الحلاج الأوسى، ومحمد بن عمر بن مُغْفِلٍ، ومحمد بن اليحْمِدِ الأزدى، ومحمـد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة، ومحمد الأسدى، ومحمد الفقيمى، ومحمد بن مسلمة.

وَذَكَرَهُمْ بَعْضُهُمْ نَظْمًا فَقَالَ:

إن الذين سمـوا باسـم محمـد	من قبل خير الخلق ضعف ثمان
ابن لبر مجاشـع بـن ربيعـة	ثم ابن مسلم محمدى حزمـان
ليثـى هو السلمى وابن أسـامة	سعدى وابن سوادة همـدان
وابن الحلاج مع الأسيدى يافتى	ثم الفقيمى هكذا الحمـران [1]

ومع تعدد هذه الأسماء، أو قل مع تعدد هذه الشخصيات التى تسـمت بهـذا الاسـم (محمد)، فإن الله عز وجل لم يتح لواحد منهم أن يدعى النبوة فى قومـه، ولا فـى غيـر قومه، إذ لم يسجل التاريخ روايات صادقة أو كاذبة تقول: إن هناك من تسمى بمحمـد أو

---

(١) قد اقتصر القاضى عياض على ستة ممن ذكروا هنا وقال معقبًا (لا سابع لهم) راجع الشـفا جـ١ ص٢٣٠.

أحمد قد ادعى النبوة قبل النبى ﷺ فى عرب أو عجم.

وهذه الملاحظة قد لاحظها كثيرون فى الماضى والحاضر.

والأستاذ عبد الأحد داود الذى صار إلى هذا الاسم (عبد الأحد داود) بعد إسلامه، لم يُخْفِ إعجابه بهذه التوفيقات القدرية، وقد علل لذلك فى كتابه (محمد فى الكتاب المقدس) بأن هذه التوفيقات لم تكن صدفة، وإنما هى قدر مقدور لكى تحتفظ البشارات بالنبى ﷺ التى كثرت فى الكتاب المقدس بمصداقيتها وقطعية دلالتها.

فلما جاء نبى آخر الزمان محمد ﷺ، وقال: إنه النبى الذى بشرت به الكتب السماوية، لم يستطع الذين أرادوا أن يكذبوه أن يقيموا فى وجهه دليلا واحدا، أو شبهة تعتمد على شخصية فى التاريخ قبله تسمت باسمه وادعت النبوة، فدل ذلك على قطعية البشارة التى جاءت بها الكتب السماوية.

عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَتَسْمِيَتُهُ مُحَمَّدًا:

وكان أول من سماه بهذا الاسم (محمد) فى واقع التاريخ بعد ولادته هو جده عبد المطلب.

وما ذاك إلا لأنه قد سمع من آمنة ما سمع، ووجد من نفسه ما وجد، فحمله ذلك كله على أن يسميه بهذا الاسم (محمد).

وليس هذا محلاً لاجتهاد العلماء يجتهدون فيه، وإنما هو من تصريحات عبد المطلب بكلامه نفسه لقومه.

يقول ابن كثير: [فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشًا فلما أكلوا قالوا: ياعبد المطلب أرأيت ابنك هذا الذى أكرمتنا على وجهه ما سميته ؟ قال سميته محمدا، قالوا: فما رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ قال: أردت أن يحمده الله فى السماء وخلقه فى الأرض].

أرأيت إلى هذا الملحظ الذى كان السبب الحقيقى، والذى دفع عبد المطلب إلى تسميته بهذا الاسم ؟!

إن هذا الملحظ لا يفيد شيئا إن لم تكن فائدته الأولى أن عبد المطلب أراد ألا يكون الاسم مجرد علم يُدْعَى به صاحبُه فيجيب، أو يتحدث بواسطته عنه الناس البعيد منهم والقريب، إنما أراد عبدالمطلب من هذا الاسم أن يكون علما وأن يكون صفة في وقت واحد.

فمن حيث إنه علم يفيد منه النبى ﷺ والناس الذين يتحدثون عنه، ما يفيده الأفراد والجماعات من الأعلام.

ومن حيث إنه صفة فإنه يلفت نظر كل من وقف عليه إلى هذه الشخصية المكتملة التى تكاملت فيها عناصر الأخلاق ومكونات الشخصية، فاستحقت مدح أهل الأرض، واستحقت مدح أهل السماء جميعا.

وعلماء اللغة لم يغفلوا عن هذا الامتزاج فى الاسم الواحد بين الوصفية والعلمية.

والجهابذة فى عصر المبعث لم يغب عنهم هذا الامتزاج.

ولم يُخْفِ أهل اللغة ما لاحظوه، كما لم يخف جهابذة عصر المبعث ومن بعدهم ما وقفوا عليه.

يقول الحافظ بن كثير يحكى هذا وذاك: [قال أهل اللغة: كل جامع لصفات الخير يسمى محمدا.

كما قال بعضهم:

إليك – أَبَيْتَ اللَّعْنَ – أعملت ناقتى   إلى الماجد القرم الكريم المحمد (١)

وقال بعض العلماء: ألهمهم الله عز وجل أن سموه محمدًا لما فيه من الصفات الحميدة

---

(١) والبيت فى ديوان الأعشى:

إليك – أَبَيْتَ اللَّعْنَ – كَانَ كلاَهُمَا   إِلَى المَاجِدِ الفَرعِ الجَوادِ المُحمدِ

وهو فى سبل الهدى الرشاد:

إليك – أَبَيْتَ اللَّعْنَ – كان وجيفها   إلى الماجد القرم الجوادِ المحمدِ

سبل الهدى ج ١ – ص ٥٠١ أصل وحاشية.

وما أثبتناه فى الأصل من البداية والنهاية، ولعله أوضح معنى وأقرب إلى الفهم.

ليلتقى الاسم والفعل، ويتطابق الاسم والمسمى فى الصورة والمعنى.

كما قال عمه أبو طالب.

ويروى لحسان:

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد] (١)

وقال القاضى عياض يعمم هذه الخاصية فى جميع أسمائه ﷺ ما نصه:

[.... فمن خصائصه تعالى له أن ضَمَّنَ أسماءه ثناءه، فطوى أثناء ذكره عظيم شكره] (٢).

مُحَمَّدٌ وَصِيَاغَتُهُ اللُّغَوِيَّةُ:

وتؤكد اللغة العربية من خلال صياغة هذا الاسم ما ذهبنا إليه من معانى يحملها هذا الاسم له.

فهو: [فى الأصل اسم مفعول منقول من صفة الحمد وهو بمعنى محمود، وهو يتضمن الثناء على المحمود ومحبته وإجلاله وتعظيمه، وهذا هو حقيقة الحمد.

وبُنى على زنة مُفَعَّل بتشديد العين مثل مُعَظَّم وَمُبَجَّل لأن هذا البناء موضوع للتكثير، فإن اشتق منه اسم فاعل فمعناه من كَثُرَ صدور الفعل منه مرةً بعد مرة، كـ مُعَلِّم، وَمُفَهِّم، وَمُفَرِّح، وإن اشتق منه اسم مفعول فمعناه من تكرر وقوع الفعل عليه مرة بعد أخرى، أو الذى يستحق له الحمد إما استحقاقًا أو وقوعًا.

فمحمد: هو الذى كثر حمد الحامدين له، مرة بعد مرة، كالممدوح]

وإذا كانت هذه الصياغة اللغوية قد دلت بمجردها على هذه المعانى، فإنى لا أجد معارضًا من العلماء يعارض هذه الدلالات، بل إنها فى الحقيقة دلالات مقبولة فى الوسط العلمى بأثر، كأنها بديهة من البدهيات، لا يحتاج المتلقى لها إلى دليل.

---

(١) راجع ابن كثير - بداية - جـ ٢ - ص ٢٦٦.

(٢) القاضى عياض - الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ - ط. دار الفكر ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م جـ ١- ص ٢٢٩.

مِنْ فَوَائِدِ هَذَا الاسْمِ:

ومع هذه الدلالات اللغوية التى تدلنا على مجمع الفضائل فى المسمى، فإننا نجد مجموعة من الفوائد الأخرى قد ارتبطت بهذا الاسم (محمد) ارتباطًا شديدا.

وسنذكر بين يديك بعضًا منها، وسنترك لعقلك أن يستنبط باقيها:

(١) فمن فوائد هذا الاسم الشرعية أن من أراد أن يدخل فى الإسلام ولم يكن من أهله، ليس له من باب يدخل منه إلى هذا الدين إلا أن يضم إلى الاسم الأعلى الشهادة لمحمد ﷺ بالنبوة والرسالة.

فلو أن الداخل فى الإسلام شهد أن لا إله إلا الله واقتصر على ذلك، لم يقبل منه إسلامه.

ولو أنه استبدل بـ (محمد ﷺ) اسما آخر من أسمائه عليه الصلاة والسلام كـ - أحمد - أو - الماحى - ... إلخ، لم يقبل منه إسلامه بإجماع العلماء.

ولكنه قد حكى عن الحليمى أنه قد جوز لمن يريد الدخول فى الإسلام أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن أحمد بدلاً من محمد، ولكن بشرط أن يضيف إلى هذا الاسم كنية من الكنى التى اشتهر بها النبى ﷺ من نحو (أبى القاسم)، فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن أحمد أبَا القاسم رسول الله.

أرأيت إلى هذه الخاصية لهذا الاسم (محمد) حيث أصبحت بابًا وحيدًا للدخول فى الإسلام.

(٢) وفى مجال الصلاة وخطبتى الجمعة والعيدين... إلخ، لا يجوز فى الصلاة أن يقول المصلى فى تشهده: وأشهد أن أحمد أو الماحى أو غيرهما، وإنما يتعين أن يستعمل الاسم (محمد) بعينه لا يغيره ولا يبدله.

كما يتعين ذلك على الخطيب فى كل خطبة شرعية لا تصح بغير ذلك، ذكروه فى شرح المهذب والتحقيق وغيرهما.

(٣) ومن الخواص المباركة أن (محمد) هذا الاسم الأول للنبى ﷺ قد جاء على أربعة

أحرف، ولفظ الجلالة (الله) على أربعة أحرف، ليكتسب هذا الاسم شيئا من البركة لهذا التشابه.

(٤) ومن بركات هذا الاسم أن الله عز وجل قد قرنه باسمه فى الأذان.

فما من بقعة فى الأرض إلا وهى تشهد خمس مرات من يرددون عند دخول وقت كل صلاة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

وهذا بعض ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

(٥) ومن خصائص هذا الاسم أن الله قد اشتقه من خاصية الحمد التى تَعَبَّدَ الله عباده بها.

وهذه الخاصية لهذا الاسم والتى قبلها قد أشار إليها حسان بن ثابت حين قال:

وَضَمَّ الإلـهُ اسْمُ النَّبى إِلَى اسْمِهِ ... إِذَا قَالَ فِى الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ

وَشَقَّ لَهُ مِنَ اسْمِهِ يُجِلُّهُ ... فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وهَذَا مُحَمَّدُ

وقريب من بعض الذى ذكره حسان ما رواه الإمام البخارى فى التاريخ الصغير: عن على بن زيد رحمه الله تعالى قال: كان أبو طالب يقول:

فشق له من اسمه يجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

ولهذا الاسم خواص أخرى غير ما ذكرناه لم نشأ أن نطيل بها، ثقة بفطنة القارئ وقدرته على البحث والنظر.

حِمَايَةُ هَذَا الاسْمِ مِنَ الأَذَى:

لكننا لا نستطيع أن نبرح هذه المنطقة من الحديث قبل أن نتحدث عن هذا الأمر المهم، فقد لاحظه العلماء ووردت به الروايات.

وهذا الأمر المهم الذى أعنيه: هو أن الله قد أحاط هذا الاسم (محمد) بسياج من العناية لا يناله الأذى.

وبيان ذلك أن الكافرين من قريش رجالهم ونساءهم، لما وقع فى صدورهم من البغضاء ما كانوا يطيقون سماع ولا ذكر اسم (محمد)، لأنهم كانوا يعلمون هذا الذى

ذكرناه من قبل، من أن دلالة هذا الاسم على مسماه وهو: النبى ﷺ لم تكن دلالة عاديـــة، كدلالته لو تسمى به غيره، إذ إن هذا الاسم حين يطلق على النبى، لا يشك أحد من محبيه أو الشانئين عليه أنه إنما يقع على النبى ﷺ موقع العلم والصفة فى وقت واحد.

ومن أجل هذه البغضاء وتلك الكراهية وسببها، عدل هؤلاء الكافرون عن هذا الاســم ذى الدلالة المركبة إلى عكسه وهو: (مذمم).

فإن أرادوا سبه أو لعنه أو إيذاءه قالوا: مذمم ؟.

ولقد حدث النبى ﷺ وتبعه غيره فى الحديث، عن أن انصراف قريش عن اسمه إنمـــا هو من مكارم هذا الاسم.

ولقد تحفظ على هذا المعنى وتلك الملاحظة الشيخ العز بن عبد السلام فى أماليه حيث رأى: أن القوم ما كانوا يقصدون الإساءة للاسم، وإنما كانوا يقصدون الإساءة للمسمى.

وجمهور العلماء لم يقبلوا من العز تحفظه هذا لما صح عندهم من الروايـــات التـــى تؤكد صيانة الاسم من الأذى.

روى البخارى فى صحيحه وفى تاريخه، وكذا النسائى والبيهقى الجميـــع عـــن أبـــى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ألا تعجبون " ولفظ البخارى فـــى التاريخ: " ياعباد الله انظروا. وفى لفظ له: ألم تروا كيف يصرف الله عنى شـــتم قـــريش ولعنهم، يشتمون مذمما ويلعنون مذمما. وأنا محمد ".

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم فى النبى ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح، فيعدلون إلى ضده فيقولون: مذمم، وإذا ذكـــروه بســـوء قالوا: فعل الله بمذمم، ومذمم ليس هو اسمه ولا يعرف به، فكان الذى يقع منهم فى ذلـــك مصروفًا إلى غيره.

زاد الله الاسم والمسمى تعظيما وشرفًا ومهابة وبرا.

أحْمَـــدُ ﷺ:

وأحب هنا كما يحب غيرى أن نُثَنِّى بهذا الاسم: (أحمد) لشهرته ﷺ به كاشتهاره بـ(محمد) عليه الصلاة والسلام.

والناس أحيانا يختلفون أيهما سبق الآخر فى إطلاقه على النبى ﷺ، حيث ذهب بعضهم إلى أنه فى الكتب المقدسة قد ذكر التبشير به واسمه (أحمد)، كما فعل السهيلى رضى الله عنه، حيث أصر على أن اسمه فى التوراة والإنجيل (أحمد) كما ذكرناه من قبل، وخالفه ابن القيم فى ذلك ونص عليه وعلى خلافه فى هذا الموقع حيث قال: [أما محمد فهو اسم مفعول من حَمِدَ فهو محمد إذا كان كثير الخصال التى يحمد عليها، ولذلك كان أبلغ من محمود، فإن محمودًا من الثلاثى المجرد، ومحمد من المضعف للمبالغة، فهو الذى يُحْمَدُ أكثر مما يحمد غيره من البشر، ولهذا - والله أعلم - سمى به فى التوراة لكثرة الخصال المحمودة التى وصف بها هو ودينه وأمته فى التوراة حتى تمنى موسى عليه الصلاة والسلام أن يكون منهم، وقد أتينا على هذا المعنى بشواهد هناك (يقصد كتابه جلاء الإفهام)، وبينا غلط أبى القاسم السهيلى حيث جعل الأمر بالعكس، وأن اسمه فى التوراة أحمد] [(١)].

وعلى كل حال فنحن نحب أن نثنى بهذا الاسم لاشتهاره به كاشتهاره باسمه محمد سواء بسواء.

ولأمر آخر لا يخفى على العقلاء، وهو أن أصل الاشتقاقين واحد، حيث كلاهما مأخوذ من مادة الحمد، ولا بأس بعد ذلك أن يكون (أحمد) مأخوذ من (حَمِدَ) على خلاف ما أخذت كلمة (محمد)، حيث اشتقاقها من الفعل بعد تضعيفه للإشارة إلى المبالغة على نحو ما علمت.

العلاقة بين الاسمين: (محمد وأحمد):

ومع هذا فإن العلاقة بين هذين الاسمين (محمد وأحمد) تنقلنا أول ما تنقلنا إلى أصل الاشتقاق فيهما، وهو مادة الحمد، سواء قلنا: إن أصل الاشتقاق هو: الفعل - حَمِدَ - أو أصل الاشتقاق هو المصدر - الحمد -.

وإذا كان الموقف قد اتضح فى اشتقاق كلمة (محمد) فإنه يلزم علينا الآن أن نقف وقفة قصيرة لنتحدث عن أصل الاشتقاق فى كلمة (أحمد).

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين - ابن القيم - ط. المطبعة المصرية - جـ ١ - ص٢١ (بدون).

ولنركز هنا على الفعل الذى اشتقت منه هذه الكلمة، هل هو الفعل المبنى للفاعل ؟ أو هو الفعل المبنى للمفعول ؟.

وعلماء اللغة مجمعون على أن أفعل التفضيل يأتى من الفعل المبنى للفاعل، ولكنهم اختلفوا فيما إذا كان أفعل التفضيل يأتى من الفعل المبنى للمفعول أم لا.

وعلى كل حال فهذا خلاف لغوى لا يدخل فى موضوعنا هنا، وإنما قد أشرنا إليه بسبب هذه الظلال التى أضفاها على آراء المتحدثين عن معنى هذا الاسم: (أحمد) حين ارتبط بذات النبى ﷺ.

والسؤال الآن هو: لماذا سمى النبى ﷺ بهذا الاسم ؟.

هل سمى به لأنه كثير الحمد لربه بحيث لم يشبهه أحد فى كثرة حمده لربه؟.

أم أن النبى ﷺ فيه من تلك الخصال التى تستوجب حمده أكثر مما يستوجبه حمد غيره ؟.

وإلى هذين الاتجاهين انقسم العلماء الذين حاولوا أن يفهموا فى معنى هذا الاسم (أحمد).

فذهب بعضهم إلى أن هذا الاسم قد أطلق على النبى ﷺ لما فاق به غيره من كثرة حمده لله عز وجل.

ويؤيد هذا الاتجاه أن كثرة من اللغويين قد قالوا: إن أفعل التفضيل اشتقاقه من الفعل المسند إلى الفاعل، ويكون سيدنا رسول الله ﷺ على هذا المعنى أكثر مخلوق توجه بالحمد إلى ربه فى الدنيا، وهو أكثر مخلوق يتوجه بالحمد إلى ربه فى الآخرة.

وهذا اتجاه وجيه إذا نظرنا فى واقع النبى ﷺ فى هذه الدنيا، وإذا نظرنا فى واقعه ﷺ الذى ادخره الله له ليظهر به فى عرصات القيامة.

نقل صاحب سبل الهدى عن القاضى أنه قال: [كان ﷺ أحمد قبل أن يكون محمدًا كما وقع فى الوجود، لأن تسميته ﷺ أحمد وقعت فى الكتب السالفة، وتسميته محمدًا وقعت فى القرآن، وذلك أنه ﷺ حمد ربه قبل أن يحمده الناس.

وقال السهيلى: لم يكن ﷺ حتى كان أحمد، حمد ربه فَنَبَّأَهُ وَشَرَّفَهُ، فلذلك تقدم اسم (أحمد) على الاسم الذى هو (محمد)، فذكره عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ فقال: (اسمه أحمد) وذكره موسى ﷺ حين قال له ربه: تلك أمة أحمد فقال: اللهم اجعلنى من أمة أحمد

؛ فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد لأن حمده لربه قبل حمد الناس له، فلما وجد وبعث كان محمدًا بالفعل].

ومع ذلك الذى ذكرناه نجد شواهد الآثار الصحيحة، أن رسول الله ﷺ سيبعث يوم القيامة ظاهرًا بين الناس بخصائص ليست لغيره.

ومن أهم هذه الخصائص هى تلك الشفاعة التى تتكرر له مواقفها يوم القيامة.

ومنها: تلك الشفاعة التى تعرف بالشفاعة العظمى، التى يعتذر عنها الأنبياء جميعًا من آدم إلى عيسى عليهم السلام، حين يلجأ إليهم أهل الموقف واحدًا بعد واحد يطلبون منهم أن يشفعوا لهم عند الله، وكل واحد منهم يحيل على الذى بعده.

فلما كانت الإحالة على عيسى عليه السلام، وذهب أهل الموقف إليه أحالهم على خاتم الأنبياء ﷺ وبين لهم أنه هو صاحب هذه الشفاعة.

فلما يذهب أهل الموقف إلى النبى يخبرهم النبى ﷺ بقوله: " أنا لها أنا لها ".

ثم يخبر رسول الله ﷺ – فيما ذكرته الأحاديث الصحيحة – أنه سيذهب تحت العرش ويخر ساجدا، ويفتح الله عليه بمحامد لم يفتح بها على غيره من قبل.

أرأيت إلى هذه الآثار إلى تسوغ أن كلمة (أحمد) التى هى اسم لرسول الله ﷺ مأخوذة من الفعل – حمد – المسند إلى الفاعل ؟!.

هذا وإن أمة محمد ﷺ كثر فيها الصادقون – ولله الحمد – الذين يحمدون الله عز وجل حتى تسموا باسم (الحمادين).

وعلى هذا الاتجاه الذى يرى أصحابه أن اسم (أحمد) يفيد أن النبى ﷺ كثير الحمد، وما حمد به ربه لم يتوفر لغيره، لا من الأنبياء ولا من غيرهم، على أساس أن كلمة (أحمد) مشتقة من الفعل – حَمِدَ – بفتح الحاء وكسر الميم، مضافًا إلى الفاعل.

على أساس من هذا الاتجاه نقول: إن العلاقة بين (أحمد ومحمد) باعتبار ما يدل كل منهما على صفة بعينها فى النبى ﷺ واضحة لا سترة بها، ذلك أن اسم (محمد) يفيد أنه يحمد كثيرًا من غيره، سواء أكان هذا الغير فى السماء أو فى الأرض، فالحمد هنا واقع على النبى ﷺ بمقتضى هذا الاسم، أما (أحمد) فهى تفيد أن النبى ﷺ قائم بالحمد لربه فى الدنيا والآخرة، وقد بلغ من هذه المرتبة حدًا لم يبلغه غيره على نحو ما رأيت.

قال فى سبل الهدى كلاما ربما يحكيه عن غيره: [... واختص ﷺ من مسمى الحمد

بما لم يجمع لغيره، فإن اسمه ﷺ: أحمد ومحمد وأمته الحمادون يحمدون الله تعالى على السراء والضراء، وصلاته وصلاتهم مفتتحة بالحمد، وخطبه مفتتحة بالحمد، وكتابه مفتتح بالحمد، وشرع له الحمد بعد الأكل والشرب، وبعد الدعاء، وبعد القدوم من السفر، وبيده ﷺ لواء الحمد يوم القيامة، ولما يسجد بين يدى ربه عز وجل للشفاعة ويؤذن له فيها يحمد ربه بمحامد يفتحها عليه حينئذ...] [1].

وهذا الاتجاه لم يرق لبعض الكاتبين ومنهم ابن قيم الجوزية، حيث أجهد نفسه إجهادًا عظيما فى كتابيه: (جلاء الإفهام – وزاد المعاد) فى إثبات أنه يمكن الرجوع بأفعل التفضيل وصيغ التعجب إلى الأفعال المبنية للمجهول، لا لشىء إلا لأنه يريد أن يثبت أن (أحمد) راجعة إلى الفعل – حُمِدَ – وهى المبنية للمجهول.

وفى هذه الحال يجد ابن القيم نفسه أمام مسألة فكرية لا بد له من حلها، وهى هذه العلاقة بين الاسمين (أحمد ومحمد)، فلم يكن أمامه إلا فكرتى النوع والعدد.

ولقد استراح لهاتين الفكرتين، فخصص أحد الاسمين بعدد المحامد التى توجه إلى النبى ﷺ وهى كثيرة، ويدل عليها الاسم المشتق من الفعل – حَمَّدَ – وهو (محمد)، كما خصص الاسم الثانى بنوع الحمد المتعالى فى العظمة، المتسامى فى الرقى.

وتحمس كثيرًا لرفض الرأى الذى يقول: إن (أحمد) اسم يدل على النبى يحمد ربه كثيرا.

ويبدو أنه قد وهم حين قال مستدلاً على رفضه لهذا الرأى، لو كان المراد بـ(أحمد) أنه يحمد ربه كثيرا، لما جاءت على هذه الصياغة، وإنما كان الأولى بها أن تأتى: (حماد) لا (أحمد).

وأقول: إنه قد وهم لأن (أحمد) أفعل تفضيل، وهو يفيد أن اثنين أو أكثر اشتركوا فى صفة، وزاد بعضهم على غيره فى هذه الصفة ففضل عليهم بهذه الزيادة.

و(حَمَّادٌ) صيغة مبالغة.

وصيغ المبالغة تفيد الكثرة المجردة، ولا تفيد التفاضل.

فكان الأليق – كما هو الواقع – أن تأتى الصياغة فى الاسم على (أحمد) لتؤدى

---

(١) راجع سبل – جـ ١ ص ٥١٣ وما بعدها.

المعنيين جميعًا وهما: الكثرة والتفاضل، وهما معنيان لم يجمعا لصيغة من صيغ المبالغة.

فتأمل ذلك يرحمكَ اللَّهُ.

يقول ابن القيم يحكى المذهبين ويختار من بينهما مذهبه: [وأما (أحمد) فهو اسم على زنة أفعل التفضيل مشتق أيضًا من الحمد، وقد اختلف الناس فيه هل هو بمعنى فاعل أو مفعول، فقالت طائفة بمعنى الفاعل أى حمده لله أكثر من حمد غيره له، فمعناه أحمد الحامدين لربه، ورجحوا هذا القول بأن قياس أفعل التفضيل أن يصاغ من فعل الفاعل، لا من الفعل الواقع على المفعول، وقالت طائفة أخرى: هو بمعنى مفعول أى أحق الناس وأولاهم بأن يحمد.

ونعود إلى المقصود فنقول تقدير أحمد على قول الأولين أحمد الناس لربه، وعلى قول هؤلاء أحق الناس وأولاهم بأن يحمد، فيكون كمحمد فى المعنى، إلا أن الفرق بينهما أن محمدًا هو كثير الخصال التى يحمد عليها، وأحمد هو الذى يحمد أفضل مما يحمد غيره، فمحمد فى الكثرة والكمية، وأحمد فى الصفة والكيفية فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غيره، وأفضل مما يستحق غيره فيحمد أكثر حمد وأفضل حمد حمده البشر، فالاسمان واقعان على المفعول، وهذا أبلغ فى مدحه وأكمل معنى، ولو أريد معنى الفاعل لسمى الحماد أى كثير الحمد، فإنه ﷺ كان أكثر الخلق حمدًا لربه، فلو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الأولى به الحماد كما سميت بذلك أمته، وأيضًا فإن هذين الاسمين إنما اشتقا من أخلاقه وخصائصه المحمودة التى لأجلها استحق أن يسمى محمدًا ﷺ، وأحمد وهو الذى يحمده أهل السماء وأهل الأرض وأهل الدنيا والآخرة لكثرة خصائصه المحمودة التى تفوق عد العادين وإحصاء المحصين] (١).

وهنا وهم آخر مؤداه: أن الشيخ قد رأى أن خصال النبى ﷺ التى بها زاد على غيره فى الفضل والدرجة هى التى من أجلها حمد.

وهذا صحيح.

لكن كان من خصاله ﷺ التى بها تميز، أنه كان إيجابى العمل، ومن إيجابيته أنه كان عبدًا شكورا، حامدًا لربه بجميع المحامد التى تليق بالذات العلية.

---

(١) زاد المعاد – ابن القيم – ج ١ – ص٢١ وما بعدها.

فماذا عسى أن يكون وصفه الدال على ذلك الحمد الرفيع.

إنَّهُ (أَحْمَـدُ) وكَفَى.

وليس قصدنا هنا أن نقف على الطرف المناهض لما رجحه ابن القيم، وإنما قصدنا أننا لا نميل إلى الترجيح الذى رجحه.

ولو أنه ذهب إلى الاتجاه الثالث لكان أولى به وأليق وأكثر معقولية.

فلقد ذهب كبار الأئمة الذين ننقل عن بعضهم إلى أن هذين الاسمين قد اشتركا فى أصل الاشتقاق الذى هو الحمد، واشتركا كذلك فى الدلالة على أن النبى ﷺ مستحق للمدح لما فيه من الخصال الحميدة حمده الناس أو لم يحمدوه، وزاد اسم (أحمد) بما يفيد من أن النبى ﷺ هو أفضل من حمد ربه على الإطلاق، كمن فرض اسم محمد بإفادة أن النبى فيه كثرة كثيرة من الخصال التى استوجبت المدح، فمدحه أهل السماوات وأهل الأرض، وما ذاك إلا بحكم تضعيف الميم فى (محمد) وهى الميم الثانية طبقًا للقاعدة المشهورة:- إن الزيادة فى المبنى يقابلها حتما زيادة فى المعنى -.

وهذا الاتجاه الذى سطرناه بين يديك الآن والذى يعبر عن هذا النوع الراقى من العلاقة بين هذين الاسمين، حيث إنهما يجتمعان فى شىء، وينفرد كل واحد منهما بدلالة تخصه، قد تحمس له كما قلت علماء أفذاذ.

يقول القاضى عياض: [فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد، ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد، فهو ﷺ أجل من حمد وأفضل من حمد وأكثر الناس حمدا، فهو أحمد المحمودين، وأحمد الحامدين، ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد، ويتشهر فى تلك العرصات بصفة الحمد، ويبعثه ربه هناك مقاما محمودًا كما وعده، يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال ﷺ مالم يعط غيره، وسمى أمته فى كتب أنبيائه بالحمادين أن يسمى محمدًا وأحمد ثم فى هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته] (١).

صِيَانَةُ الاسْمِ مِنَ الشَّبِيهِ وَالْخَلَائِقِ مِنَ الْفِتْنَةِ

هذا وإن لنا هنا موضوعًا آخر لا بد من الحديث عنه وهو: أن هذا الاسم كما علمنا

---

(١) الشفا - جـ ١ ص ٢٢٩.

قد بشر به عيسى بن مريم قطعا، كما بشر بهذا الاسم الذى هو (أحمد) موسى عليه السلام على أحد القولين.

وعلى كل حال فإن المقطوع به أن الكتب المقدسة قد بشرت باسمه المشتق من مادة (الحمد).

وإذا كنا قد ذكرنا ونحن نتحدث عن اسم (محمد) أن الله قد حماه من الشبيه حتى لا يفتن الناس أو يختلط عليهم الأمر، فإنا نؤكد هنا وبنفس الدرجة على أن الله عز وجل قد حمى اسم (أحمد) من أن يسمى به أحد قبله لا فى عرب ولا فى عجم، وما ذلك إلا لأن الله سبحانه وتعالى من رحمته بالناس قد أراد أن يجنبهم الحيرة الناجمة عن الاشتباه، وتلك نعمة ينبغى أن نحمد الله عليها.

وشواهد التاريخ تؤكد أن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يتسمى أحد باسم (أحمد) على طول الأرض وعرضها قبل النبى ﷺ.

كما أن شواهد التاريخ تؤكد أنه لم يَتَسَمَّ بهذا الاسم أحد فى عهده ﷺ.

ولكن العلماء مختلفون حول أول من تسمى به بعده.

فقال جمهورهم: إن أول من تسمى باسم (أحمد) بعد النبى ﷺ هو: أحمد والد الخليل بن أحمد شيخ سيبويه المشهور.

واعترض بعضهم على هذه المقولة: بأن هناك من هو أسن من والد الخليل بن أحمد وقد تسمى بهذا الاسم وهو: والد سعيد بن أحمد المكنى بأبى النضر.

ورد المحققون: بأن أبا سعيد لم يكن اسمه (أحمد) وإنما كان اسمه (يحمد) بالياء فى أوله.

وهذه الآراء قد ذكرها صاحب سبل الهدى فقال: [قال الله تعالى حاكيا عن السيد عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦).

قال العلماء: لم يسم به أحد قبل نبينا ﷺ منذ خلق الله تعالى الدنيا، ولا تسمى به أحد فى حياته ﷺ، وأول من تسمى به بعده على الصواب والد الخليل ابن أحمد شيخ سيبويه.

قال المبرد رحمه الله تعالى: فتش المفتشون فما وجدوا بعد نبينا ﷺ مَن اسمه أحمد قبل أبى الخليل بن أحمد.

قال الحافظ أبو الفضل العراقى: واعترض على هذه المقالة بأبى النضر سعيد بن

أحمد، فإنه أقدم، وأجيب بأن أكثر أهل العلم قالوا فيه (يحمد) بالياء، وقال ابن معين: أحمد] (١).

وقد عمم القاضى عياض القول فى الاسمين جميعًا (محمد وأحمد) فقال ما هذا نصه: [إن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه، أما أحمد الذى أتى فى الكتب وبشرت به الأنبياء، فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك، وكذلك محمد أيضًا لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده ﷺ وميلاده أن نبيا يبعث اسمه محمد، فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو – و﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (٢).

وعلى هذا النحو المبارك حمى الله أمة سيدنا محمد النبى المبارك، وحمى اسمه من الشبيه والنظير، فاستقل وحده بأن يكون هو الاسم المبارك.

أسماؤه ﷺ بعد أحمد ومحمد:

هذا ماتيسر لنا قوله مما اطلعنا عليه متصلاً باسميه (أحمد ومحمد) وما عدا هذين الاسمين، فالعلماء يختلفون فى عده وحصره.

فمنهم من يقول: إن له أسماء خمسة: أحمد ومحمد والماحى والحاشر والعاقب.

وهؤلاء إنما يستدلون بالحديث الصحيح الذى أخرجه الإمام البخارى فى موضعين من كتابه

فلقد ذكر فى كتاب المناقب قائلاً: [حدثنا إبراهيم بن المنذر قال: حدثنى معن عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لى خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يُحشر الناس على قَدَمى ، وأنا العاقب "] (٣).

والحديث عن البخارى فى كتاب التفسير من طرق أخرى إلى محمد بن جبير بن

---

(١) سبل – ج ١ ص ٥١٢.

(٢) الشفا ج ١ ص ٢٢٩ وما بعدها.

(٣) فتح البارى على صحيح البخارى – ابن حجر – ٦١ ك المناقب – ١٧ باب ما جاء فى أسماء الرسول ﷺ.. ح رقم ٣٥٣٢ ج ٦ ص ٥٥٤ – ط. السلفية بدون.

مطعم عن أبيه.

قال البخارى: [حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى محمد] [(١)].. ثم ساق الحديث إلا أنه لم ينص على الخمسة وإن كان لم يذكر سواها.

وهذا الحديث من مرويات الإمام البخارى يذكر أن النبى ﷺ له خمسة أسماء ، هكذا من غير حصر ، مما يفتح الباب أمام الباحثين لكى يتتبعوا بقية أسمائه ﷺ.

وهكذا فعل العلماء.

فمنهم من ذكر أن أسماء النبى ﷺ ستة أسماء ، وزاد على ماسبق (الخاتم). واعترض على أصحاب هذا الرأى بأن (الخاتم) إنما هو (العاقب) الوارد فى الحديث ، مما يجعل (الخاتم) تفسيرًا له أو مرادفا.

ومن العلماء من وصل بأسماء النبى ﷺ إلى تسعة وتسعين اسما.

ومنهم من وصل بها إلى الخمسمائة.

ومنهم من أوصلها إلى الألف.

وقد يتساءل من يريد أن يتساءل فيقول: ما سر اقتصار النبى ﷺ على ما ذكره من الأسماء دون سواها ؟.

وأنا أقول فى الجواب على ذلك: إن السر سيظهر لك من خلال هذا التقسيم النوعى لأسمائه ﷺ.

وأسماء النبى حينما نريد أن نقسمها من حيث النوع ، سيظهر لنا أنها تنقسم إلى قسمين على الجملة:

أحدها: أسماء تختص بالنبى ﷺ لايشاركه فيها غيره كالحاشر والماحى والعاقب.

وثانيها: أسماء يشاركه فيها غيره ، ولكن اسمه يتبوأ سنام القمة من دلالاته.

وهذا القسم نفسه على نوعين:

أ – ما كان للنبى ﷺ من حيث أوائل إطلاقاته ، ثم تسمى به الناس بعده على نحو ما حدث فى الاسم: (أحمد ﷺ) فلم يتسم به أحد قبله كما علمت لا من عرب ولا من عجم، و(محمد) وإن كان قد سمى به آحاد من الناس قبله إلا أن الدافع لهذه التسمية السابقة عليه

---

(١) البخارى – ٦٥ ك التفسير – ١ باب (يَأْتِي مِنم بَعْدِى اَسْمُهُ أَحْمَدُ) ح رقم ٤٨٩٦.

، هو نفسه الدافع الذى يدفع الناس لتسمية أولادهم بعده مع فارق يناسب الحال ، فمن سمى بـ (محمد) قبل رسول الله ﷺ كان يأمل أن يكون ابنه هو الذى بشرت الكتب السماوية به ، ومن عاصره منهم والتقى به تابعه على دينه ، ومن تسمى بهذا الاسم بعده ، إنما كان ذلك على سبيل البركة التى رجاها الوالدان من التسمية باسم رسول الله ﷺ.

ب – ما كان للنبى ولغيره بالاشتراك ، والنبى قد زاد على غيره من حيث دلالة هذا الاسم كـ (الأمين) ونحوه.

وبعد هذا البيان نقول: إننا بعد أن وقفنا على حقيقة هذين القسمين ، فإننا سنسير بك أيها القارئ فى خطين متوازيين:

أحدهما: أننا سنذكر بقية الأسماء الواردة فى الحديث ، نستوفيها جميعًا بقدر المستطاع.

وثانيهما: أننا سنذكر أسماء النبى ﷺ من جديد كلها مرتبة على حروف المعجم؛ ما ذكرناه منها وما لم نذكره ، لكى يسهل على من يريد التعرف عليها أن يتعرف عليها.

تنبيهان:

وقبل أن أسير بك فى هذين الخطين أحب أن أنبه على أمرين:

أحدهما: أن كثرة أسمائه ﷺ بعد اسمى (أحمد ومحمد) إنما مردها جميعًا إلى كثرة صفاته وشمائله وخواصه ﷺ.

ولما كانت شمائله قد تعددت بحيث أوشكت أن تعز على الحصر، كان له ﷺ من كل خاصية وصفة اسم من الأسماء، ربما يشاركه فى دلالته غيره، ولكن غيره المشارك له لن يساويه فى المعنى المستفاد من دلالة هذا الاسم المشترك فيه مهما كانت مرتبة المشارك، ومهما علت مكانته.

وثانيهما: أنه ينبغى أن يكون واضحًا من اللحظة الأولى أن اسمى (أحمد ومحمد) وإن كانا سيفترقان فى ترتيبنا لأسمائه ﷺ على حروف المعجم، فإن من تأخر منهما عن مكانه بحكم التنظيم، لا يدل على تأخره عن مكانته بحكم المرتبة والشرف.

وإلا فإن اسمى (أحمد ومحمد) هما أشرف الأسماء وأخصها، حيث هما المنصوص عليهما بالبشارة به فى الكتب السماوية السابقة فى الظهور على القرآن.

المَاحِـــى ﷺ:

والاسم الثالث من أسمائه على نحو ورودها فى الحديث الصحيح الذى أسلفنا ذكره هو: (الماحى).

ولم يترك النبى ﷺ لمجتهد مجالاً يبحث من خلاله عن معنى هذا الاسم، حيث ذكر هو بنفسه معناه المراد فقال: " وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ".

ولكن هذه الجملة التى ذكرها النبى ﷺ استوقفت الباحثين؛ إذ الكفر ما زال الآن على وجه الأرض يُمارس ولم يُمح بالكلية.

فتساءل العلماء من أجل ذلك عن المراد بمحو الكفر.

فذهب بعضهم إلى أقوال لا غنى لنا بذكرها، إذ هى متعقبة بما يبطلها.

ولكن هناك أقوال لها قيمتها ووزنها العلمى.

منها: إزالة الكفر عن هذه البقعة التى حددها الإسلام لكى تكون معسكرًا دائما للمسلمين، يأخذون فيها جرعاتهم الدينية التى تقوى مشاعرهم، وتقوى إراداتهم، وهى البقعة التى يطلق عليها الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة.

فالنبى ﷺ لم يغادر الدنيا بجسده ويلحق بالرفيق الأعلى، إلا بعد أن حرم على الكفر والكافرين أن يدخلوا مكة بنص القرآن الكريم فى أيات سورة التوبة الحاسمة، ثم تلاها بعد ذلك أن النبى ﷺ حرم المدينة بمقتضى السنة النبوية المطهرة.

وبعد هذا لم يعد جائزًا للكفر أو الكافرين دخول مكة والمدينة، فانمحى الكفر منهما عقيدة، وانمحى الكفر منهما سلوكًا على يده ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد قبله.

ومن هذه الآراء: هذا الرأى الذى أراد أن يوسع الدائرة نوعًا ما من الاتساع، فجعل لهذين الحرمين حزام أمان هو شبه الجزيرة العربية كلها، حيث نبه النبى ﷺ على أمته تنبيها جازما يأثم أفرادها بمخالفته، حين قال ﷺ: " لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب ".

واستجابة إلى هذا التنبيه النبوى، شاء الله أن لا يرحل عمر بن الخطاب ﵁ عن دنيانا إلا بعد أن أعاد أرض خيبر وفدك ووادى القرى إلى سكانها العرب المسلمين، وأنهى حالة غصب الأرض التى اغتصبها اليهود وسيطروا عليها ردحًا من الزمن [1].

---

(١) لقد سبق لنا أن تناولنا هذا الحديث فى كثير من مؤلفاتنا السابقة – راجع نحو: (رسالة من النبى إلى الأمة فى علاقاته باليهود).

ومن آراء العلماء فى فهمهم لمعنى (الماحى) ومعنى تفسيره من كلام النبى ﷺ أنهم قالوا: إن المحو هنا محو مكانة لا محو وجود.

إذ مراد النبى ﷺ أنه سيقضى على هذه المكانة التى احتلها الكافرون وكانت لهم بها الغلبة على سائر الناس؛ ليجعل للإسلام مكانته من التمكين فى الأرض وصوت أصحابه المسموع والمؤثر بين أصوات العالمين.

وأنت خبير ولا شك أن النبى ﷺ لم يرحل إلا بعد أن وضع الهيبة للمسلمين فوق هيبة هذه الدولة الكبرى فى عالم كان أحادى القطب، الصوت الأوحد فيه هو لدولة الرومان.

وماهى إلا أيام قلائل بعد وفاة النبى ﷺ حتى ملأت هيبة المسلمين الدنيا بتمامها.

وما تأخرهم اليوم إلا بسبب تقصيرهم فى علاقاتهم بـ (الماحى) ﷺ.

ولقد حاول القاضى عياض وغيره أن يقولوا كلمة فى فهمهم لتفسير النبى ﷺ لاسمه (الماحى).

قال القاضى: [" وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر "

ففسر فى الحديث، ويكون محو الكفر إما من مكة وبلاد العرب، وما زوى له من الأرض، ووعد أنه يبلغه ملك أمته، أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣، الصف: ٨) وقد ورد تفسيره فى الحديث أنه الذى محيت به سيئات من اتبعه] [١].

الحاشر ﷺ:

هذا هو الاسم الرابع من الأسماء الواردة فى الحديث الذى ذكرناه مرويا إلى محمد بن جبير عن أبيه.

وهذا الاسم من الناحية العلمية يحتاج إلى وقفتين:

إحداهما: من حيث التركيبة اللغوية لهذا الاسم.

فنحن نرى هذا الاسم (الحاشر) قد صيغ من الفعل حشر على هيئة اسم الفاعل، ومن

---

(١) القاضى عياض – الشفا – ج ١ ص ٢٣١.

المعروف الذى لا جدال فيه أن النبى ﷺ خَلْقٌ من خَلْقِ الله لم يستثنه ربه من الحشر، فهو محشور كسائر الخلائق لا حاشر.

وعلى هذا النحو فإن صياغة هذا الاسم (حاشر) على وزن فاعل من المشكلات فى المعنى.

ويبدو أن أهل اللغة لم يروا فى ذلك مشكلة تذكر، ذلك أن إسناد الفاعل إلى الفعل من باب الإضافات، والإضافة إنما تقع لأدنى ملابسة، فلما كان النبى ﷺ لا نبى بعده، ولا أمة بعد أمته نسب الحشر إليه لوقوعه بعده ولا إشكال.

وأما الوقفة الثانية التى احتاج العلماء أن يقفوها: فهى تلك الوقفة التى يكون الغرض منها فهم المقصود من قوله ﷺ: " أنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبى أوعلى قدمى أو على عقبىّ أو على قدمىّ أو على أثرى " على نحو ماجاءت به مجموع الروايات التى اختلفت الألفاظ فيها على هذا النحو.

أما القاضى عياض فإنه لم يحتج إلى إطالة الوقفة ليحاول فهم المراد من هذا الاسم، حيث قال: [وقوله: (يعنى النبى ﷺ) " وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى " أى على زمانى وعهدى أى ليس بعدى نبى] [(1)].

ومع هذا القول الموجز فقد رأينا فهوما أخرى فى هذا النص:

منها: أن يكون المراد أن الناس يحشرون على مشاهدة النبى ﷺ على نحو ما قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (سورة البقرة: ١٤٣).

ومنها: أن يكون النبى ﷺ (كما تشهد بذلك النصوص) هو أول من تنشق عنه الأرض ثم يحشر الناس بعده على أثره.

ويؤكد هذا الذى ذكرناه لفظ الرواية التى تقول: ويحشر الناس على عقبى.

وأنت خبير ولا شك أن العقب هو مُؤَخَّرُ الرِّجْلِ، وأن الأثر هو من عمل القدم، وأن العقب يكنى به كثيرًا عن توالى الأحداث بغير تراخى.

وعليه فإننا نجد المعنى متحدًا تتضافر الألفاظ فى الدلالة عليه من نحو: العقب،

---

(١) القاضى عياض – الشفا – ج ١ ص ٢٣١.

والقدم، والأثر.

وقد يقال: إن المراد من مجموع هذه الكلمات أن الناس من أمة محمد ﷺ ومن قبلها من الأمم سيبعثون على أثر بعثة رسول الله ﷺ لأن الساعة ليست من عصر مبعثه ببعيد.

قال الحافظ ابن حجر: [ويحتمل أن يكون المراد بالقدم الزمان أى وقت قيامى على قدمى تظهر علامات الحشر، إشارة إلى أنه ليس بعده نبى ولا شريعة.

ويرجح هذا ما وقع فى رواية نافع بن جبير: " وأنا الحاشر بعثت مع الساعة "].

وهذه الأقوال على تنوعها وتشعبها ليس بينها تعارض ولا تضارب كما ترى.

ذلك أن النبى ﷺ حين بعث فى آخر الزمان، بعث وليس بعده نبى، وليس بعد أمته أمة، وهو شاهد على أمته بما يرى، وشاهد على من قبلها بخبر الوحى، والساعة قريبة منه تكون على أثره، وبعد انتقاله للرفيق الأعلى، وحين يأذن الله عز وجل بقيام الناس إلى الحساب تنشق الأرض عنه كما لم تنشق عن أحد قبله، فيقوم على قدميه ويحشر الناس خلفه.

فهو من أجل ذلك كله سمى بـ (الحاشر ﷺ) لهذه الملابسة التى أجازت النسبة اللغوية، فجاء الاسم على وزن فاعل، وكان حقه أن يأتى على وزن مفعول.

وأحب أن أذكرك بالرواية التى يشير إليها الحافظ، والتى جعلها من مرويات نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه، وهى تخالف شيئا من المخالفة فى بعض ألفاظها رواية أخيه محمد بن جبير التى أخرجها له البخارى فى موضعين من صحيحه، كما أخرجها غير البخارى.

ورواية نافع المشار إليها قد أخرجها الحاكم فى مستدركه قال: [أخبرنى أحمد بن محمد بن عمرو الأخمسى حدثنا الحسن بن حميد حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة عن جعفر بن أبى وحشية عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر والخاتم والعاقب "].

قال: الحاكم: [هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه [1].

---

(١) المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابورى – دار الكتاب العربى بيروت – جـ ٢ – ص ٦٠٤ بدون.

العاقب ﷺ:

هذا هو الاسم الخامس فى ترتيب أسمائه على نحو ورودها فى الحديث الذى أوردناه من طريقين من صحيح الإمام البخارى، كلاهما قد انتهى إلى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه.

والعاقب: هو الذى يأتى فى عقب غيره ويتلوه فى الزمان.

والذى يظهر لى أن الألف واللام فى هذا الاسم العاقب هى لاستغراق هذا الجنس، على معنى أنه هو الآخر بإطلاق؛ فلا نبى بعده.

وهذا التخريج على هذا المعنى يجعلنا نقول بارتياح شديد: إن هذا الاسم يرادفه أنه (الْخَاتَمُ ﷺ) بفتح التاء أو كسرها، فيجوز لنا أن نرادف بين هذين الاسمين فنقول: من أسمائه ﷺ أنه هو (العاقب) أو (الخاتم ﷺ).

وعلى هذا التخريج - لو كان مقبولا - يمكننا أن نفهم ذكر (الخاتم) فى رواية الحاكم سالفة الذكر إلى نافع بن جبير، وفيها ذكر (الخاتم) قبل كلمة (العاقب) لا ليعدهما اسمين له لكل واحد منهما دلالته المستقلة، وإنما لأنهما اسمان يدلان على شىء واحد فهما مترادفان.

ولا مانع عندى أن يكون ذكر (الخاتم) هنا من إدراج بعض الرواة، على أن تكون إحدى الكلمتين تفسير للأخرى.

تعقيب:

وبعد ذكر هذه الأسماء الخمسة يحسن بنا أن نلفت النظر إلى كلام قلناه من قبل، وهو أن النبى ﷺ، إنما اقتصر على هذه الأسماء الخمسة لأن الثلاثة الأخيرة منها هى خاصة به لا يشاركه فيها غيره، وأن الاسمين: الأول والثانى فضلاً عن اشتهاره بهما فهما الاسمان اللذان ذكرا فى الكتب المقدسة فى مواطن التبشير بالنبى ﷺ.

ومع هذا فإن هذين الاسمين:(أحمد ومحمد) لم يقصد من وراء إطلاقهما على النبى ﷺ الدلالة عليه دلالة العَلَم على مدلوله، وإنما هما فيه مع ذلك يدلان على شىء آخر يتكاملان فى الدلالة عليه، فهما وإن كانا مشتقين من مادة الحمد، إلا أن كلاً منهما فيما انتهى إليه من صياغة لغوية يدل على شىء لم يدل عليه الآخر، فهما كما يقول العلماء يشتركان فى شىء وينفرد كل منها بمعنى يخصه على نحو ما ذكرناه من قبل فلا نطيل

بإعادته.

أما القاضى عياض فهو يطرح موضوع اقتصار النبى ﷺ على هذه الأسماء الخمسة والتنبيه عليها من زاوية أخرى، تكاد – لو حققت – أن تنفرد بمعنى جديد التقطه القاضى التقاطًا ونبه الناس إليه.

قال القاضى: [ومعنى قوله: " لى خمسة أسماء " قيل إنها موجودة فى الكتب المتقدمة، وعند أولى العلم من الأمم السالفة] (١).

وعلى كل حال فهذه خمسة أسماء وضعناك بين يديها لتتأملها، فتضفى عليك نورًا وبهاءً بقدر ما يكون بينك وبينها من علاقات، وبقدر ما يكون عندك من عزم أكيد لاتباع صاحب هذه الأسماء ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١).

وفى الصفحات القادمة إن شاء الله سنذكر دليلاً فيه ثبت بأسماء رسول الله ﷺ على حروف المعجم، ما ذكرناه منها وما لم نذكره ليهتدى إليها من أراد أن يهتدى إليها.

---

(١) الشفا – جـ ١ ص ٢٣١.

أسماؤه ﷺ مرتبة على حروف المعجم

حرف الألف:

١ - " أَحْمَدُ ﷺ "

وقد سبق الحديث عنه، وقدمناه لسعة دلالته، ولأنه أقدم في الإطلاق عليه حيث بُشـر به في الكتب السابقة.

٢ - " الأَبَرُّ ﷺ "

وهو أفعل تفضيل من الفعل بَرَّ يَبَرُّ بِرًّا بمعنى أحسن إليه، وقد تطلق " الأَبَرّ " على الأصدق.

وعلى الجملة فـ " الأبرّ " جامع لصفات الخير.

قال أبو الأسود الدؤلي:

وَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا ... أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ

٣ - " الأَبْطَحِيُّ ﷺ "

هذا نسب إلى الأبطح.

والأبطح في اللغة: مكان يسيل منه الماء أو ينتهي إليه وفيه شيء من الحصى.

وأبطح قريش واديها في مكة ومبدأه وداي مُحَصَّبٍ وهو مشهور قريب من منى.

وقد كان آباء القرشيين ينتسبون إلى الأبطح.

وقصة هذا النسب مشهورة في التاريخ.

وأعظم من انتسب إلى الأبطح هو النبي ﷺ.

وفيه دلالة أخرى تختص بالنبي ﷺ وهي أن الكتب السماوية حين بشرت به وبـالنور الذي سيأتي معه نسبته إلى جبال " فاران " أي مكة.

قال حسان بن ثابت يمتدحه:

وأكرم صبيًا في البيوت إذا انتمى ... وأكرم جدًا أبطحيًا يُسَوَّدُ

٤ - " الأَبْلَجُ ﷺ "

والأبلج هو: الطلق الوجه أو المشرق الوجه، ويكنى به عن الكرم والسماحة فيكـون صاحبه ذا الكرم والسماحة، وقد يكنى به عن الوضوح فيكون صاحبه هو الواضح أمره.

٥ - " الأَبْيَضُ ﷺ "

والأبيض صفة مشبهة من البياض.

وهو وصف يطلق على الحقيقة كما يطلق على المجاز فى إنسان سخى جَوَاد.

قال ذُو الرُّمَّة:

وَأَبْيَضُ مرتَاحُ النَّحِيزَةِ للنَّدَى لَهُ نَائِلٌ بِالْمَكْرُمَاتِ يَفِيضُ

وقد يطلق ويراد منه المبارك، كما يطلق ويراد منه نظافة العرض.

قال أبو طالب فى المدح:

وَأَبْيَضُ يُستَسقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

وهذه المعانى كلها قد اجتمعت لرسول ﷺ.

٦ - " الأتقى ﷺ "

والأتقى هذه من الفعل الثلاثى لأنها أفعل تفضيل، فهى من تَقَى يتقى كقضى يقضى، وليست من اتقى يَتَّقِى، على نحو ما هو شرط أفعل التفضيل حيث لا يبنى على ثلاثة من غير الثلاثى.

والألف واللام فيه للفضيل المطلق، ومن أجل ذلك فإنه لم يذكر المفضل عليه.

وهذه حقيقة الوصف فى النبى ﷺ حيث قال فيما رواه مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " قدعلمتم أنى أتقاكم وأبَرُّكم وأصدقكم حديثًا ".

٧ - " الأجود ﷺ "

وهو أفعل تفضيل من الثلاثى جاد يجود جُودًا فهو الأجود.

والمعنى واضح أنه هو الأجود بالإطلاق.

٨ - " أجود الناس ﷺ "

وهو قريب مما قبله.

٩ - " الأجَلُّ ﷺ "

بالجيم وتشديد اللام.

الجليل العظيم بالإطلاق وهو الأكثر إجلالا وعظمة عند الله وعند الناس.

١٠ - " الأجير ﷺ "

نقله بعضهم عن بعض الكتب المنزلة ودلالته فيها أنه يجير أمته من النار، وهو غير مضبوط على اللغة العربية، وإنما هكذا نقل.

١١ - " **أحاد ﷺ** "

وهى كسابقها منقولة عن غير العربية، وتفسيره عندهم واجد بعد واحد فى الصفات لا فى الذات.

وهو صحيح الدلالة لأن النبى ﷺ متفرد فى صفات الكمال البشرى، بحيث يكون له السبق فى كل واحدة منها.

١٢ - " **الأحد ﷺ** "

وهو وصف يتراجع فى الدلالة عن وصف الله به، فهو منفرد فى صفات البشرية التى تقربه من الله وتحببه إلى الناس.

١٣ - " **الأحسن ﷺ** "

وهو أفعل تفضيل من الثلاثى على ما قدمناه كثيرا.

والحسن فى علم الجمال المتناسق فى كل شىء مادى، بحيث لا تمله العين ولا تبغضه.

ومن يراجع أوصاف أم معبد وغيرها له يجد أن النبى ﷺ هو الأحسن فى الخلائق بالإطلاق.

والأحسن فى المعنويات هو الذى يُجمع له صفات الحسن.

وكذلك كان.

قال تعالى: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾** (فصلت: ٣٣).

وهو أول الدعاة بالإطلاق، فالكلام ينصرف إليه أول ما ينصرف.

١٤ - " **الأحشم ﷺ** "

بالحاء المهملة والشين المعجمة.

أفعل تفضيل من الحشمة وهى الوقار والسكينة، فهو أحشم الناس، وأكثرهم وقارا.

١٥ - " **أحيد ﷺ** "

قال القاضى عياض: إنه منقول من التوراة ومعناه فيها أنه يُحيد أمته وينصرف بها عن النار.

ويجوز فى العربية أن يكون: الأحيد من حاد عن الشر إذا ابتعد عنه.

والجميع متحقق فيه.

١٦ – " آخذ الحجزات ﷺ "

وهو من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله.

وشاهده فى الحديث ما رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله قال: " إنما مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد نارًا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيها ".

والحُجَزُ جمع حُجْزَةٌ ومحله من الإزار حين ينثنى الإزار وهو فى منطقة الوسط على كل حال، والأخذ بحجزة صاحبه متمكن منه.

١٧ – " الآخذ الصدقات ﷺ "

وهو واضح.

وشاهده فى القرآن: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٣).

١٨ – " أخرايا ﷺ "

وهو فى غير العربية ومعناه: أنه آخر الأنبياء نقلوه عن الإنجيل ولفظه فيما نقله كعب عن التوراة: " أخرايا قدمايا الأولون الآخرون ".

١٩ – " الأخشى لله ﷺ "

ومعناه وصياغته ظاهران.

٢٠ – " الأدعج ﷺ "

وهو من الدعج، والدعج شدة سواد العينين فى بياضهما مع اتساع فيهما.

٢١ – " الأدوم ﷺ "

وهو أفعل تفضيل من الفعل الثلاثى " دام " على العمل أى واظب عليه وداوم.

وهذه كانت صفته على نحو ما وردت به الآثار فى كل فعل أو قول أراد النبى ﷺ تأكيده.

٢٢ – " أذن خير ﷺ "

والأذن فى الأصل آلة السمع تطلق هنا على السماع بمعنى الحدث وهو هنا: متابعته وإدراكه.

والأذن مؤنثة، وتصغيرها: أذينة.

وزعم المنافقون أنهم يستغلون هذه الصفة فيه فيخالفونه ما وسعتهم المخالفة، ثم يقولون هو أذن يسمع معاذيرنا ولو كانت باطلة.

والله عز وجل قد حكى عنهم ما يقولونه فيه وبين الحقيقة.

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٦١).

والأذن بمعنى: السماع والإدراك وصف من أوصاف الله كذلك، لكنها فى الله أتم.

ففى الحديث: " ما أذن الله لشيء كأذنه لنبى متغنٍ بالقرآن " (١).

٢٣ - " الأرجح ﷺ "

والمقصود به الأرجح بالإطلاق، تفضيل من الفعل: رجح.

قال خطيب هوازن وشاعرهم حين أرادوا استعطافه فى رد سباياهم من النساء والولدان بعد هزيمتهم فى معركة حنين:

يَاأَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ يُخْتَبَرُ ... إِنْ لَمْ تَدَارَكَهُمْ نَعْمَاءُ تَنْشُرُهَا

٢٤ - " أرجح الناس عقلا ﷺ "

وهو كسابقه لكنه أخص منه ولا يحتاج إلى دليل أو شرح.

٢٥ - " الأرحم ﷺ "

هو أفعل تفضيل على الإطلاق من رحم رحمة وهو ظاهر.

٢٦ - " أرحم الناس بالعيال ﷺ "

وهو كسابقه لكنه أخص منه.

٢٧ - " الأزج ﷺ "

وهو بفتح الزاى وتشديد الجيم، المقوس الحاجبين الوافر شعرهما.

وهما على هذا الحال من جمال الخلقة.

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحسان تحسين الصوت بالقرآن– حديث رقم ٢٣٢.

٢٨ - " الأزكى ﷺ "

من الزكاة بالزاى وهى الطهارة، وهو أفعل تفضيل على إطلاقه فهو أزكى العالمين.

٢٩ - " الأزهر ﷺ "

وهو من الزهارة لا من الزهور، والمقصود أنه أكثر الناس رونقا.

روى مسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: " كان رسول الله ﷺ أزهر اللون" (١)

قال الإمام النووى: معناه مستنير فهو بمعنى ما رواه ابن حبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: " كان رسول الله أبيض ".

٣٠ - " الأسَدُّ ﷺ "

وهو أفعل تفضيل السداد، والسداد هو الإصابة والتوفيق فى القول والعمل.

٣١ - " أشجع الناس ﷺ "

وهى صفة ظاهرة فيه كما تحكيه كتب التاريخ والسير والحديث.

وكان النبى ﷺ هو الأشجع، وحيث كان بعيدًا عن الجبن والتهور، والشجاعة بينهما قد بلغ منها النبى ﷺ سنامها ولم يبلغه غيره فكان هو الأشجع بالإطلاق.

٣٢ - " الأشد حياء ﷺ "

والحياء هو انقباض النفس عن القبيح.

ودافع الإنسان إلى انقباض النفس طبعه وتكوينه الذى خلق عليه أو مخافة الذم، وكان دافع النبى ﷺ إلى الحياء تكوينه، فارتفع عنه الذم تبعا.

٣٣ - " الأشنب ﷺ "

والأشنب بالمعجمة وفتح النون فموحدة من الشنب محركًا وهو رونق الأسنان ورقة مائها، وقيل رقتها وعذوبتها.

٣٤ - " الأصدق ﷺ "

أفعل تفضيل من الصدق وهو الثبات والقوة فى المواقف، فهو أصدق الناس على الإطلاق فى قول الحق والدفاع عنه.

والأصدق من صفات الله عز وجل كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ

---

(١) صحيح مسلم ك الفضائل – ح رقم ١١٣.

يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ و ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء: ٨٧، ١٢٢) لكن هذه الصفة فى الله أكمل وأتم كما هو واضح.

٣٥ - " أصدق الناس لهجة "

هو كسابقه لكنه أخص منه، واللهجة تطلق على اللغة وتطلق على اللسان كله أو طرفه.

والأمر ظاهر فى النبى ﷺ.

٣٦ - " الأطيب ﷺ "

وهو من الطيب الحسى بمعنى الرائحة أو الطيبة المعنوية بمعنى رقة الطبع ولين الجانب.

والأمران فى النبى ﷺ ظاهران والوصف شامل لهما.

٣٧ - " الأعز ﷺ "

الأعز: بمهملة فمعجمة: أفعل: من العز أى الكثير العزة وهى الغلبة والقوة.

٣٨ - " الأعظم ﷺ "

أى أحسن الناس خَلْقًا وخُلُقًا لأنه أفعل: من العظمة وهى ترجع إلى كمال الذات وتمام الصفات، وذلك غاية الحسن وكماله.

٣٩ - " الأعلى ﷺ "

والأعلى: أفعل: من العلو وهو الرفعة، أى الأكثر علوًا أى رفعة على غيره.

وقد حاول بعضهم أن يربط بين هذا الوصف وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وهو ربط يصعب على مريديه.

ويبقى الوصف فى النبى ﷺ ظاهر الدلالة.

وهو من الأسماء التى سمى الله بها نفسه لكنه لا يخفاك أن دلالة الوصف أو الاسم فى الله أعلى وأتم.

٤٠ - " الأعلم بالله ﷺ "

والمراد أنه الأعلم بأسماء الله وصفاته وحدود مطلوباته أمرًا ونهيًا.

٤١ - " الأغر ﷺ "

والأغر هو: الشريف الكريم الخيار من الخيار.

وكذلك كان النبى ﷺ.

قال حسان يمدحه:

أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ   مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ

٤٢ - " أفصح العرب ﷺ "

وأفصح: أفعل تفضيل من فَصُحَ الرجل: جادت لغته لا من أَفْصَحَ إذا تكلم بالعربية.

والفصاحة تكمل بإجادة مخارج الحروف وسلامتها، وجودة الموضوع المتحدث فيه ورفعته، وبلاغة القول وحسن الصياغة.

والنبى ﷺ قد اجتمع له هذا كله فكان هو الأفصح بالإطلاق على نحو ما ذكر القاضى.

٤٣ - " أكثر الأنبياء تبعًا ﷺ "

وهو ظاهر لأنه خاتم النبيين ورسالته عالمية تعم خريطتى الزمان والمكان من عهده إلى قيام الساعة، فمن استجاب منهم كانوا أمة الإجابة، ومن أعرض عن دينه كان فى أمة الدعوة.

٤٤ - " الأكرم ﷺ "

الأكرم أفعل تفضيل من الكرم أو الكرامة وهما ظاهران فيه.

أما الكرم فحديث التاريخ عنه فى هذه الصفة لا يخفى.

وأما الكرامة التى هى المكانة فهى واضحة فيه بحديث القرآن عنه فى أماكن متعددة.

والأكرم من صفات الله عز وجل سمى به نفسه، وأطلقه على نبيه مع التفاوت فى الدلالة على نحو ماعلمت.

٤٥ - " أكرم الناس ﷺ "

٤٦ - " أكرم ولد آدم ﷺ "

٤٧ - " الإكليل ﷺ "

وهو ما يوضع على الرأس ويحيط بها، سمى به لرفعته أو لعموم رسالته.

٤٨ - " الأمجد ﷺ "

والأمجد: أفعل من المجد وهو الشرف.

٤٩ - " الآمر الناهى ﷺ "

والآمر الناهى: اسما فاعل من الأمر والنهى.

وتحقيق معناهما فى حقه ﷺ فرض عين، وفى حق غيره فرض كفاية ومسؤلية أمة.

يقول البوصيرى يمدح النبى:

نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلاَ أَحَدَ ... أَبَرُّ فِي قَوْلِ لاَ مِنْهُ ولاَ نَعَمْ

وإسناد الفعل إليه ﷺ تقبله اللغة، إذ يسند الفعل إلى فاعله لأدنى ملابسة، فالله هو الآمر الناهى على الحقيقة، ولكن لما كان النبى هو المصطفى للبلاغ صح إسناد الفعل إليه لهذه الملابسة.

٥٠ - " إمام الخير ﷺ "

٥١ - " إمام العالمين ﷺ "

٥٢ - " إمام العاملين ﷺ "

وإمام العاملين جمع عامل وهم العباد.

٥٣ - " إمام المتقين ﷺ "

وإمام المتقين: جمع متقٍ، وهو من اتقى الشرك وتجنب الشك والمخالفات.

٥٤ - " إمام النبيين ﷺ "

٥٥ - " إمام الناس ﷺ "

٥٦ - " الأمان ﷺ "

روى الإمام أحمد والترمذى عن أبى موسى - رضى الله تعالى عنه قال: " أمانان كانا على عهد رسول الله ﷺ - رفع أحدهما وبقى الآخر: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [1].

٥٧ - " الأَمَنَةُ ﷺ "

والأمنة بالفتح والضم فى أوله مع فتح الميم الوافر الأمانة الذى يؤتمن على كل

---

(١) الأنفال: ٣٣، والحديث فى مسند أحمد ٣٩٣/٤، ٤٠٣، وفى صحيح الترمذى - ك التفسير ١٨١/٢ وفيه زيادة.

شيء.

وقد يطلق هذا الاسم على الحافظ.

والنبى ﷺ قد سمى بهذا الاسم لأنه الأمين على الوحى وعلى الصحابة وعلى الناس، المحافظ عليهم حالا ونفسًا ودينا.

فى مرويات الإمام مسلم كما هو عند البيهقى عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه قال: رفع رسول الله ﷺ رأسه فقال: " النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة أصحابى فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون، وأصحابى أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون " (١).

٥٨ - " الأمة ﷺ "

والأمة: هو الجامع لصفات الخير.

والأصل فى هذا اللفظ أنه يطلق على الجماعة من الناس، ثم نقل عنه فى الدلالة على من اجتمعت له خصال الخير.

وقد سمى به إبراهيم من قبل: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٠).

وسمى به النبى محمد ﷺ.

٥٩ - وقد سماه ابن دحية بالحروف المقطعة فى أوائل الزهراوين وغيرهما المبدوءة بـ ﴿الم أو المر أو المص﴾ وزعم أن هذه من أسمائه ﷺ وهو خلاف المشهور، فالذين قالوا إنها أسماء ذكروا أنها أسماء لله عز وجل.

ولو صح ذلك الذى ذكروه من أنها أسماء للنبى ﷺ أيضا، فيكون الله قد سمى النبى باسمه مع اختلاف دلالة الاسم فيهما.

والله أعلم.

٦٠ - " الألمعى ﷺ "

والألمعى هو: الحديد الذكاء، الصارم القول، المتوقد الفكر، الحاضر البديهة، وهذا الاسم مأخوذ فى الأصل من لمع النار، وهو الضوء المصاحب لوهجها.

---

(١) مسلم ك فضائل الصحابة ح رقم ٢٠٧.

وكان النبى ﷺ كذلك بشهادة واقعه التاريخى الذى شهده الناس.

قال أوس بن صخر فيما يروى عنه فى شواهد اللغة:

الألْمَعِيُّ الَّذِى يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

٦١ - " الآمن ﷺ "

والآمن كصاحب وزنا وهو الخالص التقى الشريف النقى، هو اسم فاعل من أمن الثلاثى أو من مصدره وهو: الآمن.

وهو يقال كذلك على طمأنينة النفس وزوال الخوف.

وسمى ﷺ به لأن الله أمنه فى الدنيا حيث قال: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾** (المائدة: ٦٧) وأمنه فى الآخرة حيث قال: **﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ﴾** (التحريم: ٨).

ولعل الحكمة فى ذلك - كما ذكروه - أنه قد أمنه فى الدنيا ليفرغ إلى الدعوة، وأمنه فى الآخرة ليفرغ إلى الشفاعة، حيث شغل كل نبى قبله بما سيعتذر به عن قبول الشفاعة بين يدى ربه للعباد يصرفهم الله عز وجل عن المحشر أو غير ذلك من أنوع الشفاعات.

٦٢ - " الأمين ﷺ "

الأمين وهو فعيل بمعنى فاعل وهو القوى الحافظ.

ومعناه ظاهر واشتهاره به قبل الوحى وبعده لا يخفى.

قال كعب بن مالك فيه:

أَمِينٌ مُحِبٌّ فى العِبادِ مُسَوَّمُ بِخَاتَمِ رَبٍّ قَاهِرٍ لِلْخَوَاتِمِ

٦٣ - " المأمون ﷺ "

المأمون وهو: فعيل بمعنى مفعول من الائتمان.

٦٤ - " الأمى ﷺ "

الأمى وهو الذى لا يحسن الكتابة.

وكان كذلك لئلا يتهمه أحد بالنقل عن غيره ومطالعة الكتب القديمة والاستنساخ منها.

ويعد من قبيل التشويش المقصود إليه إنكار هذا الاسم أو تأويله على غير وجهه بحجة أن ما لا يعرف الكتابة ناقص فى شخصيته، إذ القراءة والكتابة صناعة يتعلمها

أصحابها لتكون وسيلة لتحصيل المعارف، وتكرارها على الذاكرة مرارًا لتستقر بها، ليتم استدعاؤها فى الوقت المناسب، والاطلاع على معانيها فى مصادرها.

والله عز وجل قد أعفى نبيه من ذلك كله حين منحه إياه على غير الأسباب المعتادة، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة: ١٦: ١٩).

الأمية فى النبى ﷺ إذًا شرف وصيانة تفوق بكثير ما يختص به غيره من القراءة والكتابة مهارة وصناعة.

وربه يمدحه بهذا الاسم ويجعله جزءًا من مقومات شخصيته قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

٦٥ - " أنعم الله ﷺ "

أنعم الله: بفتح الهمزة وضم المهملة، جمع نعمة فى الأصل وهى الإحسان، وسمى بذلك لأنه نعمة من الله تعالى على عباده وبعثه رحمة لهم، وحصل بوجوده للخلق نعم كثيرة منها الإسلام والإنقاذ من الكفر والأمن من الخسف.

٦٦ - " أَنْفَسُ العرب ﷺ "

أنفس العرب أى أكرمهم وأعزهم.

وإذا كان هو كذلك فى العرب فهو فى غيرهم أولى.

وقد يستدل بعضهم على هذا الاسم بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) بقراءة فتح الفاء فى " أنفس " على نحو ما رويت عن ابن عباس.

وقد لا يستقيم هذا الاستدلال، إذ القراء وضعوا هذه القراءة ضمن القراءات الشاذة.

٦٧ - الأَنْوَرُ الْمُتَجَرِّدُ ﷺ "

الأنور المتجرد: أى المشرق، والمتجرد بفتح الراء: كل ما يتجرد عنه من بدنه فيرى.

٦٨ - " الأَوَّاهُ ﷺ "

الأواه: بتشديد الواو.

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: كان رسول الله ﷺ يدعو: " رب اجعلنى شكارًا لك ذكارًا لك رهابًا لك مطواعًا لك مخبتًا لك أواها منيبًا " (١).

والأواه مختلف فيه، وكل ما ذكروه فى معنى الأواه متحقق فى الرسول ﷺ من نحو: الخاشع، المتضرع فى الدعاء، المؤمن، التواب، والموقن المنيب الحفيظ بلا ذنب.. إلخ.

٦٩ - " الأوسط ﷺ "

والأوسط فى الأشياء هو الأعدل، قال الله تعالى فى أصحاب الجنة: **﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾** (القلم: ٢٨)

واتفق المفسرون على أن الأوسط فى الآية هو الأعدل، وقال تعالى فى أمة آخر الرسل وخاتم الأنبياء: **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** (البقرة: ١٤٣) يعنى عدولا خيارًا وأهل دين وسط بين الغلو والتقصير.

وعلى هذا فإننا نستطيع أن نفهم دلالة هذا الاسم فى النبى ﷺ فهى واضحة لا خفاء فيها.

قال الشاعر يمدح النبى ﷺ:

يَاأَوْسَطَ النَّاسِ طُرًّا فِى تَفَاخُرِهِمْ ... وَفِى تَفَاضُلِهِمْ يَاأَشْرَفَ الْعَرَبِ

٧٠ - " الأَوْلَى ﷺ "

الأولى: أى الأولى بالمؤمنين من أنفسهم أى أجدر وأحرى فى كل شىء من أمور الدنيا والدين من أنفسهم.

فالولاية هنا نوع قيادة لم تتوفر بمميزاتها وخصائصها التى تحققت فيه وفى أمته إلا له ﷺ فكان هو الأولى: أفعل تفضيل من الولاية.

٧١ - " الأول ﷺ "

والأول هو: السابق المتقدم على غيره، أو الذى يُقتدى به.

وهو اسم ممنوع من الصرف والتنوين لكونه علَمًا على وزن الفعل كـ " أحمد ".

وملحظ الصفة فيه واضح، إذ هو عند العلماء جار مُجرى أفعل التفضيل، أعنى الأول

---

(١) الحديث أخرجه أحمد فى مسنده ١ / ٢٢٧.

بالإطلاق، فإن قصدت إضافته إلى الناس أو الخلائق مثلاً أو غير ذلك من الإضافات التى تليق بإطلاقه هنا على النبى ﷺ بنيته على الضم.

والقاعدة عند النحويين لا تخفاك.

٧٢ - " الآخرُ ﷺ "

والآخر: ضد الأول: اسم فاعل من التأخر ضد التقدم.

والمراد به هنا أنه آخر الأنبياء من حيث الوجود التاريخى، فهو قريب من الخاتم.

٧٣ - " أوّلُ شافع ﷺ "

حيث إنه أوّلُ من يطلب الشفاعة بعد إحالة الرسل عليه.

٧٤ - " أوّلُ مشفع ﷺ "

وهى اسم مفعول من شَفَّعَ.

ولا يغيب عنا أن الشفاعة لا تكون يوم القيامة إلا لمن أذن الله له فى هذه الشفاعة، وأن تكون الشفاعة لمن ارتضى الله عز وجل الشفاعة له، حيث إن الشفعاء لا يشفعون إلا لمن ارتضى، وما ذاك إلا لإبراز مكانة الشفيع فى يوم يعز فيه من تعلو مكانته.

ولا شك أن النبى ﷺ سيكون أول من يؤذن له فيشفع، فهو أوّلُ مشفع.

٧٥ - " أوّلُ المسلمين ﷺ "

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

٧٦ - " أوّلُ من تنشق عنه الأرض ﷺ "

٧٧ - " أوّلُ المؤمنين ﷺ "

٧٨ - " آية الله ﷺ "

والآية: العلامة الظاهرة، وتستعمل فى الدلالة على قدرة الله وسائر صفاته من نحو: العلم والإرادة والحكمة.

واشتقاقها كما قال الراغب: من - أىَ - لأنها تبين شيئا من شىء أو من- أوىَ - إليه لأنه يُؤْوَى إليها ليستدل بها على المطلوب.

ولقد سمى النبى ﷺ بذلك لأن الله تعالى جعله علما على طريق الهدى، وعلما يستدل به على الفوز الأبدى ويقتدى به.

وهو على كل حال آية وعلامة دالة على ربه فى خَلقه وخُلُقه ونبوته ودينه الذى جاء به ومعجزاته الدالة على صدقه.. إلى آخر ما هو ظاهر.

وقد حاول بعضهم أن يحمل قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (فصلت:٥٣، ٥٤) على سيدنا محمد ﷺ على نحو ما حكى ابن المنذر ذلك عن مجاهد.

وقد قرئ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (آل عمران:٤) بالإفراد فى آيات، ثم حملها بعضهم على أن المراد بها وهى مفردة " آية " النبى ﷺ.

حرف الباء:

٧٩ - " البارع ﷺ "

والبارع مأخوذ من الفعل برُع بضم الراء وفتحها وكسرها، والمصدر براعةً وبُرُوعًا.

والبارع هو من فاق أقرانه فضلا وعلما ورجح عليهم حلما وحكما.

وكذلك كان ﷺ.

٨٠ - " البَارِقْليطُ ﷺ "

والبارِقْليط هى: بباء فألف فراء مكسورة فقاف ساكنة فلام فياء فطاء.

وهذا الاسم سمى به النبى ﷺ فى الإنجيل.

ولقد قرأ القاضى عياض وغيره ما فى الإنجيل - على ما يبدو - ونقل أن معنى الكلمة عندهم هو: روح القدس.

وفيما نقل عن ثعلب أن معنى الكلمة - بارقليط - هو ذلك الذى يفرق بين الحق والباطل.

وأنت حين تتتبع الإنجيل تجد أن كاتبيه يقولون: إن الكلمة - بارقليط - معناها: المعزى أو المخلص أو الشافع.

وهذه المعانى على وجاهة بعضها قد رأى بعض الكاتبين المحدثين أنها كلها غير مقبولة لديهم، لأنها ببساطة شديدة لا ترتبط بهذه الكلمة ارتباطًا لغويا، وما ذلك " كما يقول

عبد الأحد داود " إلا لأن الدراسة المتعمقة فى الإنجيل لغويا وتاريخيا قد انتهت به إلى أن كلمة " بارقليط " ليست هى اللفظة التى استعملها السيد المسيح فى لغة الإنجيل الأصلية والذى لم يكن مكتوبًا إلا فى صدره ﷺ.

وينتهى الباحث إلى أن كلمة " بارقليط " أو مساويها فى الكلمات التى استعملها السيد المسيح، إنما هى مشتقة من مادة الحمد، ولا تعدو كلمة " البارقليط " إلا أن يكون معناها فى العربية " أحمد " على نحو ورودها فى القرآن الكريم [١].

وهذا الذى انتهى إليه البروفسورعبد الأحد داود قد لاحظه كثيرون من الكتاب العرب القدامى.

٨١ – " الباطن ﷺ "

والباطن من أسمائه تعالى ودلالتها فيه أكمل وأتم وأعز.

أما دلالة هذا الاسم " الباطن " بالنسبة للنبى ﷺ، فهى أنه يطلع على بواطن الأمور المغيبة عن الناس بإطلاع الله عز وجل له عليها: ﴿عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا • إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ (الجن:٢٦، ٢٧).

ويجوز أن يكون معنى الاسم فيه الذى لا تدرك غاية مقامه وعظيم شأنه الذى خصه الله تعالى به لقصر العقول عن ذلك.

يقول البوصيرى مادحًا جنابه الشريف:

أعيَى الورَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى ... لِلْقُرْبُ وَالْبُعْدُ فيه غَيْرُ مُنْفَحِمِ
كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ ... صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ
وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِى الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ ... قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ
فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ ... وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمِ

٨٢ – " البالغ ﷺ "

فما من صفة أو اسم يكون لهما دلالة على نسبة معناهما إلى النبى ﷺ إلا ويكون

---

(١) راجع محمد فى الكتاب المقدس – عبد الأحد داود – ترجمة فهمى شما – مراجعة أحمد محمد الصادق ط. فى دولة قطر – الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

النبى ﷺ قد بلغ فيه الكمال المخلوق وتربع قمته.

٨٣ - " **البيان ﷺ** "

وقد وقف عليه هو والذى قبله الشيخ القسطلانى وذكرهما فى المواهب اللدنية، أما على كون كل واحد منهما اسما مستقلا، أو على أنهما اسما واحدًا بإضافة البيان للبالغ، فيقال: (بالغ البيان).

٨٤ - " **الباهر ﷺ** "

والباهر تقال على البالغ فى الحسن مداه بحيث يبهر الأنظار أو العقول.

وهى تقال على النبى ﷺ وصفًا لكمال حسنه فى خلقه، ولكمال حسنه فى خُلُقِه، ولكمال حسنه فى عقله وتدبيره، ولكمال حسنه وحكمته فى سلوكه وتصرفاته.

وعلى الجملة فهو الباهر فى جميع أحواله وصفاته.

قال الشاعر فى المدح:

لَقَدْ بَهَرْتَ فَلاَ تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ... إلاَّ عَلَى أَكْمَهٍ لاَ يَعْرِفُ القَمَرَا

٨٥ - " **الباهى ﷺ** "

وهو من البهاء الذى هو الحسن، وهو معتل الآخر بالياء كالقاضى.

٨٦ - " **البحر ﷺ** "

والبحر فى الأصل يقال على مقابل البر، ثم بعد ذلك ذكر وفهم منه الماء الذى يجرى بين شاطئين، وهو يطلق كذلك ويراد منه النهر العظيم، كما يطلق ويراد منه الفرس سريع الخطو وَالْعَدْوِ، ثم نقل من هذه الحسيات جميعها ليطلق على المعنويات: كسعة العلم، وبالغ الكرم... إلخ.

وفى قصص الأنبياء للكسائى أن النبى ﷺ إنما وصف به لأن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه: إن محمدًا البحر الزاخر، أى لعموم نفعه لأنه طاهر فى نفسه مطهر لغيره ممن اتبعه، ولسعة كرمه، فقد قال أنس رضى الله تعالى عنه: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه – قال: فسأله رجل غنما بين جبلين فأعطاه إياها، فأتى قومه فقال: ياقوم أسلموا فوالله إن محمدًا ليعطى عطاء من لا يخالف الفقر " [1].

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ك الفضائل – ح رقم ٥٧.

٨٧ - " البدء ﷺ "

والبدء اسم لمن يبدأ به إذا عد العظماء لكونه أجلهم.

وأنت تعلم ما فعل هذا الكاتب الأجنبى فى كتابه عن العظماء، حيث جعل عنوانه: (العظماء مائة أولهم محمد ﷺ) (١).

٨٨ - " البديع ﷺ "

البديع المتفرد فى مكانته وهى صفة مشبهة تفيد أن الله قد منحه هذه المكانة واختصه بها فهو مبدع من أبدع.

وهذا الاسم من الأسماء التى تطلق على الله عز وجل فيكتمل معناها فيه، فهو البديع بالإطلاق بمعنى المبدع سبحانه، وهى فى النبى ﷺ المنفرد بمكانته على مستوى الخلائق.

٨٩ - " البدر ﷺ "

والبدر قمر فى اكتماله، وهو يطلق على النبى ﷺ ليدل على اكتمال صفاته الحسية والمعنوية.

قال الكسائى فى قصص الأنبياء إن الله تبارك وتعالى قال لموسى فى مناجاته: إن محمدًا هو البدر الباهر والنجم الزاهر والبحر الزاخر.

٩٠ - " البر ﷺ "

البر بالفتح هو من البر، والبر هو: الإحسان أو الطاعة أو الصدق وقد اجتمع للنبى ﷺ كل ذلك.

وهو من أسمائه تعالى كذلك مع الفارق فى الدلالة.

٩١ - " البَرْقَلِيطِس ﷺ "

وهو فى غير العربية على ما بيناه، قال ابن إسحاق - بحق هو محمد بالرومية، (انظر بارقليط السابق قريبا).

٩٢ - " البرهان ﷺ "

والبرهان: الحجة النيرة التى تعطى اليقين التام.

---

(١) أشرنا إلى ذلك الكتاب الذى كتب حوله الأستاذ أنيس منصور فيما سدارناه فى بحثنا (محمد الإنسان العظيم والنبى العظيم).

روى ابن أبى حاتم عن سفيان بن عيينه رحمه الله تعالى قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ١٧٤) قال هو محمد.

وجزم به ابن عطية والنسفى ولم يحكيا غيره " [١].

٩٣ – " البَشَرُ ﷺ "

وهى اسم جنس عام يتميز به الناس لظهور بشرتهم لا يسترها الشعر، وسمى النبى ﷺ بهذا الاسم لأنه أعظم البشر وأجلهم، كما سمى بالناس من تسمية الخاص باسم العام قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ (الكهف:١١٠) نبه تعالى بذلك على أن الناس متساوون فى البشرية غير متفاضلين فى الإنسانية، وإنما يتفاضلون بما يتخصصون به من المعارف الجليلة، ولذا قال بعده ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ تنبيها على الجهة التى حصل بها الفضل عليهم، أى إنى تميزت عليكم وخصصت من بينكم بالوحى والرسالة.

٩٤ – " بشرى عيسى ﷺ "

﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦).

قال فى المستدرك: إن النبى ﷺ قال " أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى " [٢].

٩٥ – " بِمَأْذ بِمَأْذ ﷺ "

وهو منقول من التوراة قاله ابن دحية.

وقال ابن القيم ما مفاده إنه قد اطلع عليه، وأن الاسم هكذا " ماذ ماذ " " ذكر فى جلاء الأفهام " وحاول بعضهم أن يأخذ الاسم بحساب الْجُمَّلِ أبجد هوز، فانتهى بأنه بهذه الطريقة يساوى ما ينتهى إليه حروف اسمه الشريف فى العربية لو حول إلى أرقام.

وهى طريقة لا أطيل بذكرها لعزوفى عنها.

ويبقى أن الاسم قد بشر به فى الكتب السماوية على نحو ما ذكروه.

٩٦ – " البليغ ﷺ "

البليغ وهو: الفصيح الذى يبلغ بعبارته كنه ضميره.

---

(١) راجع التفاسير.

(٢) المستدرك للحاكم ٢ / ٦٠٠.

٩٧ - " البهاء ﷺ "

وهو مصدر بمعنى العز والشرف سمي **به** ﷺ لتمكنه من هذا المعنى، فهو عزُ أمته وشرفهم.

٩٨ - " البهى ﷺ "

البهى: وهو الحسن العاقل.

٩٩ - " البينة ﷺ "

وهو الحجة الواضحة، والأصل: البين، **و**الهاء للمبالغة: كـ عَلاَّمَة ونَسَّابَة، وهو مأخوذ من القرآن قال تعالى: **﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ*رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾** (البينة:١، ٢).

والرسول بدل من البينة أو عطف بيان **قاله** ابن عطية " [١].

١٠٠ - " البيان ﷺ "

البيان: الكشف والإظهار أو الفصاحة أو اجتماعها مع البلاغة وإظهار المقصود بأبلغ لفظ.

والبيان هو: المبين.

والمعنى ظاهر.

حرف التاء:

١٠١ - " التَّالى ﷺ "

والتالى تطلق ويراد منها الظهور التاريخى.

وحينئذ يكون معناها فيه أنه ظهر بعد الأنبياء واتبع سننهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٣) وقال: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ (الأحقاف: ٩).

وقد تطلق ويراد منها التلاوة وهى القراءة.

وحينئذ يكون معناها فيه أنه هو التالى للوحى القارئ له على وجهه، قال تعالى: **﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ**

---

(١) راجع التفسير.

وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ أى القرآن (سورة البقرة: ١٥١).

وقال: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَـٰبِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ (الكهف: ٢٧).

١٠٢ - " التذكرة ﷺ "

والتذكرة: ما يتذكر به الناسى وينتبه به الغافل، وهى مصدر من الفعل الرباعى: ذكَّر بتضعيف الكاف.

قال الراغب: وهى " أى التذكرة " أعم من العلامة والدليل، لأنهما يختصان بالأمور الحسية، والتذكرة لا تختص بذلك، بل تكون للأمور الذهنية أيضا.

وسمى به ﷺ لأنه قد تحقق فيه معناه، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (الحاقة:٤٨) على قول من قال: إن المراد بالتذكرة: النبى ﷺ.

١٠٣ - " التقى ﷺ "

وهو فعيل من التقوى.

وقد وصف به ﷺ فى القديم كما هو موصوف به فى حياته العملية، وواقعه المشهود.

قال: القاضى عياض: وجد على الحجارة القديمة مكتوب: " محمد تقى مصلح سيد أمين ".

١٠٤ - " التلقيط ﷺ "

نقل عن بعضهم أنه سمى به فى لغة الرومان.

١٠٥ - " التنزيل ﷺ "

وقد ذهب إلى تسميته بذلك بعض من أحصى أسماءه على أساس أنه هو من نزل عليه القرآن، أو هو من أرسل إلى الناس بضرب من التأويل قد يكون بعيدا.

١٠٦ - " التِّهَامى ﷺ "

وهى بكسر التاء نسبة إلى تِهامة.

وتِهامة هى ما نزل عن هضبة نجد موازيا لساحل البحر الأحمر، وهى من أسماء مكة.

ومنشأ هذا الاسم مأخوذ من تغير الهواء، يقال: تَهِمَ إذا تغير.

قال ابن فارس: هى من تهم بفتحتين وهى شدة الحر وركود الريح.

حرف الثاء.

١٠٧ - " ثانى اثنين ﷺ "

وهو مأخوذ من حاله فى الغار يوم الهجرة، حيث قال الله: ﴿ **إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا** ﴾ (التوبة: ٤٠).

وقال بعض من لايفقهون: إن صياغة الآية على هذا النحو تجعل النبى ثانى، وهو يعارض ما ذكرتموه أولا من أسمائه حيث قلتم: إنه أول.

والجواب: أنه إذا انضم واحد إلى آخر ليشفعه بعد أن كان وترا، سمى كل واحد منهما ثانى، فإذا رمزنا إلى أحدهما بالحرف (أ)، وإلى الثانى بالحرف (ب)، ساغ لنا أن نقول: إن (أ) حين انضم إلى (ب) صيره ثانيًا، فى نفس الوقت الذى صيرت فيه (ب)،(أ) ثانيًا.

كما قال بعضهم فى اعتراض آخر ليس موضوع الحديث عنه الآن: إن النبى ﷺ كان مع أبى بكر فى الغار ساكنا وأبو بكر قلقا، وفى يوم بدر كان النبى ﷺ راغبًا إلى ربه وأبو بكر هادئ يسكنه، فكيف يفهم ذلك ؟.

والجواب أن نقول: إن النبى ﷺ فى الموقفين كان فى موقع الصدارة.

فحين كانت حادثة الهجرة كان النبى ﷺ قد استوفى أسبابها، فترك النتائج لله عز وجل.

وهذا هو مقام التوكل اللائق بهذا الحديث.

وحين كانت حادثة بدر لم يكن النبى ﷺ قد استوفى جميع أسباب المعركة، مما جعله يلح فى الطلب على ربه.

وهذا هو مقام الرجاء المناسب لهذا الحال.

فأدرك النبى ﷺ المقامين وأخطأهما أبو بكر.

فتأمل مواقفه التى لم تنزل به عن مقام الأولية فى كل خير وفهم وسلوك.

١٠٨ - " الثِّمَالُ ﷺ "

والثمال بكسر الثاء وتخفيف الميم يقال على العماد والملجأ والمغيث والمعين والكافى.

وهى أسماء ومعان تطلق على الخالق والمخلوق، فهى فى الخالق بالإطلاق، وفى

المخلوق نسبية.

وقد تَوَسَّمَ فيه عمُّه أنه محقق لهذه المعانى فأطلق عليه هذا الاسم فقال:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهه ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ [(١)]

وتنبوءات عمه بهذه المعانى يرجوها له استندت إلى ما كان يقرؤه من صفحة وجهه.

وصفحات وجوه الرجال دالة على أحوالهم، وما يكون من مستقبل أمرهم.

كما يقول القائل:

وَقَلَّ مَنْ ضَمُنَتْ خَيْرًا طَوِيَّتُه إِلاَّ وَفِى وَجْهِهِ لِلْخَيْرِ عُنْوَانُ

وقد تضم الثاء فى هذا الاسم فيقال: " الثُمال " ومعناها على هذا النحو: المنقطع إلى الله تعالى الواثق بكفايته.

والكل متحقق فيه ﷺ.

حرف الجيم:

١٠٩ - " الجامع ﷺ "

وهو اسم فاعل من الثلاثى جَمَعَ.

والاسم بهذا الإطلاق أعم من أن نخصصه بميدان من الميادين، فهو الجامع للحسن كله فى مجالاته المختلفة.

١١٠ - " الجبار ﷺ "

وقد يبدو هذا الاسم غريبًا فى إطلاقه على النبى ﷺ لأول الأمر، وترجع الغرابة فيه لهذا الاتساع فى معناه.

ولم يرد الله عز وجل أن يكون هذا الاسم مرتبطًا بالنبى ﷺ بهذا الاتساع فى المعنى.

ومن أجل هذا فإننا سنعرض عليك معنى هذا الاسم على اتساعه، ثم نخصصه فى إطلاقه على النبى ﷺ بما خصصه به القرآن الكريم.

أما معنى الجبار واشتقاقها: فهى مأخوذة من الجبر، أو من الفعل: جَبَرَ.

قال فى الصحاح: الجبر: أن تغنى الرجل من الفقر أو تصلح عَظمه من الكسر، وأجبرته على الأمر: أكرهته.

---

(١) ابن هشام – سيرة ١ / ٢٩٥.

وقال ابن دُرَيد: الجبار العظيم الخُلق، والجبار المسلط على الناس.

أرأيت إلى هذا الاتساع فى المعنى.

والجبار حين تطلق عليه ﷺ لا يمكن أن يراد منها هذا التعالى المقرون بالظلم، وإنما معناه فى حقه ﷺ: إما لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم، أو لقهر أعدائه، أو لعلو منزلته على البشر وعظم خطره.

ونحن نستفيد هذا التخصيص لمعنى الكلمة " جبار " حين تطلق على النبى ﷺ من هذه الآية الكريم حيث يقول الله عز وجل مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق: ٤٥).

والمقصود والله أعلم أنه ليس من خُلق النبى ﷺ ولا وظيفته أن يتسلط على الناس بالقهر، لتسخير الأبدان ومصادرة الإرادات والحجر على الفكر.

وليس معنى هذا الاستثناء وذلك التقييد والتحديد لمعنى الكلمة (الجبار) أن النبى ﷺ ليس له نوع سلطان وتصرف فى أمته، بحيث يتمكن من حملهم على العدل إن حادوا عنه، وعن جادة الطريق إن انحرفوا عنها، لأن حمل الناس على الجادة والعدل والاستقامة على المنهج والأخذ بالدين من أخص خواص وظيفته، وهو ما صرحت به الكتب القديمة قبل واقعه التاريخى، فقد سماه الله باسمه " الجبار " على هذا المعنى الذى ذكرناه فى كتب داود عليه السلام – على ما ذكروه – ففى كتاب داود عنه: تقلد سيفك أيها الجبار فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك.

والجبار: اسم مشترك يطلق على الله وعلى غيره على الميزان التى ذكرناها كثيرًا.

١١٢ – " الجَد ﷺ "

الجد: بفتح الجيم وضمها: العظيم الحظ الجليل القدر، أو بكسرها وفتحها أيضًا بمعنى الحظ والحظوة، أى صاحب الحظ العظيم عند الخلق والحظوة عند الحق، أو بكسرها فقط بمعنى: الاجتهاد فى الأمر أى ذو الاجتهاد فى العبادة ودأب النفس فى طلب السيادة.

١١٣ – " الجليل ﷺ "

هى صفة مشبهة من الفعل: جل، أو من مصدره: الجلال، وجل بمعنى عظم، والجلال هو العظمة.

والفرق بين الجلال والجمال، أن الجلال يعنى: تنحية الأمور التى لا تليق عن الذات،

وأن الجمال يعنى: إضافة الأمور التى تكمل بها الذات، فصفة الجلال سلبية، وصفة الجمال إيجابية.

وتساءل الكرمانى قائلا: فإن قيل: ما الفرق بين الجلال والعظمة والكبرياء ؟.

ثم أجاب بقوله: قيل هى: مرادفة، وقيل: نقيض الكبير الصغير، ونقيض الجليل الدقيق، ونقيض العظيم الحقير، وبضدها تتبين الأشياء.

والجليل من الأسماء المشتركة بين الله وعباده، فإذا أطلقت على الله عز وجل، تطلق عليه بما يناسبه من المعانى.

١١٤ - " الْجَهْضَمُ ﷺ "

والجهضم: بالجيم بعدها هاء ثم ضاد فميم على وزن جعفر: العظيم الهامة، المستدير الوجه، الرحب الجبين، الواسع الصدر، وهذه الأوصاف مجتمعة فيه ﷺ.

١١٥ - " الْجَوَّادُ ﷺ "

الجواد: هى صيغة مبالغة من الجواد كما نعلم.

قال القشيرى رحمه الله تعالى: حقيقة الجواد أن لا يصعب عليه البذل.

وأول مراتب الكرم: السخاء، ثم الجود، ثم الإيثار، فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو السخى، ومن بذل الأكثر وأبقى شيئا فهو الجواد، ومن قاسى الضر وآثر غيره فهو المؤثر.

١١٦ - " الْجَوَادُ ﷺ "

والجواد: بالتخفيف: الكريم السخى الطائع المِلىّ صفة مشبهة من الجود وهو سعة الكرم أو الطاعة.

والفرق بينه وبين الذى قبله أن الجواد مشددة لما فيها من المبالغة تكون دلالتها على الملكة التى يصدر عنها الجود أقرب، وأما الجواد مخففة هكذا بغير تشديد فإنها إلى سلوك البذل والعطاء أقرب فى الدلالة عليه.

حرف الحاء

١١٧ - " الحاتم ﷺ "

هو بكسر التاء وقيل بفتحها، ومعناه أنه يمتاز عن الأنبياء فى خُلقه.

ولقد ذكر القاضى عياض أن هذا الاسم " الحاتم " من أسمائه فى الكتب السالفة، ونقله

عن كعب الأحبار.

والذى يظهر لى وأنا أكتب هذه السطور أن صاحب كتاب " المثل الأعلى فى الأنبياء " قد استوحى فكرة كتابه كلها من هذا الاسم وإن لم يصرح بذلك [(١)].

فتأمله فإنه لا يخلو من فائدة.

١١٨ - " الحاشر ﷺ "

انظره فيما سبق من هذا البحث.

١١٩ - " حاط حاط ﷺ "

هو اسمه فى الكتب السالفة وبلغتهم، نقله عنها العرقى.

١٢٠ - " الحافظ ﷺ "

قال الإمام الغزالى رحمه الله تعالى: والحافظ من العباد: من يحفظ جوارحه وقلبه، ويحفظ دينه عن سطوة الغضب، وجلابة الشهوة، وخداع النفس، وغرور الشيطان [(٢)].

والنبى على السنام من هذا كله.

وهذا الاسم يطلق على الله عز وجل بعد تحويله إلى صيغة المبالغة " حفيظ " وهو بالنسبة إلى الله عز وجل يدل على منح الموجودات الإمداد والاستعداد، وهما فى اتجاهين:

أحدهما: يظهر فى الحفاظ على الموجودات من التلف والعدم سواء ما كان منها معمرًا وما كان محدود الأجل.

وثانيهما: الحيلولة بين المتضادات لا يفنى أحدهما الآخر لاحتياج الطبائع إليها على نحو ما هو ظاهر فى الكون [(٣)].

وأنت خبير الآن ولا شك أن هذا الاسم " الحافظ " حين يطلق على النبى ﷺ فإن معناه يتراجع كثيرًا عن معناه حين يطلق على الله عز وجل.

١٢١ - " الحاكم ﷺ "

---

(١) انظر كتاب المثل الأعلى فى الأنبياء – خ – كمال الدين – نقله إلى العربية أمين محمود الشريف– ط. المطبعة النموذجية – القاهرة الناشر مكتبة وهبة بدون.

(٢) المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى – الغزالى ت ٥٠٥ هـ – حققه وخرج أحاديثه الشيخ محمد مصطفى أبو العلا – مكتبة الجندى بدون – القاهرة – ص ١٠٥.

(٣) السابق فى اسم الله (الحفيظ).

هو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء: ١٠٥).

١٢٢ - " الحامد ﷺ "

وهو اسم فاعل من الحمد الذى هو الثناء على الله عز وجل، ومعناه ظاهر.

وانظر تفصيل القول فى الاسمين: (أحمد ومحمد) من هذه الدراسة قبل هذا الجدول.

١٢٣ - " الحامى ﷺ "

وهو الذى منع أمته من العِدَى والحافظ لها من الرَّدَى، وهو الذى حمى البيت الحرام وأبعده من أيدى ذى الجُرْم، فضلا عن أنه حامى مبادئ هذا الدين فى عصر المبعث بشخصه، وبعد عصر المبعث بسنته وروحه على مستوى ما يحمى البشر بحيث تربع منه السنام.

وإنما نسب الفعل إليه على هذا النحو، وحقه أن ينسب إلى الله لهذه الملابسات التى ذكرناها، وهى مسوغة لغويا لنسبة الفعل إليه ﷺ.

١٢٤ - " الحائد لأمته من النار ﷺ "

اسم فاعل من: حاد يحيد، أى يُميل أمته عن النار.

وهو ظاهر.

١٢٥ - " حبيب الله ﷺ "

هو فعيل من المحبة بمعنى مفعول أو بمعنى فاعل.

والمعنيان له ﷺ.

١٢٦ - " حبيب الرحمن ﷺ "

١٢٧ - " حَبَنْطَى ﷺ "

هو فى لغة الأولين ومعناه عندهم أنه هو الذى يفرق بين الحق والباطل وهو مذكور به فى الإنجيل.

١٢٨ - " الحجازى ﷺ "

نسبة إلى الحجاز وهو مكة واليمامة وقراهما، وسمى حجازًا لأنه حجز بين تِهامة ونجد.

١٢٩ - " حجة الله على الخلائق ﷺ "

فما من نبى إلا وهو حجة الله على أمته، والنبى ﷺ هو حجة الله على الجميع، ففى سورة البقرة الآية ١٤٣: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وفى سورة النساء الآيتان ٤١، ٤٢: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾.

١٣٠ - " الحجة البالغة ﷺ "

١٣١ - " حِرْزُ الأميين ﷺ "

هو حافظهم ومانعهم من السوء بمنحة الله له: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٣).

وأخرج البخارى فى صحيحه عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ. قال: " أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ وحرزًا للأميين " الحديث [1].

وقد يقول قائل: ولماذا النص على الأميين الذين هم العرب مع أن النبى ﷺ أرسل إلى الناس كافة ؟!

والجواب أن نقول: إن هذا الاسم بالذات قد ورد فى التوراة كما علمت، وإن التوراة قد نزلت لبنى إسرائيل، وفيهم صلف وغرور وتعالى، فأراد الله أن يحاصر هذا الغرور فيهم ببيان حقيقة العرب الذين منهم النبى ﷺ، وبيان مكانة النبى العربى، فهو نبى يَعِزُّ به قومه، وترتفع مراتبهم إن التزموا لأجله ﷺ، فهو حرزهم منحة الله عز وجل له ولهم.

١٣٢ - " الْحَرَمِىُّ ﷺ "

هو نسبة إلى الحرم المكى مولدًا ونشأة وفتحًا وحفظا.

١٣٣ - " الحريص ﷺ "

وهو فعيل بمعنى فاعل من الحرص وهو شدة الإرادة للمطلوب، قال تعالى: ﴿لَقَدْ

---

(١) صحيح البخارى ٢/ ١٢ – ك البيوع – باب كراهية السخب فى الأسواق وهو فى كتاب التفسير أيضا.

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

١٣٤ - " الحريص على الإيمان ﷺ "

١٣٥ - " حِزب الله ﷺ "

الحزب: الطائفة من الناس، وقيل: جماعة فيها غِلَظٌ، وحزب الله: عبيده المتقون وأنصار دينه.

وسمي بهذا الاسم العام لأنه قد اجتمع فيه ما تفرق في غيره كـ " أمة " وقد سبق.

١٣٦ - " الحسيب ﷺ "

هو فعيل بمعنى مُفْعِل الذى هو اسم الفاعل من غير الثلاثى.

ومعنى الحسيب نجده فى عدة محاور، فهو قد يطلق ويراد منه المحاسب أو المكافئ، فيكون اتصاله الوثيق بالسلوكيات والعلاقات المتبادلة بين بنى الإنسان، وهو قد يطلق ويقصد منه ذو النسب الرفيع والأصل السامى، وقد يطلق ويراد منه المركز الاجتماعى والشرف والسيادة والرفعة بين القوم.

والعبد ليس له مدخل من هذا الاسم " الحسيب " إلا بنوع من المجاز على نحو ما ذكرناه إذ الاسم فى الحقيقة يطلق على الله عز وجل.

وما ذكرناه من معنى الاسم فى البشرية متحقق لجميع محاوره فى النبى ﷺ فسمى به لتحقق هذا القدر فيه.

إذ هو كافٍ لأمته جميع ما تحتاج إليه من أمور الدنيا والآخرة بحيث لا يحتاجون إلى غيره ﷺ، وهو شريف فى مكانته الاجتماعية لا يدانيه فيها غيره، وهو شريف فى أصله ونسبه، فهو خير الناس أصلا وخيرهم نسبًا على ما دلت عليه النصوص، وشهد له به التاريخ.

١٣٧ - " الحفيظ ﷺ "

فعيل من الحفظ وهو صون الشيء عن الزوال فإن كان فى الذهن فضده النسيان، أو فى الخارج فضده التضييع.

وهو من أسمائه تعالى، وكلا المعنيين يصح إطلاقه عليه تعالى، لأن الأشياء محفوظة فى علمه لا يطرأ عليه نسيان ويحفظ الموجودات من الزوال، وقيل: معناه الذى يحفظ

سرك من الأغيار ويصون ظاهرك عن مرافقة الفجار.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ (هود: ٨٦) فمعناه: لست أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها، وقوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ (النساء: ٨٠) أى لتحفظهم حتى لا يقعوا فى الكفر والمعاصى أو لتحصى مساوئهم وذنوبهم فتحاسبهم عليها.

١٣٨ – " الْحَفِىُّ ﷺ "

والحفى هو: البر اللطيف – يقال: حَفِيتُ بفلان وتَحَفَّيْتُ به إذا اعتنيت – فى كرامته.

١٣٩ – " الحق ﷺ "

والحق هو: الثابت أو هو المطابق للواقع، وقد يطلق على الموجود يحق الحق ويميزه من الباطل أو الذى يحكم به.

والمعانى متحققة فى رسول الله ﷺ وقد وصفه القرآن بهذا الوصف قال تعالى: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ﴾ (آل عمران: ٨٦) وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ (يونس: ١٠٨) وقال تعالى: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ (الأنعام: ٥) على قول من قال: إن الحق هنا وفى التى قبلها المراد به النبى ﷺ لا القرآن.

والحق من أسماء الله عز وجل تتحقق معانيه بالنسبة لله تعالى على الإطلاق على ما يليق به، وتتحقق فى النبى ﷺ بما يحقق الكمال البشرى.

فتأمل.

١٤٠ – " الْحَكَمُ ﷺ "

والحكم بفتح أوله وثانيه: الحاكم أو المانع.

وهو من أسماء الله المشتركة بينه وبين عباده على ماعلمت من الأوصاف المشتركة.

١٤١ – " الحكيم ﷺ "

وهو من الحكمة صيغة مبالغة.

وإنما سمى بذلك لأنه: عَلِم وعَمِل وأذعن لربه.

وهذا غاية الحكمة.

١٤٢ – " الحليم ﷺ "

مبالغة من حلُم بضم وسطه.

والمبالغة فيه تدل على أن هذه الصفة قد أصبحت له ملكة وسجية.

قال أبو طالب يمدحه ﷺ:

حَلِيمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ يُوالِى إلــهًا ليس عنه بغافلِ (١)

والحِلْمُ الحاء وسكون اللام: الأناة فى الأمور، وهى بفتح الهمزة مقصورة كقناة: اسم للتأنى وهو التثبت وترك العجلة.

١٣٤ ــ " الْحُلاَحِلُ ﷺ "

والحلاحل بحاءين الأولى مضمومة والثانية مقصورة، ومعناه: السيد الشجاع أو هو كثير المروءة أو الرئيس الرزين.

والذى يبدو أن هذا الاسم له صلة بمادة (الحلول) المستلزم للاستقرار والهدوء وطمأنينة النفس، ونحن نعلم أن القلق والاضطراب فى النفس ليس من شيم العظماء ولا سادات الرجال.

قال قائلهم يمدح النبى ﷺ:

وَعَرْبَةٌ (٢) أَرْضٌ مَا يَحِلُّ حَلاَلَها (٣)

مِنَ النَّاسِ إِلاَّ اللَّوْذَعِيُّ الْحُلاَحِلُ (٤)

١٤٤ ــ " الحماد ﷺ "

وهى صيغة مبالغة من الحمد، وانظر الاسمين (أحمد ومحمد) قبل هذا الجدول.

١٤٥ ــ " حمطايا ﷺ "

وقد ضبطه بعضهم هكذا (حمياطا)

وهو فى الكتب السماوية القديمة ضمن مجموعة أسمائه فيها على نحو ما ذكره ابن

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٢٩٩.

(٢) اسم مكان وتسكين الراء لضرورة الشعر وأرض خيره وقد نزلت بها قريش فنسبت إليها وهى باحة دار إسماعيل ويبدو أن هناك عربة قرب المدينة فهما اثنتان.

(٣) المقصود: مكة والنبى قد حرمها بعد أن حلت له ساعة من نهار.

(٤) الوصفان للنبى ﷺ.

عباس (١).

ومعناه على كل حال: حامى الحرم من النصب والزنا والفجور.

١٤٦ ـ " الحميد ﷺ "

وهو فى النبى ﷺ كما علمت.

ولكنه من أسمائه تعالى بالإطلاق على معنى أنه حمد نفسه أزلا، وحمده عباده أبـدا، أو المستحق للحمد، لأنه الموصوف بكل كمال ومولٍ لكل نوال.

١٤٧ ـ " حم عسق ﷺ "

هذان من الحروف المقطعة فى أوائل السور وقد ذكرهما ابن دحية فـى أسـمائه ﷺ ونقله عنه الماوردى عن جعفر بن محمد.

وذكر ابن عباس رضى الله عنهما أنهما من أسمائه تعالى (٢).

وعلى كل حال فالكلام فى الحروف المقطعة كثير، والآراء فيها متعددة.

١٤٨ ـ " الحنان ﷺ "

والحنان بالتخفيف: الرحمة.

١٤٩ ـ " الحنيف ﷺ "

والحنيف: كلمة تطلق بالاشتراك على عدة معان.

غير أن إطلاقها بالمعنى الأول إنما يفيد الانحراف عن شىء ما.

وهى تطلق على النبى ﷺ بهذا المعنى لأنه قد انحرف بنفسه وبأمتـه عـن طريـق الشرك وأعراف الناس الفاسدة.

وفهم الحنيف بهذا المعنى يسلمنا تلقائيا إلى المعنى الثانى وهو: الاستقامة، وأنت عليم أن الانحراف عن المعوج استقامة من غير شك.

---

(١) حكاه عنه أبو نعيم فراجعه.

(٢) نسبت هذا الى ابن عباس فى خبر طويل قال عنه ابن كثير: إنه فى مسند ابن عباس عند الحـافظ أبى يعلى الموصلى وهو غريب.

كما ذكر ابن كثير أن هذه الحروف من أول سورة الشورى قد نسبت إليها أقوال عن النبى ﷺ تتعلـق بحكم بنى العباس وما يصير إليه وإنه من الفتن وهى أقوال غريبة قد صنعتها السياسة ولم تصح عن النبى ﷺ. راجع ابن كثير تفسير أول الشورى.

وهذان المعنيان يلزم عنهما ويترتب عليهما هذا المعنى الثالث وهو: الطهر والنقاء.

والنبى ﷺ قد اجتمعت له ولشريعته ومن اتبعه من أمته هذا المعانى كلها.

فهو حنيف بعث بالحنيفية فاتبعه عليها رجال حنفاء.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (النمل: ١٢٣).

ذكر بعضهم (وهو موقف وجيه) أن كلمة (حنيفا) حال من الفاعل الذى هو النبى ﷺ، أو الضمير المستتر بعد الفعل (اتبع).

وقال فى النهاية حديث: " خلقت عبادى حنفاء " [١] أى طاهرين من المعاصى لا أنهم كلهم مسلمون لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (التغابن: ٢).

١٥٠ ـ " الْحَيِىُّ ﷺ "

وهو مأخوذ من المصدر الذى هو: الحياء (على ما هو ظاهر).

والحياء صفة تقوم بالنفس تفيد انقباض النفس وانكفافها عن القبائح قولا وفعلا.

والأمر فى النبى ﷺ ظاهر التحقيق يشهد به واقعه، وينقل هذا الواقع الرواة عنه.

روى الدارمى عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال: " كان رسول الله ﷺ حيياً لا يُسْأَلُ شيئًا إلا أَعْطَى ".

١٥١ - " الحى ﷺ "

والحى: هو الباقى المتلذذ المتنعم فى قبره.

وعلى ذلك شواهد عقلية ونقلية كثيرة.

حرف الخاء:

١٥٢ - " الخاتِم ﷺ "

وهى بكسر التاء.

١٥٣ - " الخاتَم ﷺ "

وهى بفتح التاء.

---

(١) والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه – ك الجنة ح رقم ٦٣، وأحمد فى مسنده ٤ / ١٦٢.

١٥٤ - " خاتم النبيين ﷺ "

وهذه الأسماء الثلاثة واضحة الدلالة.

فالخاتِم بكسر التاء: اسم فاعل من الختم، والنبى ﷺ قد تحقق فيه هذا المعنى كما علمت.

وأما الخاتَم بفتح التاء: فهى كلمة فى الأصل تدل على الخاتم الذى هو آلة الختم، ثم نقلت عن هذا المعنى لتكون وصفًا لرسول الله ﷺ أو اسما له.

ودلالتها فيه واضحة من جهة المجاز، إذ الخاتم الذى هو آلة الختم يوضع فى آخر المكتوب للدلالة على أمرين:

أحدهما: اعتماد ما قبله الذى يكتب فى أعلاه.

وثانيهما: إلغاء ما بعده والإشارة إلى أنه تزوير لا معنى له.

وما من شك أن هذا كله متحقق فى رسول ﷺ.

وأما خاتم النبيين: فالإضافة هنا مخصصة وموضحة للمعنى المراد، والتخصيص هنا لحصر المراد من العبارة فى القمة، فهو خاتم النبيين وكفى.

وهذه المعانى وتلك الدلالات تؤخذ من القرآن كما تؤخذ من الحديث الشريف. ففى القرآن الكريم: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٠).

وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأكمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين " [(١)].

وذكر العلماء فى حكمة كونه ﷺ خاتم النبيين أوجها:

منها: أن يكون الختم بالرحمة.

ومنها: أن الله تعالى أراد أن لا يطول مكث أمته تحت الأرض إكراما له.

ومنها: أنا اطلعنا على أحوال الأمم الماضية، فجعلت أمته آخر الأمم لئلا يطلع أحد

---

(١) صحيح البخارى ٢ / ٢١٨، وصحيح مسلم ك الفضائل ح رقم ٢٢.

على أحوالهم تكريما له ﷺ.

ومنها: أنه لو كان بعده نبى لكان ناسخًا لشريعته، ومن شرفه أن تكون شريعته ناسخة لكل الشرائع غير منسوخة، ولهذا إذا نزل عيسى ﷺ فإنما يحكم بشريعة نبينا ﷺ لا بشريعته، لأنها قد نسخت.

ومن هنا يعلم أن معنى كونه لا نبى بعده أى لا نبى يبعث أو ينبأ أو يخلق وإن كان عيسى موجودًا بعده.

١٥٥ - " الخازن لمال الله ﷺ "

فى مسند الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: " والله ما أعطيكم ولا أمنعكم وإنما أنا قاسم أضعه حيث أمرت " (١).

قال النووى شارحا: معناه: خازن ما عندى أقسم ما أمرت بقسمته على حسب ما أمرت به، والأمور كلها بمشيئة الله تعالى.

١٥٦ - " الخاشع ﷺ "

وهو اسم فاعل من الخشوع، وأل فيه لاستغراق الجنس.

١٥٧ - " الخاضع ﷺ "

والخاضع قريب من الخاشع، إلا أن يكون أهل اللغة قد قالوا: إن الخشوع فى البدن والصوت والبصر، والخضوع فى الأعناق.

وفى الاثنين: تطامن وتواضع.

١٥٨ - " الخافض ﷺ "

والخافض قريب مما سبق، وقد يشار إليه بالكناية فيقال: خافض الجناح كناية عن اللين والتواضع، وقد أمره ربه بذلك فقال: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٥).

١٥٩ - " الخالص ﷺ "

النقى من الدنس.

١٦٠ - " الخبير ﷺ "

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/ ٤٨٢.

وقد أخذه بعضهم من قوله تعالى: ﴿فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٩) فيكون السائل غير النبى ﷺ ويكون المسئول هو رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وهذا الاسم من الأسماء المشتركة بين الله وبين عبادة.

والفرق فى الدلالة ظاهر.

١٦١ - " خطيب النبيين ﷺ "

واشتقاقه من الخطب وهو الجليل الشأن، أو من الخطاب، ذلك أن العرب كانوا يجتمعون إذا ما حزبهم أمر جليل وتخاطبوا فيه.

وهذا الاسم للنبى ﷺ مأخوذ من حديث الشفاعة وفيه: "كنت إمام النبيين وخطيبهم"[1].

١٦٢ - " خطيب الأمم ﷺ "

١٦٣ - " خطيب الوافدين على الله تعالى ﷺ "

١٦٤ - " الخليل ﷺ "

١٦٥ - " خليل الرحمن ﷺ "

١٦٦ - " خليل الله ﷺ "

الخليل فى كل ما ذكر يمكن أن تفهم بأنها فعيل بمعنى فاعل، ويمكن أن تفهم على أنها فعيل بمعنى مفعول، وهى مشتقة من الخُلة التى هى: الصداقة والمحبة التى تخللت القلب فصارت خلاله.

فإذا فهمنا إطلاق هذه المادة على النبى ﷺ على أنها فعيل بمعنى فاعل، فالمعنى ظاهر: وهو أن النبى ﷺ قد خالطت محبته لربه شغاف قلبه، بحيث لا يشغل قلبه سواها، ولايجوز أن يكون فى قلبه غيرها، فهى التى تحتل قلبه قبل كل شىء: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

وحين تطلق هذه المادة على النبى ﷺ اسما له ووصفًا فيه على أنها فعيل بمعنى مفعول، فالنبى ﷺ خليل الأمة على الحقيقة يستغرق أفرادها على ما ينبغى، ويتحقق فى بعضهم تحققًا ظاهرًا على ما هو واقع.

---

(١) أخرجه الترمذى فى صحيحه ٢ / ٢٨٢.

ثم هو خليل الرحمن بالمعنى اللازم لهذه المادة، أو هو على سبيل المشاكلة، فالحوادث لا تقوم بذاته سبحانه على ما هو معتقد المسلمين، وعلى ما هو الواقع الذى لا واقع سواه.

فقد ذهب بعضهم إلى أن اشتقاق الكلمة من الخَلة بفتح الخاء وهو الاحتياج، واستبعاد هذا المعنى حين نقول: إن المادة فى النبى ﷺ تفيد أن الله قد اتخذه خليلا، فهى فعيل بمعنى مفعول ظاهر، لأن الاحتياج محال على الله هو وجميع لوازمه.

ودليل إطلاق هذه المادة على النبى ﷺ وإرادة معناها ولازمها ما جاء فى الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبَا بكر خليلا وإن صاحبكم خليل الله "(١).

والخُلة بضم الخاء نشاط القلب وانفعالاته وأثر من آثاره وهى درجة أعلى من المحبة، الأمر الذى يجعلنا لا نقبل قول من قال: إن الخلة أدون من المحبة، والمحبة أعلى منها، ولذا وصف بها إبراهيم، ووصف النبى بأنه حبيب الرحمن، وهذا الاتجاه فى تخريج الكلمتين على هذا النحو قد وصفه بعض العلماء بأنه راجع إلى قلة استيعاب المعانى والنقص فى إدراكها، وإلا فإن الخلة نوع راق من المحبة وصف به النبى ﷺ كما علمت.

وأيا ما كان الأمر فنحن نسأل الله عز وجل لنا ولغيرنا أن يطبع قلوبنا على الخلة حتى نتخذ النبى ﷺ خليلا كما نتخذ ربنا خليلا، حتى نكون معهما على درجة ما يقول الشاعر:

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُوحِ مِنِّى ... وَلِذَا سُمِّىَ الْخَلِيلُ خَلِيــلاَ
فَإِذَا مَا نَطَقْتُ كُنْتَ حَدِيثِــى ... وَإِذَا مَا سَكَتُّ كُنْتَ الْغَلِيلاَ

١٦٧ - " **الخليفة ﷺ** "

١٦٨ - " **خليفة الله ﷺ** "

والمعنى فيه والذى قبله ظاهر إذا وقفنا على معنى نحو قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَآئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾** (البقرة: ٣٠).

والمراد والله أعلم أن الإنسان مستخلف فى الأرض لإقامة دين الله ونشره فى

---

(١) مسند الإمام أحمد ١ / ٤٦٢.

العالمين، ولعمارة هذه الأرض وتحسين وجهها.

وعلى هذا التخريج فالأنبياء فى الصفوف الأولى من معانى تحقيق الخلافة.

ولما كان النبى ﷺ خاتم النبيين وكتابه هو المصدق والمهيمن على جميع الكتب كان هو إمام الخلفاء عن الله، وكانت الألف واللام فى وصفه بالخليفة لاستغراق جميع جنس هذه الخصائص المتصلة بهذه الكلمة.

١٦٩ - " الخير ﷺ "

١٧٠ - " خير الأنبياء ﷺ "

١٧١ - " خيرة الله ﷺ "

١٧٢ - " خير البرية ﷺ "

١٧٣ - " خير الناس ﷺ "

١٧٤ - " خير العاملين ﷺ "

١٧٥ - " خير خلق الله ﷺ "

١٧٦ - " خير هذه الأمة ﷺ "

الخير على العموم هو الفضل والنفع.

والنبى ﷺ سمى به لما كان سببًا فيه من خير كثير لأمته.

ويظهر معناه بالإضافة فى كل موقع يكون فيه مضافًا فتأمله فى الأسماء التى ذكرناها لك.

حرف الدال:

١٧٧ - " دار الحكمة ﷺ "

وهذا اللفظ لم يرد صريحًا هكذا فيما أعلم، وإنما الوارد فى حديث رواه ابن عباس كما يقولون مرفوعًا إلى النبى ﷺ وأخرجه الحاكم فى مستدركه، وذكر أن له شاهدًا من رواية جابر بن عبد الله مرفوعًا إلى النبى ﷺ ونص الحديث عند الحاكم هكذا: [حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الرحيم الهروى بالرملة حدثنا أبو الصلت عبد السلام بن صالح حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ " أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب "].

قال الحاكم تعليقًا على هذا الحديث: [هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه].

والحديث فيه أبو الصلت عبد السلام بن صالح وقد اجتهد الحاكم اجتهادًا شديدًا فى تعديله والحكم له، وهو عند كثير من العلماء مردود الرواية، فعندما قال الحاكم عنه إنه ثقة وإنه مأمون، قال الذهبى معلقًا على ذلك: لا والله لا ثقة ولا مأمون، وعندما قال الحاكم على الحديث إنه صحيح، قال الذهبى: بل موضوع، وقد تابع الذهبى فى الحكم على هذا الحديث بالوضع ابن الجوزى وغيره.

أما الشاهد الذى أورده الحاكم من رواية جابر ففيه: أحمد بن عبد الله بن يزيد الحرانى وهو مردود الرواية، قال الذهبى: [العجب من الحاكم وجرأته فى تصحيحه هذا، وأمثاله من البواطيل، وأحمد هذا دجال كذاب] (١).

ومن أجل هذا كله فإننا نقول: إن هذا الاسم من أسماء النبى ﷺ الذى هو (دار الحكمة) وإن كان قد ذكره البعض، إلا أننا لم نجد لهم سندًا يؤيدهم فيه.

١٧٨ - " الداعى إلى الله ﷺ "

قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٦) أى باصطفائه له وتيسيره.

١٧٩ - " الدامغ ﷺ "

وهو من مادة الدمغ التى تعنى إصابة الدماغ، فهو يدمغ الباطل بالحق.

وسبق نظيره فى نحو (الحجة).

١٨٠ - " الدانى ﷺ "

وهو من الدنو بمعنى القرب، أخذوها من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ (النجم: ٨) على تفسير من قال: إن الدنو هو من النبى ﷺ.

١٨١ - " الدعوة ﷺ "

١٨٢ - " دعوة إبراهيم ﷺ "

١٨٣ - " دعوة النبيين ﷺ "

وتسمية النبى ﷺ بهذه المادة (دعوة) مفردة أو مركبة تركيبًا إضافيا ظاهر لظهور معناها فيه أو عنه، فهو الدعوة بمعنى الداعى أو المدعو به، وهو دعوة أبيه إبراهيم

---

(١) المستدرك للحاكم ٣ / ١٢٦ الأصل والحاشية.

والنبيين من بعده.

١٨٤ - " دليل الخير ﷺ "

الهادى إليه.

١٨٥ - " دَهْتَمْ ﷺ "

بوزن جعفر بالدال والهاء والتاء والميم وهو: السهل الخَلْقِ والحسن الْخُلُق، لا تسأمه العين ولا تمله الروح.

حرف الذال:

١٨٦ - " الذاكر ﷺ "

اسم فاعل من الذكر، وهو تمجيد الرب تعالى وتقديسه وتسبيحه، والألف واللام فيه لاستغراق الجنس ومعناه فى النبى ﷺ ظاهر كما ترى.

١٨٧ - " الذُّخر ﷺ "

بضم الذال وسكون الخاء: الذخيرة، ومعناه فى النبى ﷺ أنه ذخر هذه الأمة وذخيرتها إلى يوم القيامة.

١٨٨ - " الذكر ﷺ "

بسكون الكاف: القوى الشجاع الأبى، والثناء والشرف.

ولا يخفاك ظهور معناه فيه.

١٨٩ - " الذكار ﷺ "

مبالغة فى الذاكر.

١٩٠ - " ذو الحوض المورود ﷺ "

١٩١ - " ذو الخلق العظيم ﷺ "

١٩٢ - " ذو السيف ﷺ "

وذكر به فى الكتب السابقة.

فائدة:

قد ذكر بعضهم من أسمائه ﷺ كل فضيلة تضاف إلى (ذو) ويمكن أن يوصف بها النبى ﷺ على هذا التركيب الإضافى، وقد تركنا ذلك للعلم به، ولأن آحاده كثيرة اكتفينا بهذه النماذج التى ذكرناها منها.

وغيرها لا يخفى عليك إدراكه مثل: ذو السكينة، ذو الصراط المستقيم، ذو طيبة، ذو العزة، ذو العطايا، ذو الفتوح، ذو الفضل... إلخ.

تنبيه:

الجمهور على أن (ذو) لا تضاف إلا إلى اسم ظاهر، وأجاز المبرد إضافتها إلى الضمائر فتقول عنده: (ذى) أى (صاحبى).

وليست (ذو) مساوية لـ (صاحب) لأن: (صاحب) تضاف إلى المتبوع، فتقول: (صاحب رسول الله)، وأما: (ذو) فتضاف إلى التابع فتقول: (ذو مال) و (ذو منزل)... إلى آخره.

ولما كانت (ذو) أعلى فى المرتبة من (صاحب)، فقد جعلت فى صدر أسمائه المركبة تركيبًا إضافيا على نحو ما ذكرناه، ولا يجوز فى المنطق أن نقول: (النبى ﷺ صاحب عمر)، وإنما نقول: (عمر صاحب رسول الله)، ونقول: [النبى ذو صحابة)، ولا نقول: (النبى صاحب الصحابة) إلا بدرب من التوسع فتدبر.

حرف الراء:

١٩٣ - " الراجى ﷺ "

وهو اسم فاعل من الرجاء الذى هو المصدر.

والرجاء تعلق القلب بأمر ممكن يقع فى المستقبل، وقد لا يثق المرء بوقوعه، والآلة المستعملة فى طلبه هى: (لعل).

والرجاء حالة من الحالات التى تعترى النفس وهى كثيرة: منها هذه الحالة التى نحن بصددها، ومنها: طلب المستحيل أو الصعب الوقوع والتعلق به دون الأخذ فى أسبابه أو العمل من أجله، وهذه الحال من أحوال النفس تسمى بالتمنى، ويشبه الطلب على غير الأسباب طلب شيء على خلاف قانونه وسببه الذى خلقه الله له، كأن يطلب إلى السكين أن لا تقطع، والنار أن لا تحرق، والولد بغير زواج، وكأن يطلب بأن يعود الشباب بعد الهَرَم، والحياة بعد الموت، والكواكب التى هى زينة السماء أن تسقط على الأرض، وأن تصغر حتى تكون فى حجم الخرزات... إلخ.

وآلة الخطاب المستعملة فى مثل هذه الأحوال هى: ليت.

والنبى ﷺ سمى راجيا لتعلقه بالخير الأجل والأخذ فى الأسباب الموصلة له وترك

نتائجها إلى الله يحققها له ولأمته ﷺ.

١٩٤ - " الراضى ﷺ "

والراضى اسم فاعل من الرضا.

والرضا حالة أخرى من حالات النفس تكون جميع قواها فيها معتدلة متوافقة.

ولقد أخبر الله عز وجل نبيه بأنه سيعطيه حتى يرضى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ**﴾ (الضحى: ٥).

وفى بعض الوقائع التشريعية قد بين الله عز وجل لنبيه ولأمته أنه يحقق له ما يرضيه: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا**﴾ (البقرة: ١٤٤) بل إن الله عز وجل قد حقق لبعض أفراد هذه الأمة ما يرضيهم لعلمه أن ذلك يرضى نبيه ﷺ: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ**﴾ (الليل: ١٧: ٢١).

وإذا كان الرضا هو اعتدال قوى النفس فإن عكسه الإساءة، ففى حديث مسلم وغيره عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من كلام طويل إجماله أن النبى ﷺ تطلع إلى أن تكون لأمته مكانة يوم القيامة فأوحى الله إلى جبريل فقال له: " ياجبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوؤك "[1].

١٩٥ - " الراغب ﷺ "

هى كذلك اسم فاعل من الفعل: رغب إليه أو فيه.

والمصادر السمعية له متعددة.

والرغبة أو الرَّغَبُ حالة من حالات النفس التى تفيد التوسع فى طلب ما تتعلق به النفس، وما ذاك إلا لدلالة اللفظ على هذه الحال من الاتساع، من قولنا: حوض رغيب أى واسع.

وكلما كان التوجه بالرغبات إلى من يقدر على تنفيذها بغاية الرضا، كان الطلب والإلحاح فيه مشروعًا وخلقًا كريما، فما بالك إذا كان المرغوب إليه موصوفًا بطلاقة القدرة وشمول الإرادة وهو أى:

---

(١) مسلم ك الإيمان ح رقم ٣٤٦.

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ   وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وعلى الجملة فإن معنى الرغبة التى يعود إليها الراغب كأصل لاشتقاقه هي: الإرادة والحرص على الشيء مع الاتساع فى الطلب.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (الشرح: ٧، ٨).

١٩٦ - " الرافع ﷺ "

اسم فاعل من الرفع وهو الذى كان سببًا فى رفع أمته شرفًا ومجدا، وهذا الاسم من أسمائه تعالى، فهو اسم مشترك مع اختلاف الدلالة.

١٩٧ - " راكب البراق ﷺ "

١٩٨ - " راكب البعير ﷺ "

١٩٩ - " راكب الجمل ﷺ "

٢٠٠ - " راكب الناقة ﷺ "

وخص النبى ﷺ بركوب الجمل أو البعير ومثله الناقة بالبشارة به فى بعض الكتب السابقة حيث بشر به عيسى عليه السلام على هذا النحو، وفى هذه البشارات أخبار تناقلها الرواة منها: أن النجاشى فى الحبشة قال: " أشهد أن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل " نقله السيوطى.

ويترتب على كلام النجاشى هنا طرح لقضية مؤداها: لماذا خص النبى ﷺ بركوب الجمل مع أنه قد ركب غيره من وسائل النقل المتاحة حينئذ كالحمار والفرس، ومع أنه قد بشر به أيام موسى عليه السلام على أنه سيأتى نبى فى آخر الزمان من صفاته أنه سيركب الحمار ؟

وقد أجاب ابن عساكر على هذا التساؤل قائلا: إن المعنى به أنه من العرب لا من غيرهم، لأن الجمل مَرْكَبٌ للعرب يختص بهم لا ينسب إلى غيرهم من الأمم.

وقد جاء فى سفر إِشَعْيَا ما يبشر بالنبى ﷺ على هذه الصفة وقبله نبى الناصرة عيسى عليه السلام فى بلاد الشام، كلٌ برمز بيئته فى زمانه قال: [قيل لى: قم نظَّارًا فانظر ما ترى فأخبر عنه، فقلت: رأيت راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل، فنزل

يقول أحدهما لصاحبه سقطت بابل وأصنامها (١) قال: فراكب الحمار عيسى وراكب الجمل محمد ﷺ، لأن ملك بابل إنما ذهب بنبوته وسيفه على يد أصحابه كما وعدهم به].

٢٠١ - " راكب النجيب ﷺ "

٢٠٢ - " الرَّجِلُ ﷺ "

هى من إحدى صفاته الجسمية المتصلة بشعره، فشعره رَجِلٌ أى مَشِطٌ ليس بالسبط ولا الجَعْدِ.

٢٠٣ - " الرجيح ﷺ "

فعيل بمعنى فاعل وهو الذى يرجح غيره أى يزيد عليه فى الفضل.

وهكذا كان.

١٠٤ - " الرحب الكف ﷺ "

أى الواسع وهى صفة تطلق فى الحسيات وتطلق فى المعنويات، فإن كانت فى المعنويات فهى رمز لسعة الكرم وكثرة الجود.

والأمران فيه ﷺ.

٢٠٥ - " الرحمة ﷺ "

٢٠٦ - " رحمة الأمة ﷺ "

٢٠٧ - " رحمة العالمين ﷺ "

٢٠٨ - " رحمة مهداة ﷺ "

وصف النبى ﷺ بالرحمة مطلقة ومضافة، فهو فى الأصل موصوف بالرحمة المطلقة، ثم تأتى الإضافة بعد ذلك لبيان كل حال على حدة.

والنبى على كل حال رحمة مهداة للعالمين، فهو للمؤمنين رحمة؛ حيث أنقذهم من الشقاء إلى السعادة فى الدنيا بتشريعه، ومن النار إلى الجنة بحملهم على هذا الدين وسيلتهم إلى ربهم، وهو رحيم بالمنافقين حيث لم يعرضهم إلى القتل حدا، وهو رحيم بالكافرين حيث أمد لهم فى الأمر لعلهم يتراجعون فأخر لهم الله العذاب على يده إلى يوم الدين، ولك أن تنظر فى سلوكه وأقواله وأفعاله فلن تجده فى كل منها إلا رحمة.

---

(١) الوفا ١ / ٦٦.

٢٠٩ - " الرحيم ﷺ "

مبالغة من الرحمة.

٢١٠ - " الرءوف ﷺ "

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

والرءوف والرحيم أو الرأفة والرحمة حالتان كذلك من أحوال النفس يجمعهما تحرك القلب والمشاعر والوجدان إلى الغير بقضاء حاجته.

ولما كانت تلبية حاجات الغير هى الأثر المظهر لشعورى الرحمة والرأفة، فإن هذه التلبية نفسها تعد مقياسًا لطاقات الموجود الرحيم أو الرءوف، فكلما كانت طاقاته وإمكانه أكثر كانت تلبية الحاجات أتم.

ولما كان النبى ﷺ أقدر من جميع البشر من حيث لجوئه إلى ربه واستجابة ربه له، كانت رحمة النبى ﷺ ورأفته أكثر نفعا.

ولما كانت إرادة الله مطلقة وقدرته لا تحد استحق بذلك أن يكون هو: الرءوف الرحيم بالإطلاق بعد أن نعتقد أنه ليس المراد من هذين الاسمين فى حقه تعالى حقيقتهما، وإنما المراد الآثار المترتبة عليها لأنه منزه عن صفات الحوادث.

ويبقى أن نحدثك عن الفرق بين الرءوف والرحيم بعد أن حدثناك عن الجامع الذى يجمع بينهما.

والفرق بين الاسمين: أن الرحيم صفة يوصف بها صاحبها إذا تحركت نفسه بملكة منطبعة فيه لتلبية حاجات الغير بعد لجوء الغير إليه.

أما الرءوف فهى صفة يوصف بها صاحبها وتعد ملكة منطبعة فيه، إذا ما تحركت نفسه لتلبية حاجات الغير باستشعار ذاتى من غير طلب من أصحاب الحاجات.

قال الشيخ عبد الباسط البُلقينى: [والفرق بين الرأفة والرحمة إحسان مبدؤه شفقة المحسن، والرحمة إحسان مبدؤه فاقة المحسن إليه].

٢١١ - " الرسول ﷺ "

٢١٢ - " رسول الله ﷺ "

٢١٣ - " رسول الرحمة ﷺ "

٢١٤ - " رسول الملاحم ﷺ "

والملاحم جمع ملحمة وهو موضع القتال والحرب.

وللملحمة من حيث مادتها اللغوية صلة باللحمة، وهى ما يشد على آلات النسج طولا، حيث تتداخل مع آحاد خيوطها خيوط عرضية يسميها أصحاب الصناعة بـ (السَّدَى) بسين مشددة مفتوحة ودال مفتوحة بعدها ألف مقصورة نطقًا لا خطا، وهو جمع واحده سَدَاةٌ.

وهذه الصلة اللغوية تلقى بضوئها على الملاحم فى الحروب لهذا التداخل الذى نلحظه بين الجيشين كتداخل السدى مع اللحمة.

وقيل إن صلة هذه الكلمة لغويا باللحم يكسو العظام ودلالتها واضحة، لأن الملاحم تحمل الناس على التضام والتلاصق والالتحام.

وهناك أبحاث كثيرة تجلى الموقف الحق فى مسألة أن يكون الدين الإسلامى قد جاء بمشروعية القتال، وعلاقة ذلك بأن يكون هذا الدين هو دين الرحمة، فانظرها فى أماكنها تكن من الراشدين.

٢١٥ - " الرشيد ﷺ "

فعيل من الرُّشْدِ بضم الراء وسكون الشين وبفتحها.

وهى حالة سديدة من حالات النفس، يصدر عنها الفعل والقول مبنيان على تأمل وفهم للعواقب.

وعلى الجملة فهو يعنى الاستقامة فى الأمور بمعنى راشد أى المستقيم.

وسمى النبى ﷺ بهذا الاسم لأنه راشد فى تصرفاته وتأملاته وتوجهاته، كما أنه راشد فى قيادته لأمته.

وهذا الاسم: رشيد بصيغة المبالغة على هذا النحو من الأسماء المشتركة بين الله وبين عباد على ما عرفت من التفاوت فى الدلالة.

٢١٦ - " الرضا ﷺ "

٢١٧ - " الرضوان ﷺ "

٢١٨ - " رضوان الله ﷺ "

واتصاف النبى ﷺ بهذه المادة (رضا) مطلقة ومضافة، تفيد فى مجملها وتنوعها أنه أول مخلوقات الله الذى وضع لرضوان الله عنه وهو فى نفس الوقت أول مخلوق يمثل

الرضا عن ربه فى أعلى صوره، كما أنه ﷺ مظهر من مظاهر رضا الله عن لبعض خلقه أو جميعهم حين أرسله إليهم، فمن اتبعه رشد وهدى إلى صراط مستقيم، فهو الذى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٦).

٢١٩ - " الرفيق ﷺ "

فعيل بمعنى مفعِل من الرفق وهو اللطف، وكان ﷺ منه بمكان.

٢٢٠ - " الرفيع الذكر ﷺ "

٢٢١ - " رفيع الدرجات ﷺ "

٢٢٢ - " الرقيب ﷺ "

فعيل بمعنى فاعل، وكان ﷺ رقيب على أمته.

وهو من أسمائه تعالى مع الفارق الذىَ كررناه مرارا.

٢٢٣ - " ركن المتواضعين ﷺ "

وقع فى الكتب السابقة على نحو ما ذكر فى سفر إشعيا كما نبهنا إلى التبشير به فى الجزء الأول من هذه السلسة [(١)].

٢٢٤ - " الرهاب ﷺ "

وهو مبالغة من الرُهْب براء مضمومة بعدها هاء ساكنة ثم باء بمعنى الخوف، وليس من الترهب لأنه منهى عنه فى شرعته ﷺ إلا بضرب من التوسع الذى يفيد كثرة العبادة.

والنبى ﷺ موصوف بهذا الوصف لأن الله نصره بأسلحة أهمها الرعب على مسيرة أميال، والرعب هو ذلك القاتل الصامت الذى يقهر الله به الجبابرة بغير بذل مجهود من أحد سواه.

٢٢٥ - " الروح ﷺ "

٢٢٦ - " روح الحق ﷺ "

٢٢٧ - " روح القدس ﷺ "

والمعنى فى جميعها ظاهر.

---

(١) انظر ما كتبناه فى كتاب (فى ساحة النبى ﷺ).

ويفهم من مجموع هذه الصفات أن النبى هو روح الأمة، تحيى بها المجتمعات الإسلامية، كما يحيى الجسد بالروح التى تنفخ فيه. فتأمل هدانى الله وإياك.

حرف الزاى:

٢٢٨ - " الزاجر ﷺ "

اسم فاعل من الزجر وهو: المنع والكف.

والألف واللام فيه للاستغراق، فهو المانع من المعاصى وارتكابها الدال على أضدادها، وهو الذى يكف الظالمين عن مظالمهم حتى يعيد الهيبة لشريعته وأمته ودولته.

ولقد كان النبى ﷺ من هذا كله على القمة حتى إنه لم يودع الدنيا، إلا بعد أن أجبر الدولة العظمى يومئذ فى عالم أحادى القطب وهى دولة الرومان على أن تحترم الأمة الإسلامية الناشئة.

وقد تم ذلك فى ثلاث لقاءات بعضها يتلو بعضا، فمن مؤتة فى عمق بلاد الشام إلى تبوك على الحدود بين الجزيرة والشام إلى سرية أسامة بن زيد الشهيرة فى التاريخ.

وعلى الجملة فلقد ذهب النبى ﷺ بالكمال البشرى لهذه الصفة واستحق أن يسمى الزاجر.

٢٢٩ - " الزاهر ﷺ "

وهو المشرق اللون المستنير الوجه.

وفى قصص الأنبياء للكسائى: **[أن الله تعالى قال لموسى ﷺ: إن محمدًا هو النجم الزاهر].**

٢٣٠ - " الزاهد ﷺ "

وهو من أسمائه فى الكتب المتقدمة.

والزهد - بنوع من التجوز - فقر اختيارى، إذ الزاهد أشد ثقة بما فى يد الله أكثر من ثقته بما فى يده، وإذا حلت به مصيبة كان تعلقه بثوابها أكثر من تعلقه بالنعمة التى وقع فيها المصيبة والاختبار لو بقيت له.

ومقام الزهد بالنسبة للنبى ﷺ لا يجحد فقد احتل منه السنام.

٢٣١ - " الزاهى ﷺ "

وهو فى الحسيات يطلق على الشديد الوضاءة، وفى المعنويات يطلق على الشرف

والرفعة والعلو.

وقد كان النبى ﷺ على كل ذلك.

٢٣٢ - " زعيم الأنبياء ﷺ "

والزعيم الكفيل أو الضامن، ويطلق على النبى ﷺ لأمور كثيرة منها:

هذه الضمانة العامة التى منحها الله إياه، والمتمثلة فى الشفاعة الكبرى وما يليها، ومنها: أنه ضامن لأماكن فى الجنة لمن يترك بعض المعاصى خاصة ما يتصل منها بتقطيع الروابط والأواصر الاجتماعية.

ففى سنن أبى داود بسند صحيح عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: " أنا زعيم بيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وهو محق " (١).

٢٣٣ - " الزكى ﷺ "

وهو: الطاهر المبارك ﷺ "

٢٣٤ - " الزلف أو الزليف ﷺ "

وهو المتقدم القريب.

سمى بذلك لتقدمه على الأنبياء فضلا وشرفا، يشهد لذلك إمامته لهم ليلة الإسراء، أو هو يطلق عليه لتقربه من مولاه زلفى من الزلف وهو القرب والتقدم.

٢٣٥ - " الزمزمى ﷺ "

نسبة إلى زمزم، وقد نسب إليها لأولويته بهذه النسبة، حيث فجر الله ماءها لجدّه إسماعيل، وهو أولى الناس بإضافتها إليه وانتسابه إليها.

٢٣٦ - " الزين ﷺ "

الحسن الكامل خلقًا وخلقا، وضده: الشين.

٢٣٧ - " زين من وافى القيامة ﷺ "

ذكره القاضى عياض واستشهد له بحديث الضب وهو حديث ضعيف، وإذا ضعف الشاهد فلا يعنى نقض المشهود له، فيبقى النبى ﷺ زين من شهد القيامة.

---

(١) سنن أبى داود ١٨٧/٢ ك الأدب – باب حسن الخلق – والربض: أرض الجنة.

حرف السين:

٢٣٨ - " سابق العرب ﷺ "

والسابق بالإطلاق اسم فاعل من السبق، أو من الفعل سبق.

وهو يقال على الرجل يبادر فى طاعة مولاه، ويقال على الرجل يحتل سنام الفضيلة وحده بحيث يكون فى محل القدوة، ويقال على الرجل يستأذن على غيره فلا يؤذن لأحد قبله.

وهذه المعانى كلها قد اجتمعت للنبى ﷺ، فهو سابق بالخيرات، وهو سابق إلى القمة من محل القدوة، وهو سابق إلى الجنة... إلخ.

وقيل: الناس على ثلاثة أقسام: رجل ابتكر الخير فى مبدأ أمره وداوم عليه فهو السابق، ورجل ابتكر عمره بالذنب والغفلة ثم رجع بالتوبة فهو من أصحاب اليمين، ورجل ابتكر الشر من مبدأ أمره ثم لم يزل عليه حتى مات فهو من أصحاب الشمال.

٢٣٩ - " السابق بالخيرات ﷺ "

٢٤٠ - " الساجد ﷺ "

اسم فاعل من السجود وهو الخضوع، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ (الدهر: ٢٦) وقال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ (الحجر: ٩٨).

٢٤١ - " سبيل الله ﷺ "

وهو الطريق الموصل إلى الله أخذه بعضهم من قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (الحج: ٢٥) فى قول من قولين أنه هو النبى ﷺ.

٢٤٢ - " السبط ﷺ "

والسبط صفة حسية من صفات الجسم وصلتها بشعر الرأس.

والسبط من الشعر هو غير الجعد [1].

وقد كان النبى ﷺ كذلك.

٢٤٣ - " السخى ﷺ "

السخى: صفة مبالغة من السخاء بمعنى الكرم وصلتها بالأخلاق.

---

(١) انظر مادة (سبط) لسان العرب.

٢٤٤ - " السديد ﷺ "

السديد فعيل بمعنى فاعل: وهو الاستقامة.

وصلتها بالتدبير والتفكير، ومظاهرها فى القول والعمل.

٢٤٥ - " السراج المنير ﷺ "

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥، ٤٦).

وهو إلى المعنويات أقرب، فالنبى ﷺ الحجة البالغة والهادى إلى صراط الله المستقيم.

ولا بأس عند البعض أن يكون للنبى ﷺ نور حسى يراه منه جلساؤه، ويدركه معاصروه.

٢٤٦ - " سرخليطس ﷺ "

ذكر بعضهم أنه هو اسمه فى السريانية بشر به الأنبياء.

ومعناه قريب من البرقليطس وقد تقدم فانظره هناك.

٢٤٧ - " السريع ﷺ "

وهو المبادر إلى طاعة ربه، أو هو الشديد، والمعنيان فيه، وهو قريب من اسمه الذى سبق.

٢٤٨ - " سعد الله ﷺ "

٢٤٩ - " سعد الخلائق ﷺ "

٢٥٠ - " سعيد ﷺ "

فعيل بمعنى فاعل من السعد، وسمى به ﷺ لأن الله تعالى أوجب له السعادة منذ القدم، وحقق لأمته السيادة على سائر الأمم.

٢٥١ - " السلام ﷺ "

من السلامة.

وصلته بالمعنويات والحسيات، فأما صلته بالحسيات فلأنه مبرأ من العيب والنقص، حيث توفر له كمال الخلقة والخلق.

وأما أنه فى المعنويات فلأنه قد سلم هو وأمته من الشقاء الذى يوقع فى الحرج فى الدنيا والآخرة جميعا.

وهو من أسمائه تعالى يطلق عليه وعلى غيره بالاشترك على النحو الذى بيناه.

٢٥٢ - " السلطان ﷺ "

وهو الحجة، ذكروه مؤنثًا ومذكرا.

وإنما سمى به ﷺ لأنه حجة الله تعالى على عبادة فى الآخرة، وبرهانه فى الدنيا.

٢٥٣ - " السميع ﷺ "

وهو: صيغة مبالغة من سامع.

وفيه إشارتان: الأولى حسية، والثانية: أخلاقية.

أما الحسية، فهى تفيد سلامة الحاسة عنده، فلا يعاب بصمم ولا بشىء منه.

وأما الأخلاقية: فهى أنه قد نصبه الله عز وجل لسماع الخير، وهو قريب من اسمه ﷺ (أذن) وقد سبق.

وهذا الاسم قد أخذوه من قوله تعالى فى آية الإسراء: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١) حيث حمل كثير من المفسرين الضمير فى ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ على النبى ﷺ.

ورجوع الضمير فى الآية على النبى ﷺ يفتح بابًا شيقًا من البحث أمام الدارسين. فتأمله.

٢٥٤ - " السمى ﷺ "

هو من السمو بمعنى العلو، والمعنى ظاهر.

٢٥٥ - " السنا ﷺ "

وهو بالمد والقصر سناء، وسنا، ومعناه الضوء اللامع والنور الساطع، وهو إلى المعنويات أقرب، وإن كان لا يمتنع عندى كما سبق أن يكون للنبى نور ساطع يشع من وجهه، يدركه من آمن به نبيا ورسولا، ويخطئه من لم ير فيه إلا يتيم بنى هاشم.

٢٥٦ - " السند ﷺ "

والسند هو الكبير فى قومه، يلجأ إليه سواه، ويستعين به غيره ليشد من أزره، أو فى تلبية بعض حاجاته.

وقد يخطئ بعضهم فيقول: إن تسميته بالسند لا يجوز، وما ذلك إلا لعدم خبرتهم بالمعانى ومدلولات الألفاظ.

٢٥٧ - " السيد ﷺ "

٢٥٨ - " سيد الثقلين ﷺ "

٢٥٩ - " سيد الكونين ﷺ "

٢٦٠ - " سيد ولد آدم ﷺ "

٢٦١ - " سيد الناس ﷺ "

وهذه المادة كلها: سواء كانت بإطلاقها، أو كان قد أضيف إليها غيرها تحتاج منا إلى وقفة لافتة للأنظار.

ونبدأ هذه الوقفة بسؤال مؤداه: هل النبى ﷺ سيد أم لا ؟!

ونحن نستغفر الله عز وجل من هذا الجزء الثانى من السؤال الذى نردد بينه وبين الجزء الأول لما فيه من عدم اللياقة حتى فى مجرد الطرح.

ولولا أن الساحة الإسلامية قد وجد فيها غريبون لا يعرفون قدر نبيهم، ما كان لنا أن نطرح هذا السؤال، إذ لا يجوز شرعا.

وهؤلاء الغريبون يتحركون دون أن ندرى على وجه الدقة من الذى يحركهم بمقولة سيئة مؤداها: أن من يقول: إن النبى ﷺ سيد فهو مبتدع، إلا أن يكون هناك محرك سرى يدفع الثمن لرءوس هؤلاء كى يسيروا بتلك المقولة فى الأمة.

وبادئ ذى بدى نقول: إن إضفاء هذا اللقب على الرسول ﷺ أو حجبه عنه من قبل هؤلاء الغريبين ولا أضعاف أضعافهم يؤثر فى مكانة النبى ﷺ أو يزيده علوا ورفعة، فالنبى ﷺ سيد فى ذاته، كريم فى شخصه بتكريم الله له، اعترف بذلك هؤلاء الناس أو لم يعترفوا.

ولكن الأمر الذى يجب أن يكون معلوما هو أن الحفاظ على ألقاب النبى ﷺ بيننا إنما يمثل حزام عفة فى ألسنتنا وقلوبنا نحتاج إليه، وإنما يمثل سياج أمان تحتاج إليه الأمة أفرادها وجماعاتها، كى لا تنحدر إلى مهاوى الضلالة، وكى لا تسقط عن مراتب الإنسانية والتقدم.

وعلم ذلك متوقف على ارتفاع الوعى بمكانة النبى ﷺ فينا.

ومكانة النبى ﷺ فينا هى أنه: المعلم، والمرشد، والهادى إلى الصراط المستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض.

ولهذا التوجيه والإرشاد والتعليم شروط يجب تحققها فيمن يريد أن ينعم بهداية النبى ﷺ.

ومن هذه الشروط: الحفاظ على الهيبة التى تكون بينه وبين النبى ﷺ بوصفه معلما، تلك الهيبة التى ينتقص منها بقدر ما يعتقد الإنسان أنه مع النبى ﷺ فى درجته، وأنه يحاذيه كما يحاذى الرجل الرجل على الخط الأبيض عند السباق.

وحين يعتقد المرء ذلك ويعبر عنه - كما يقولون - بأنه رجل ونحن رجال تضيع تلك الهيبة، ويضيع معها إمكانية التعليم والتلقى والاهتداء.

ومنها: أن يحافظ المرء على عقيدته ومعرفته الأكيدة بأن القائد والمرشد، لا يكون قائدًا ومرشدًا ومعلما إلا تفرد وحده بمكانه ومكانته على القمة، ودونه عامة الناس وسوادهم.

هذه أمور بدهية يعرفها من يعرفها، ويجهلها من يجهلها، فمن عرفها وطبقها على نفسه استفاد، ومن جهلها أو عرفها وعاند فقد باء بالخسران المبين دون أن ينقص ذلك من مكانة السيد ﷺ.

وأعود فأقول: إن هؤلاء الغربيين الذين اعتقدوا مساواتهم للنبى ﷺ، وأنه نبى بلا ألقاب وليس له مكانة السيادة، أناس يجهلون اللغة كما يجهلون الشريعة.

ولو أنهم اطلعوا على أبسط كتب اللغة المتاحة لعلموا من خلالها أن النبى ﷺ هو السيد بالإطلاق.

فما عسى أن تقول كتب اللغة.

قال ابن منظور:

والسُّودد: الشرف، معروف، وقد يهمز وتضم الدال (فيقال: سُؤْدُدٌ).

وقال الأزهرى: والسيد يطلق على: الرب والمالك، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، ومحتمل أذى قومه، والزوج، والرئيس، والمقدم وأصله من ساد يسود فهو سَيْوِدٌ فقلبت الواو ياء لأجل الياء الساكنة قبلها ثم أدغمت.

وفى الحديث: لا تقولوا للمنافق سيدا، فهو إن كان سيدكم، وهو منافق، فحالكم دون

حاله، والله لا يرضى لكم ذلك [(١)].

ولو أنهم اطلعوا على نصوص الشريعة وفقهوها لعلموا أنها دالة على أن النبى ﷺ سيد بالإطلاق.

فماذا عسى أن تقول النصوص الشرعية ؟

وماذا عسى أن يكون فقهها ؟

فى صحيح البخارى حديث بالسند إلى أبى هريرة يتحدث عن الشفاعة وفيه من كلام طويل أن أبَا هريرة قال: [كنا مع النبى ﷺ فى دعوة، فرفعت إليه الذراع – وكانت تعجبه – فنهس منها نهسة وقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعى، وتدنو الشمس، فيقول لبعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغتكم ؟...] [(٢)] الحديث.

وأعم من ذلك ما روى عند أبى داود وابن ماجة وأحمد واللفظ لأبى داود، عن أبى هريرة قال: [قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع].

وفى لفظ ابن ماجة بسنده إلى أبى سعيد قال: [قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، ولواء الحمد بيدى يوم القيامة ولا فخر "] [(٣)].

وفى نفى الفخر، هنا إشارة إلى عدة أمور: لعل النبى ﷺ يقصد إليها أو بعضها.

منها: أن هذه المقامات لرسول الله ﷺ (كالسيادة العامة وغيرها) كلها ممنوحة لرسول الله ﷺ من ربه، والمرء يجوز له أن يفاخر بما استقل به، ولا استقلال للعباد عن الله عز وجل (فتأمل).

---

(١) ابن منظور مادة (سود).

(٢) فتح البارى على صحيح البخارى – ك الأنبياء – باب ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ ح رقم٣٣٤٠.

(٣) أبو داود – ك السنة ١٢، وابن ماجه ك زهد ٣٧، أحمد بن حنبل ح ١ ص ٥، والحديث فى مسلم عن أبى هريرة لكنه لم يذكر كلمة (ولا فخر) قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم. وأول من ينشق عنه القبر:" ثم ساق الحديث ٤٣ ك الفضائل ٢ باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ٢٢٧٨.

ومنها: أن رسول الله ﷺ قد علم أن التفاخر يجلب المراء، والمراء وسيلة إلى الغضب، والغضب وسيلة إلى الحقد والحقد وسيلة إلى النفاسة والحسد، فأراد النبى ﷺ أن ينهى أمته عن التفاخر الذى يفتح هذه الأبواب جميعها إلى تلك الشرور (فتأمل).

ومن يتبع السنة وكتبها يجد أن لفظ السيادة قد أطلق على كل إنسان يتقدم قومه ويسود عليهم، مؤمنة كانت هذه الجماعة أو غير مؤمنة.

ففيها: (جاء السيد والعاقب صاحبًا نجران إلى رسول الله ﷺ [(١)].

وفيها: [ورضى عنه السيد... وسخط عليه السيد] [(٢)].

وفيها: [... على أبى الحكم فإنه سيد أهل الوادى] [(٣)].

وفيها: [فلدغ سيد ذلك الحى (سيدهم) إن سيدنا لدغ، إن سيد الحى سليم] من حديث طويل [(٤)].

وفيها: [فانطلق سيد العبد إلى رافع بن خديج فسأله...] [(٥)].

وأبى سيد القراء، وسعد سيد الخزرج، والجمعة سيد الأيام... والكلام يطول.

وقد يقول قائل: هذه هى النصوص فكيف نفقهها ؟

وأقول لهؤلاء: إن النبى ﷺ قد قال: " أنا سيد ولد آدم ".

وظاهر هذا الحديث يؤكد أن كل إنسان يعد نفسه من بنى آدم، فالنبى ﷺ عليه سيد بحق الإرشاد والتعليم والتوجيه، وبنبل المقصد والغاية اللذين يدعو إليهما، وبطيب العِرْقِ وطهارة الأصل، والتميز فى المكانة الاجتماعية.

ويفهم من هذا ضمنا أن من يرفض سيادة النبى ﷺ عليه فقد حكم على نفسه بأنه لا يرقى إلى بنوة آدم عليه السلام، ومثل هذا الصنف من الناس لا تجد من قول نقول له إلا قولنا: أنت وذاك.

وعموم القول الصادر عن النبى ﷺ لا يقتصر شموله للأفراد فقط، وإنما هو يشمل

---

(١) البخارى ك مغازى باب ٧٢ – أحمد ١/ ٤١٤.

(٢) الدارمى مقدمة ص ٢.

(٣) بخارى ك المناقب باب ٢٥ وغيره.

(٤) بخارى والحديث له أطراف – ك الإجازة باب ١٦.

(٥) أبو داود ك الحدود باب ١٣.

الأوقات والأحوال والأمكنة.

فللنبى ﷺ السيادة على ابن آدم فى حركاته وسكناته، وفى صلاته ونسكه، وفى محياه ومماته، فأينما توجه فالنبى ﷺ عليه سيد.

وهذا التعميم الذى ندعيه (وهو ظاهر النص) لا نجد فى الشريعة ما يخصصه بوقت دون وقت ولا بحال دون حال.

وقد تراجع بعضهم فى الظاهر فقال: أنا أُسَوِّدُ النبى ﷺ فى كل حال إلا فى الصلاة. وهذا كلام يحتاج إلى دليل.

فلما طالبهم الناس بالدليل قالوا: إن النبى ﷺ قد نهانا عن أن نسوده علينا فى الصلاة حيث قال (كما زعموا): لاتسيدونى فى الصلاة (هكذا).

وفى دليلهم الذى ذكروه فمن حقنا أن نطالبهم بأمرين:

الأول: نطالبهم فيه بالكتاب الذى ورد فيه هذا الحديث وسنده الذى يعتمد عليه، حتى نتمكن من فحص السند والحكم على الرجال.

وأنا أقول مسبقا: إنهم لن يجدوا لهذا الحديث وجودًا لا فى الصحيح ولا فى الحسن ولا فى الضعيف، لا. ولا فى الموضوع، إلا أن يكون السند قد لفق تلفيقًا كما فعل فى بعض الأسانيد [1] التى لفقت وزورت على أصحابها بقصد الغلبة فى الجدال.

(ولله فى خلقه شئون).

والثانى: نطالبهم فيه بالأصل اللغوى لكلمة (تسيدونى).

ولن يجدوا لها أصلا لغويا يؤكد دلالتها على السيادة، لأن الأصل اللغوى لكلمة (ساد) أن هذه الألف أصلها (واو) إذ الفعل: ساد يسود.

فهل ظنهم بالنبى ﷺ أنه لا يجيد اللغة، أم أنها بصمة الجريمة التى يتوصل من خلالها إلى إثم الآثمين وخطيئة المخطئين ؟!

---

(١) وقفت على نوعين من هذا السند الملفق: أحدهما عند ابن تيمية حين زعم أن أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم يعتمدون على سند وذكره بدايته جهم بن صفوان ونهايته لبيد بن الأعصم (الفتوى الحموية).

وثانيهما: ذكره رشاد محمد عبد الحليم خليفة حيث لفق على البخارى سندا قريبًا مما لفقه ابن تيمية (مسيلمة فى توسان. للمؤلف).

وقد يقول قائلهم: إن رسول الله ﷺ قد علمنا التشهد، كما علمنا كيفية الصلاة عليه وليس فيها أن اسمه مقترن بالسيادة.

ثم يتساءلون: ألا يكفى هذا مخصصًا للنص العام، ويكون المعنى أن النبى ﷺ سيد على بنى آدم إلا فى بعض الأحوال كالصلاة.

وأنا أقول: إن هذا الاستدلال قد تطرق إليه احتمال أن يكون النبى ﷺ متواضعا، والقاعدة تقول: إن ما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

ياقوم: هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟

ويبقى النبى ﷺ على كل حال هو السيد الكامل فى بشريته، وهو سيد الناس وهو سيد ولد آدم ولا فخر.

٢٦٢ - " السيف ﷺ "

٢٦٣ - " السيف المخَذَّمُ ﷺ "

٢٦٤ - " سيف الإسلام ﷺ "

٢٦٥ - " سيف الله ﷺ "

والمعنى ظاهر.

يقول كعب بن زهير يمدحه بعد أن عدل النبى ﷺ له فى بعض شعره:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ (١)

حرف الشين:

٢٦٦ - " الشارع ﷺ "

وهى اسم فاعل من الفعل شرع، والمراد به فى النبى ﷺ أنه المبين المظهر، المراقب لتطبيقات التشريع.

فإذا أطلقت هذه الصفة على الله عز وجل كان المعنى فيه أتم، ثم يزيد على غيره بأنه هو الواضع للتشريع وحده.

٢٦٧ - " الشافع ﷺ "

---

(١) السيف المخذم بوزن معظم القاطع الماضى، وفيه استعارة مرشحة لأنه ملائم للسيف الحقيقى الذى يشبه به ﷺ تشبيها بليغا، والجامع بينهما أن الله تعالى محا بكل منهما أثر كل مجالد ومجادل وأظهر ديـن الحق وأدحض الباطل.

٢٦٨ - " **المشفع ﷺ** "

٢٦٩ - " **الشفيع ﷺ** "

الشفيع: صيغة مبالغة من شافع.

وأدلة هذه المادة ونسبتها إليه ظاهرة لا نطيل بها.

٢٧٠ - " **الشافى ﷺ** "

وهو المبرأ من الأسقام، نسب إليه هذا الفعل لجريان ذلك على يديه، وهى ملابسة تجيز نسبة الفعل إليه.

والشافى فى الحقيقة هو الله.

وصلة هذا الاسم بالجسميات والمعنويات.

وصلة هذا بالمعنويات ظاهر، إذ وظيفته شفاء الأمة من أسقام المعاصى، وعلل الانحرافات عن المنهج السليم، والتنزه عن الأسباب التى تؤدى إلى الجحيم.

أما صلته بالماديات الجسمية، فكتب السنة والسير ملأى بآحاد المرضى الذين أكرمهم الله بالشفاء على يديه.

وأنت بعد ذلك إما أن يقنعك أن ذلك قد أجرى على يديه على سبيل المعجزة التى ترد غير المؤمن إلى الإيمان، أو أن الله قد فعلها له على سبيل الإكرام وإبراز المكانة.

٢٧١ - " **الشاكر ﷺ** "

وهو اسم فاعل من الشكر.

ومعناه: الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف، وفعل ما يدل على شكر النعمة.

والشكر عند القشيرى على ثلاثة أقسام:

شكر باللسان، وهو الاعتراف بالنعمة.

وشكر بالأركان، وهو الاتصاف بالوفاق والخدمة.

وشكر بالجنان، وهو الاعتكاف على بساط الشهود مع حفظ الحدود والحرمة.

٢٧٢ - " **الشَّكَّارُ ﷺ** "

٢٣٧ - " **الشكور ﷺ** "

هما صيغتَا مبالغة من شاكر.

٢٧٤ - " **الشاهد ﷺ** "

اسم فاعل من الشهود.

وهو يستلزم أمورا: أولها: الحضور والتواجد، وثانيها: العلم والإحاطة والاستيعاب. وثالثها: علو القامة والهامة فوق المشهود عليه، ورابعها: العدالة وحسن الخلق وجمال السمعة والسيرة.

وهذه المعانى وغيرها لم تخطئ النبى ﷺ لا. ولا واحدة منها.

٢٧٥ - " الشَّثْنُ ﷺ "

وهو اسم يشتمل على صفة هى فى الجسميات.

والشثن عند العرب بفتح الشين وسكون الثاء آخره نون.

يطلق ويراد منه الرجل يكون عظيم الكفين والرجلين مع غلظ فى الأنامل لا يصاحبه قصر فيها، وهو ما يساعد على قوة القبض والتمكين من المقبوض عليه.

وهذا كله حسن فى الرجال يمدحون به ولا يمدحون بضده.

ولما كان النبى ﷺ كذلك وكان منه على غاية الحسن ناسب أن يكون الشثن اسما له.

٢٧٦ - " الشديد ﷺ "

صيغة مبالغة من الشدة وهى القوة، وجمعه: أشداء قال تعالى يصف المؤمنين: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩).

ولعل هذا هو المفهم من قوله تعالى للنبى ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (التوبة: ٧٣).

٢٧٧ - " الشَّدْقَمُ ﷺ "

وهو بفتح السين وسكون الدال وفتح القاف بعدها ميم.

وهذا الاسم يشتمل على بعض الصفات الجسمية، إذ الشدقم هو: الكبير الشدقين.

وكبر الشدقين الكبيرين فصيحًا من حيث الأداء.

ومن أجل ذلك تجد من يتحدثون عن معنى الشدقم يتحدثون عن هذا اللازم فيقولون: ومعناه: البليغ المُفَوَّه.

وقد كان النبى ﷺ كذلك، والميم فى الشدقم زائدة.

٢٧٨ - " الشريف ﷺ "

وهى صفة مشبهة من الشرف الذى هو العلو والرفعة.

وهى فعيل بمعنى فاعل على أن يكون هو الذى تسبب فى تشريف نفسه، أو بمعنى مفعول على أن يكون الشرف من ربه.

والمعنى ظاهر.

٢٧٩ - " الشفاء ﷺ "

هكذا بالمد، ومعناه: البرء من السُّقم.

وقد سبق الحديث عنه عند الكلام على اسمه (الشافى).

وإنما سمى بالمصدر مبالغة، فكأنه هو الشفاء نفسه، وهى على المعنويات والحسيات كما مر.

٢٨٠ - " الشمس ﷺ "

هو على التشبيه، ووجه الشبه قد يكون: الرفعة، وقد يكون الظهور، وقد يكون الضياء، وقد يكون العظيم بحيث لا تُملأُ العين منه.

والحق أن وجه الشبه بين النبى ﷺ والشمس مركب من كل ذلك، فالنبى ﷺ عظيم فى ذاته، ظاهر بها، وعظيم فى شريعته ظاهر بها، وهى ظاهرة به.

والأمر لا يخفى، فتأمله.

قال البوصيرى يمدح النبى ﷺ بين الرسل:

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الْكِرَامُ بِهَا   فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمُ

٢٨١ - " الشهاب ﷺ "

هو معروف عند المشتغلين بالفلك.

والأمر فيه على سبيل التشبيه كالذى قبله، لكن وجه الشبه مختلف لاختلاف الصفة بين الشمس والشهب، وكأن الله عز وجل قد شاء أن تتفرق صفاته فى الناس وتجتمع فيه، كما شاء أن تتفرق صفات محاسنه فى العالم العلوى، ولله فى خلقه شئون.

ووجه الشبه الذى يجمع الشهاب بالنبى ﷺ قد يكون هو شدة الإضاءة والظهور، وقد يكون الصرامة والقوة، وقد يكون الحماية والذب عن الغير، وقد يكون قهر الأعداء وسحقهم.

والذى يظهر لمن يتأمل أن وجه الشبه مركب من كل ذلك ووجه الشبه هذا هو الذى استنفر قريحة الشعر عند كعب بن مالك يمدحه:

إِنَّ الرَّسُولَ شِهَابٌ ثُمَّ يَتْبَعُهُ   نُورٌ مُضِيءٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الشُّهُبِ

٢٨٢ - " الشَّهِمُ ﷺ "

هو بفتح الشين وكسر الهاء بعدها ميم: السيد النافذ الحكم.

٢٨٣ - " الشهيد ﷺ "

العادل الذى يزكى غيره.

ففى القرآن الكريم: **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** (البقرة: ٤٣) و **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾** (النساء: ٤١).

حرف الصاد:

٢٨٤ - " الصابر ﷺ "

الصابر اسم فاعل من: الصبر.

وهو مفهوم المعنى.

٢٨٦ - " صاحب الآيات ﷺ "

٢٨٧ - " صاحب المعجزات ﷺ "

٢٨٩ - " صاحب الأزواج الطاهرات ﷺ "

٢٩٠ - " صاحب البرهان ﷺ "

٢٩١ - " صاحب البيان ﷺ "

٢٩٢ - " صاحب التاج ﷺ "

٢٩٣ - " صاحب التوحيد ﷺ "

٢٩٤ - " صاحب الخير ﷺ "

٢٩٥ - " صاحب الدرجة العالية ﷺ "

٢٩٦ - " صاحب الرداء ﷺ "

٢٩٧ - " صاحب السجود للرب المعبود ﷺ "

٢٩٩ - " صاحب الشرع ﷺ "

٣٠٠ - " صاحب العطاء ﷺ "

٣٠١ - " صاحب العلامات الباهرات ﷺ "

٣٠٢ - " صاحب العلو والدرجات ﷺ "

٣٠٣ - " صحاب الفضيلة ﷺ "

٣٠٤ - " صاحب الفَرَج ﷺ "

٣٠٥ - صاحب القدم ﷺ "

٣٠٦ - " صاحب المَغْنَم ﷺ "

٣٠٧ - " صاحب الحجة ﷺ "

٣٠٨ – صاحب الحوض المورود ﷺ "

٣٠٩ - " صاحب الكوثر ﷺ "

٣١٠ - " صاحب الحطيم ﷺ "

٣١١ - " صاحب الخاتم ﷺ "

٣١٢ - " صاحب زمزم ﷺ "

٣١٣ - " صاحب السلطان ﷺ "

٣١٤ - " صاحب السيف ﷺ "

٣١٥ - " صاحب الشفاعة ﷺ "

٣١٦ - " صاحب اللواء ﷺ "

٣١٧ - " صاحب المحشر ﷺ "

٣١٨ - " صاحب المِدْرَعَة ﷺ "

٣١٩ - " صاحب المَشْعَر ﷺ "

٣٢٠ - " صاحب المعراج ﷺ "

٣٢١ - " صاحب المقام المحمود ﷺ "

٣٢٢ - " صاحب المنبر ﷺ "

٣٢٣ - " صاحب النعلين ﷺ "

٣٢٤ - " صاحب الهِرَاوَة ﷺ "

٣٢٥ - " صاحب لآ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللَّهُ ﷺ "

٣٢٦ - " الصادع ﷺ "

هو من الصديع الذى هو: الفجر، أو من الصدع الذى هو الفصل بين الشيئين والفارق

بينهما.

وقد صدع النبى ﷺ بأمره وحجته من أول عهده، قال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر: ٩٤).

٣٢٧ - " الصادق ﷺ "

وهو من الصدق اسم فاعل، وتوفر له جميع معانى الصدق فى: القول، والفعل والاعتقاد، وبذل الوعد، والوفاء به... إلخ.

٣٢٨ - " صاعد المعراج ﷺ "

٣٢٩ - " الصالح ﷺ "

والصالح اسم فاعل من الصلاح، وأل - فيه للاستغراق، فهو صالح فى نفسه مصلح لغيره.

كان الأنبياء يقولون كل على حدة: " مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح ".

٣٣٠ - " الصبور ﷺ "

مبالغة فى الصبر.

٣٣١ - " الصبيح ﷺ "

صفة مشبهة من الصباحة التى هى: الجمال، فيكون: الصبح هو الجميل.

وقد اختلف العلماء المختصون بعلم الجمال فى تعريفاته، ولم يختلف أحد فى انطباق تعريفات الجمال عليه، ولذا كان هو الصبيح.

٣٣٢ - " الصدق ﷺ "

٣٣٣ - " الصدوق ﷺ "

٣٣٤ - " الصديق ﷺ "

ويوصف النبى ﷺ بهذه المادة.

فإن وصف بالصدق فهذا وصف بالمصدر كأن الصدق تجسد فيه، والأخريان مبالغة، فتأملها.

٣٣٥ - " الصراط المستقيم ﷺ "

٣٣٦ - " صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﷺ "

والصراط فيهما هو: الطريق، وهو بالسين والصاد.

٣٣٧ - " الصفوة ﷺ "

وهو: الخيار والخلاصة، وفى صحيح الحديث ما يدل على ذلك.

٣٣٨ - " الصفوح ﷺ "

مبالغة من الصفح وهو: العفو، أو الإضراب عن مهاترات العدو: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف: ٨٩).

٣٣٩ - " الصفى ﷺ "

هو فعيل: بمعنى مفعول، ويرجع إلى الاصطفاء بمعنى أن الله قد اصطفاه.

٣٤٠ - " الصِّنْدِيدُ ﷺ "

الصنديد: بكسر الصاد وسكون النون وكسر الدال بعدها ياء ساكنة آخرها دال، وهو: السيد المطاع، والبطل الشجاع، والشريف الحليم.

٣٤١ - " الصَّيِّنُ ﷺ "

وهو بتشديد الصاد مع فتحها وتشديد الياء مكسورة بعدها نون، وهو من الصيانة بمعنى الحفظ والإحراز.

حرف الضاد:

٣٤٢ - " الضابط ﷺ "

اسم فاعل من ضبط، والضبط هو: الحزم.

وهذا الاسم أصله وإن كان فى الماديات إلا أن المراد به هنا أنه يمثل عنصرًا من عناصر الأخلاق، حيث يدل على ملكة الضبط فى النبى ﷺ تعبر عنها مظاهرها فى السلوك.

والضابط هنا قريب من الحفيظ والحافظ على نحو ما سبق فيها.

٣٤٣ - " الضارب بالحسام ﷺ "

٣٤٤- " الضارع ﷺ "

هو اسم فاعل من ضرع، والضراعة هو الخشوع والخضوع والتذلل لله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥).

٣٤٥ - " الضحاك ﷺ "

٣٤٦ - " الضحوك ﷺ "

هما صيغة مبالغة فى ضاحك وهذه المادة تنصرف إلى الماديات وإلى الملكة فى النفس يتبعها سلوك يصدر عنها من غير تكلف أو روية.

فإن كانت فى الماديات فهى تفيد السيولة، والمعنى على ذلك أن الرسول ﷺ قاهر لأعدائه غالب ليس مغلوبًا، قاتل لأعدائه سيل لدمائهم.

والمادة فى الملكات الأخلاقية يتبعها سلوكها المرتبط بها تفيد أن النبى ﷺ كانت لديه ملكة يصدر عنها تصرفات تظهر على سلوكه مع الناس، إذا هو كان بَاشًا فى وجوه جلسائه، بادى السرور مهما كانت المصاعب، مريحًا فى السلوك والقول مهما كانت صلافة القادم وغلظة البدو.

وهذان المعنيان فى الكلمة حتى أثناء صياغتها فى القرآن الكريم: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ (هود: ٧١) فامرأة سيدنا إبراهيم عليه السلام حين استقبلت البشرى بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وكانت قائمة فضحكت، ودلالة التعبير بضحكت يحتمل هذين المعنيين: السرور بالبشرى ألجأها للضحك، وإعادة الاستعداد إلى الإنجاب أعاد إليها الطمث (فتأمل).

وأحد المعنيين أو كلاهما قد بشر به فى الكتب المقدسة على نحو ما علمت ونزيدك هنا بيانا: [روى ابن فارس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: اسم النبى ﷺ فى التوراة: الضحوك القتال يركب البعير ويلبس الشَّمْلَةَ ويجزى بالكِسْرَةِ وسيفه على عاتقه.

قال ابن فارس: سمى بالضحوك لأنه ﷺ كان طيب النفس فَكِهًا على كثرة من ينتابه ويفد عليه من جُفاة العرب وأهل البوادى، ولا يراه أحد ذا ضجر ولا قلق، ولكن لطيفًا فى النطق رفيقًا فى المسألة].

٣٤٧ - " الضمين ﷺ "

هو فعيل بمعنى فاعل، وهو فى الأصل الكفالة، والمراد به هنا: الحفظ والرعاية (والمعنى ظاهر) وهو قريب من الشفاعة.

٣٤٨ - " الضيغم ﷺ "

تشبيه له بالأسد فى شجاعته فهو: البطل الشجاع، والسيد المطاع.

٣٤٩ - " الضياء ﷺ "

وهو أعمم من النور، إذ النور يستمد منه.

وقد علمت مما سبق أنها تطلق عليه فى المعنويات، وليس هناك من مانع أن يكون للنبى ﷺ ضوء حسى.

قال عمرو بن معدى كرب يمدحه:

حِكْمَةٌ بَعْدَ حِكْمَةٍ وَضِيَاءٍ　　　قَدْ هُدِينَا بِنُورِهَا مِنْ عَمَانَا

حرف الطاء:

٣٥٠ – " طاب طاب ﷺ "

هو بالتكرير، نقل بعضهم أنه اسمه فى التوراة ومعناه: الطيب، وقيل معناه: ما ذكر بين قوم إلا طاب ذكره بينهم.

٣٥١ – " الطاهر ﷺ "

اسم فاعل من الطهر، وهو فيه يجمع الحسيات والمعنويات، فهو منزه عن الدنس من الكل بإطلاق.

٣٥٢ – " الطبيب ﷺ "

فعيل بمعنى فاعل من الطب، وهو فى المعنويات والحسيات، فهو علاج للنفس والبدن، وعلاجه للنفوس وظيفة، وإبراؤه من الأمراض معجزته.

٣٥٣ – " الطراز المعلم ﷺ "

وهو العلم المشهور الذى يهتدى به.

والكلمة فى الأصل فارسية معربة.

٣٥٤ – " طس ﷺ "

٣٥٥ – " طسم ﷺ "

٣٥٦ – " طه ﷺ "

هى من الحروف المقطعة فى القرآن الكريم وقعت فى أوائل السور، وقد ذكر بعضهم أنها من أسمائه ﷺ (وهو قول من أقوال، فانظر كتب التفسير).

٣٥٧ – " الطهور ﷺ "

مبالغة فى طاهر وقد تقدم.

٣٥٨ – " الطيب ﷺ "

وهى بوزن: سيد، قريبة من الطاهر أو الزكى، وجريانها فى الحسـيات والماديـات جميعاعلى نحو ما رأيت.

حرف الظاء:

٣٥٩ – " الظاهر ﷺ "

اسم فاعل من الظهور وهو الجلى الواضع أو القاهر المنصر، (وقد سبق نظيره).

وهو من أسمائه تعالى والاشتراك على نحو ما فهمته مرارا.

٣٦٠ – " الظفور ﷺ "

مبالغة فى ظافر وهو من الظفر بمعنى: الظفور.

وإطلاقه على النبى ﷺ يعود إلى فوزه فى الدنيا والآخرة مادة ومعنى.

حرف العين:

٣٦١ – " العابد ﷺ "

هو اسم فاعل من عبد إذا أطاع.

٣٦٢ – " العادل ﷺ "

اسم فاعل من العدل المستقيم الذى لا جور فى قوله أو فعله أو حكمه.

قال أبو طالب فيه:

حَليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ يُوالِى إِلـٰهاً ليس عنه بغافلِ [1]

٣٦٣ – " العارف ﷺ "

اسم فاعل إذا أطلق فى الوسط المعرفى كانت دلالته على العلم مطلقا، وإذا أطلق فـى الوسط التدينى كان معناه: العلم بالله على قدر الطاقة، والحـرص علـى طاعتـه بقـدر الاستطاعة، وعلامة ذلك فيه الهيبة يضعها الله فى قلوب المحيطين به، وإذا أطلـق فـى الوسط الابتلائى كان معناه الصبر على الشدائد [2].

(١) وقد اجتمع كل ذلك له ﷺ فصار هو العرف بـ أل الاستغراقية.

٣٦٤ – " العاضد ﷺ "

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٢٩٩.

(٢) انظر القشيرى – الرسالة – تحقيق أ . د عبد الحليم محمود.

هى اسم فاعل.

وأصله فى الحسيات الآخذ بـ (عضد) الغير، ثم نقل عن الحسيات إلى المعنويات فصار معناه: المعين والمساعد.

٣٦٥ - " العافى ﷺ "

اسم فاعل من العفو: وهو المتجاوز عن السيئات والخطايا توجه إليه.

٣٦٦ - " العاقب ﷺ "

وقد مر.

٣٦٧ - " العالم ﷺ "

اسم فاعل من العلم.

٣٦٨ - " العليم ﷺ "

مبالغة فى عالم.

وهو والذى قبله يطلقان على الله وعلى عباده بالاشتراك مع اختلاف الدلالة.

٣٦٩ - " العامل ﷺ "

اسم فاعل من العمل، ولعل مأخذه قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ﴾ (الأنعام:١٣٥، الزمر: ٣٩).

٣٧٠ - " العائل ﷺ "

اسم فاعل يفيد أن النبى ﷺ فقير إلى ربه.

ولا مدح أوقع من أن يفتقر العبد إلى ربه، ومأخذه قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾ (الضحى: ٨).

٣٧١ - " العبد ﷺ "

٣٧٢ - " عبد الله ﷺ "

٣٧٣ - " العُدَّةُ ﷺ "

هو الذخيرة، ويطلق على النبى ﷺ ليفيد أنه هو: المعد كى يكشف الله به الشدائد والبلايا.

٣٧٤ - " العدل ﷺ "

تسمية بالمصدر لإفادة المبالغة والشمول فى بابه.

٣٧٥ - " العربى ﷺ "

٣٧٦ - " العروة الوثقى ﷺ "

هى العقد الوثيق المحكم فى الدين أو السبب الموصل إلى رضا الله تعالى.

وأصلها فى الحسيات ظاهر.

حكى بعضهم فى قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ (البقرة: ٢٥٦، ولقمان: ٢٢) أنها: النبى ﷺ وهو قول من قولين، ثانيهما: أنها هى الإسلام.

٣٧٧ - " العزيز ﷺ "

هو الممنوع.

٣٧٨ - " العصمة ﷺ "

٣٧٩ - " عصمة الله تعالى ﷺ "

٣٨٠ - " العطوف ﷺ "

٣٨١ - " العظيم ﷺ "

٣٨٢ - " العفو ﷺ "

هكذا بالمصدر كما علمت.

٣٨٣ - " العضيف ﷺ "

هو مبالغة من العفة.

٣٨٤ - " العلامة ﷺ "

٣٨٥ - " العَلَمُ ﷺ "

والعلامة بالتخفيف: الشاهد المبين.

والعلم يطلق على العلم المشهور ويستعار للسيد المذكور.

٣٨٦ - " عَلَمُ الإيمان ﷺ "

٣٨٧ - " عِلْمُ اليقين ﷺ "

هكذا بالمصدر والأمر واضح.

٣٨٨ - " العلى ﷺ "

العظيم الشأن العالى الرتبة على أقرانه وفوق غيره.

وهى تطلق على الله وعلى بعض عباده بالاشتراك على ما علمت من تفاوت الدلالة.

٣٨٩ – " العماد ﷺ "

ما يستند إليه غيره ويعود إليه فى الشدائد.

وهو فى الحسيات ظاهر.

٣٩٠ – " العمدة ﷺ "

الرأس المتميز والأصل الذى يعتمد عليه.

٣٩١ – " العين ﷺ "

٣٩٢ – عين العز ﷺ "

العين: النفيس فى نفسه المتميز فى جوهره على غيره، الرائى لدقائق الأمور، البصير بكنه الأشياء.

وهو من الأسماء المشتركة حيث تقال على أشياء كثيرة يجمعها ما ذكرناه.

فتأمل.

حرف الغين:

٣٩٣ – " الغالب ﷺ "

هى اسم فاعل من الغلبة بمعنى: القوة والقهر.

٣٩٤ – " الغطمطم ﷺ "

هى بطاءين على وزن زبرجد وهو: الحليم الواسع الخلق.

٣٩٥ – " الغفور ﷺ "

فى التوراة أن من صفات النبى ﷺ أنه يعفو ويغفر.

والغفور من الأسماء المشتركة بين الله وبين عباده.

٣٩٦ – " الغنى ﷺ "

والغنى مقصورًا على ثلاثة أضرب: أحدهما: ارتفاع الحاجات وليس ذلك إلا لله عز وجل حيث إنه ترفع الحاجات إليه، والثانى: غنى معنوى وهى الملكة تكون فى النفس، (والغنى الحقيقى غنى النفس) والثالث: غنى مادى وهو الذى يكون فى المال وما يحوزه الإنسان منه.

وقد حاز النبى ﷺ أعلى الدرجات الأخلاقية من الغنى المتاح للمخلوقين.

والغنى من الأسماء المشتركة.

٣٩٧ - " الغوث ﷺ "

٣٩٨ - " الغياث ﷺ "

والمادة فى الاسمين تدور حول النصرة والإمداد.

ومن الأخلاق العالية أن الإنسان ينصر من استنصره لرفع الظلم عنه، فيغيثه، ويكون هو الغياث له ،كالمطر يكون غوثًا وغياثًا للأحياء ينزل على الأرض تربو به وتزداد ويقع بين يدى الأحياء فيزول به الظمأ وتسكن إليه النفس، وتثبت به الإقدام، ويذهب بــه غــيظ الصدور.

حرف الفاء:

٣٩٩ - " الفاتح ﷺ "

٤٠٠ - " الفارق ﷺ "

٤١٠ - " الفارقليط ﷺ "

هو البارقليط اسمه فى الكتب السابقة خاصة الإنجيل وقد مر.

٤٠٢ - " الفاضل ﷺ "

٤٠٣ - " الفائق ﷺ "

٤٠٤ - " الفتاح ﷺ "

٤٠٥ - " الفجر ﷺ "

٤٠٦ - " الفخر ﷺ "

٤٠٧ - " الفخم ﷺ "

٤٠٨ - " الفَدْغَمُ ﷺ "

بالدال والغين على وزن جعفر: الحسن الجميل والعظيم الجليل.

٤٠٩ - " الفرد ﷺ "

المنفرد بما للبشر من غاية الجمال المريح والخلق الراشد.

٤١٠ - " الفَرَطُ ﷺ "

الفرط قد ورد فى أحاديث صحيحة وهو يعنى السابق والمتبادر منه أنه السابق إلــى الحوض يوم القيامة.

٤١١ – " الفصيح ﷺ "

هو من الفصاحة وهى سلامة مراكز النطق وجودة الموضوع وسلامة العبارة.

٤١٢ – " الفضل ﷺ "

٤١٣ – " فضل الله ﷺ "

٤١٤ – " الفطِن ﷺ "

٤١٥ – " الفلاح ﷺ "

٤١٥ – " الفَهِمُ ﷺ "

٤١٧ – " فاتح الكنوز ﷺ "

٤١٨ – " فئة المسلمين ﷺ "

حرف القاف:

٤١٩ – " القارى ﷺ "

٤٢٠ – " القاسم ﷺ "

٤٢١ – " القانت ﷺ "

٤٢٢ – " القائد ﷺ "

٤٢٣ – " قائد الغر المحجلين ﷺ "

٤٢٤ – " قائد الخير ﷺ "

٤٢٥ – " القائل ﷺ "

٤٢٦ – " القائم ﷺ "

٤٢٧ – " القَتَّالُ ﷺ "

٤٢٨ – " القَتُولُ ﷺ "

٤٢٩ – " قُثَمُ ﷺ "

هذه المادة تطلق على النبى ﷺ فى صياغتين كما رأيت: (قُثَمُ وقثوم) أما (قثم) فهى بضم القاف وفتح الثاء بعدها ميم، وأما (قَثُومٌ) بفتح القاف وضم الثاء بعدها واو ثم ميم.

ولقد ورد فى إطلاق هذه المادة على النبى ﷺ أثار.

وفى اشتقاق هذه الكلمة كما قال ابن دحية معنيان [أحدهما: أنه من القثم وهو الإعطاء، يقال قثم له من العطاء إذا أعطى فسمى النبى ﷺ بذلك لجوده وعطائه.

الثانى: أنه من القثم وهو الجمع يقال للرجل الجموع للخير: قثوم وقثم، وقد كـان ﷺ جامعًا لخصال الخير والفضائل كلها].

٤٣٠ – " قدم صدق ﷺ "

٤٣١ – " القرشى ﷺ "

٤٣٢ – " القريب ﷺ "

٤٣٣ – " القسم ﷺ "

٤٣٤ – " القطب ﷺ "

٤٣٥ – " القمر ﷺ "

٤٣٦ – " القوى ﷺ "

٤٣٧ – " القيم ﷺ "

حرف الكاف:

٤٣٨ – " الكاف ﷺ "

٤٣٩ – " الْكَافَّةُ ﷺ "

٤٤٠ – " الكافى ﷺ "

٤٤١ – " الكامل ﷺ "

٤٤٢ – " الكريم ﷺ "

٤٤٣ – " الكفيل ﷺ "

٤٤٤ – " كنديدة ﷺ "

قال ابن دحية هو اسمه ﷺ فى الزبور.

٤٤٥ – " الكنز ﷺ "

٤٤٦ – " كهيعص ﷺ "

حروف مقطعة وفى قول من أقوال أنه رمز لاسمه ﷺ "

٤٤٧ – " الكوكب ﷺ "

حرف اللام:

٤٤٨ – " اللبيب ﷺ "

إشارة لفطنته ورجاحة عقله وقوة ذكائه.

٤٤٩ – " اللسان ﷺ "

وصف به وصار اسما له إشارة إلى أنه هو المتحدث بالرسالة أولا، والمتحدث عن قومه فى عرصات القيامة، والبليغ فى كل قول.

٤٥٠ – " اللَّسِنُ ﷺ "

٤٥١ – " اللَّوْذَعِيُّ ﷺ "

الذكى الفصيح الحديد الذهن وهو قريب من اسمه (الحلاحل) كما مر.

٤٥٢ – " الليث ﷺ "

بجامع الشجاعة.

حرف الميم:

٤٥٣ – " المؤتمن ﷺ "

هو اسم مفعول.

٤٥٤ – " الْمُؤَمَّلُ ﷺ "

٤٥٥ – " الْمُؤَمَّمُ ﷺ "

٤٥٦ – " المؤَيَّدُ ﷺ "

هذا واللذان قبله أسماء مفعول.

٤٥٧ – " المؤَيِّدُ ﷺ "

هو اسم فاعل.

٤٥٨ – " الماء المَعِينُ ﷺ "

هو على وجه التشبيه بجامع الطهارة والجريان حتى يعم وجه الأرض.

٤٥٩ – " المأمون ﷺ "

اسم مفعول من الأمانة.

٤٦٠ – " المؤمن ﷺ "

٤٦١ – " الماجد ﷺ "

هو والذى قبله من الأسماء المشتركة على ما علمت قبل.

والماجد هو المفضال الكثير الجود.

٤٦٢ – " الماحى ﷺ "

وقد تقدم قبل هذا الجدول.

٤٦٣ – " ماذ ماذ ﷺ "

وقد تقدمت الإشارة إليه، وهو من الأسماء التى بشر بها فى الكتب السابقة.

٤٦٤ – " المانح ﷺ "

اسم فاعل من المنح، وأل فيه للاستغراق وهو من الأسماء المشتركة.

٤٦٥ – " المانع ﷺ "

المقابل لما سبقه.

٤٦٦ – " المبارك ﷺ "

وهو اسم مفعول.

قال حسان يمدحه:

صَلَّى الإِلَـٰـه وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ وَالطَّيِّبُــونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

وقال عباس بن مرداس:

فَآمَنْتُ بِاللَّــهِ الَّــذِى أَنَا عَبْــدُهُ وَخَالَفْتُ مَنْ أَمْسَى يُرِيدُ الْمَهَالِكَا

وَوَجَّهْتُ وَجْهِى نَحْوَ مَكَّةَ قَاصِدًا وَبَايَعْتُ بَيْنَ الأَخْشَبَيْنِ الْمُبَارَكَا

نَبِــىٌّ أَتَانَا بَعْــدَ عِيسَى بِنَاطِــقٍ مِنَ الْحَقِّ فِيهِ الْفَضْلُ مِنْهُ كَذَلِكَا

٤٦٧ – " المبرأ ﷺ "

اسم مفعول.

٤٦٨ – " الْمُبْتَهِلُ ﷺ "

٤٦٩ – " الْمُبَشِّرُ ﷺ "

٤٧١ – " الْمُبَلِّغُ ﷺ "

٤٧١ – " الْمُبِيحُ ﷺ "

كلها أسماء للفاعل.

٤٧٢ – " المبعوث بالحق ﷺ "

اسم مفعول.

٤٧٤ – " المتبتّل ﷺ "

٤٧٥ – " المتبسّم ﷺ "

٤٧٦ – " المتَّبع ﷺ "

٤٧٧ – " المتربِّصُ ﷺ "

٤٧٨ – " المُتَرَحِمُ ﷺ "

٤٧٩ – " المتضرع فى الدعاء ﷺ "

٤٨٠ – " المتقن ﷺ "

٤٨١ – " المتقى ﷺ "

وكلها أسماء للفاعلين.

٤٨٢ – " المتلو ﷺ "

٤٨٣ – " المتلوُ عليه ﷺ "

هما اسمان للمفعول.

٤٨٤ – المتمكن ﷺ "

٤٨٥ – " المُتَمِّمُ لمكارم الأخلاق ﷺ "

٤٨٦ – " المتوكل ﷺ "

٤٨٧ – " المتهجد ﷺ "

٤٨٨ – " المتوسط ﷺ "

أسماء للفاعلين.

٤٨٩ – " المُتَمَّمُ ﷺ "

هى اسم مفعول.

٤٩٠ – " المتين ﷺ "

هو القوى البالغ السلطان، وهو من الأسماء المشتركة.

٤٩١ – " المُثَبَّتُ ﷺ "

هى اسم مفعول.

٤٩٢ – " المُثَبِّتُ ﷺ "

٤٩٣ – " المجادِل ﷺ "

٤٩٤ – " المجاهِد ﷺ "

اسمان للفاعل.

٤٩٥ - " المجتبَى ﷺ "

بالألف في آخره نطقًا لا خطًا وهو اسم مفعول من الاجتباء وهو الاصطفاء.

٤٩٦ - " المجيب ﷺ "

٤٩٧ - " المجير ﷺ "

٤٩٨ - " المجيد ﷺ "

وهي أسماء للفاعل تطلق بالاشتراك على الله وعلى بعض عباده كما علمت.

٤٩٩ - " المحجة ﷺ "

مأخوذة من الحج وهو القصد، والميم في المحجة زائدة..

وهو اسم مفعول لأن الناس يقصدونه للمنفعة وللزيارة.

٥٠٠ - " المحفوظ ﷺ "

هي اسم مفعول من الحفظ.

٥٠١ - " المحكَّم ﷺ "

هي اسم مفعول كذلك من التحكيم.

٥٠٢ - " المحرِّض ﷺ "

٥٠٣ - المحرِّم ﷺ "

٥٠٤ - " المحرم للظلم ﷺ "

٥٠٥ - " المُحَلِّلُ ﷺ "

٥٠٦ - " المحمود ﷺ "

اسم مفعول.

قال حسان يمدحه:

فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا ... يَبْكِيهِ حَقُّ الْمُرْسَلَاتِ وَيُحْمَدُ

وهو من الأسماء المشتركة.

٥٠٧ - " المُحيد ﷺ "

من حاد عن الشيء يحيد عنه وسمي به لأنه كان يحيد عن الظلم.

٥٠٨ - " محمد ﷺ "

انظره قبل الجدول.

٥٠٩ – " المُخبت ﷺ "

٥١٠ – " المخبر ﷺ "

أسماء للفاعل.

٥١١ – " المختار ﷺ "

٥١٢ – " المختص ﷺ "

٥١٣ – " المختص بالقرآن ﷺ "

٥١٤ – " المختص بآى لا تنقطع ﷺ "

٥١٥ – " المُخَتَّمُ ﷺ "

٥١٦ – " المخصوص بالعز ﷺ "

٥١٧ – " المخصوص بالمجد ﷺ "

٥١٨ – " المِخْضَمُ ﷺ "

٥١٩ – " المخلص ﷺ "

٥٢٠ – " المدثر ﷺ "

أسماء للمفعول.

٥٢١ – " المدنى ﷺ "

هو نسبة إلى المدينة المنورة.

٥٢٢ – " مدينة العلم ﷺ "

٥٢٣ – " الْمُذَّكِّر ﷺ "

٥٢٤ – " المذكور ﷺ "

٥٢٥ – " المرء ﷺ "

هى من المروءة والإنسانية.

٥٢٦ – " المرتَجَى ﷺ "

هو اسم مفعول وهو من الأسماء المشتركة.

٥٢٧ – " المرتضَى ﷺ "

وهو كذلك حين ارتضاه مولاه واصطفاه.

اسم مفعول من: ارتضى.

٥٢٨ - " المرتل ﷺ "

اسم فاعل من رتل، حيث كان يقرأ القرآن على وجهه كما أنزل: ﴿ **وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً** ﴾ (المزمل: ٤).

٥٢٩ - " المرحوم ﷺ "

هو اسم مفعول من الرحمة.

٥٣٠ - " مرحمة ﷺ "

إشارة إلى بعض وظيفته النبوية فهو قد بعث مرحمة وملحمة، ولم يبعث تـاجرًا ولا صانعًا ولا زارعا.

٥٣١ - " المرسل ﷺ "

٥٣٢ - " المرشد ﷺ "

٥٣٣ - " مَرْغَمَةٌ ﷺ "

أصله في الماديات وهو أن يقوم الرجل بإلصاق غيره في التراب، ثم نقل إلى الرجل يقهر الرجل ويرده عن غيه [١].

٥٣٤ - " المرغِّب ﷺ "

٥٣٥ - " المزكِّي ﷺ "

٥٣٦ - " المزمل ﷺ "

٥٣٧ - " المزمزم ﷺ "

٥٣٨ - " مزيل الغمة ﷺ "

٥٣٩ - " المسبِّح ﷺ "

٥٤٠ - " المستجيب ﷺ "

٥٤١ - " المستعيذ ﷺ "

٥٤٣ - " المستغني ﷺ "

٥٤٤ - " المستقيم ﷺ "

٥٤٥ - " المسدَّدُ ﷺ "

---

(١) الصحاح للجوهري ٢ / ٢٩١.

أخذ كما قال الأسيوطى من قوله تعالى لأشعيا: " أسدده لكل جميل " (رواه ابن أبـى حاتم عن وهب).

٥٤٦ – " الْمُسْرَى به ﷺ "

٥٤٧ – " المسعود ﷺ "

٥٤٨ – " الْمُسَلِّم ﷺ "

٥٤٩ – " المسيح ﷺ "

صفة واسم من المسح، وكان النبى ﷺ لا يمسح بيده المباركة شيئا إلا بورك بسـببه وزالت عنه نقائصه، أو هو من السياحة، حيث ساح النبى ﷺ بدينـه فـى الأرض كلهـا، وكانت رسالته ولا تزال عامة وخاتمه، وإن لم يتنقل بجسمه فى هذه البلدان كلها، وقيـل: إن المسيح كلمة يونانية معناها المبارك، وقيل: غير ذلك.

٥٥٠ – " المشاور ﷺ "

هو اسم فاعل من المشاورة، بمعنى استخراج الآراء واستعراضـها للوقـوف علـى المناسب منها على الحقيقة، لا بالأغلبية كما تقول الديمقراطيات، فقد علمه ربه أنه: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف: ١٠٣)

٥٥١ – " الْمُشَذَّبُ ﷺ "

هى وصف للجسم وتطلق على الطويل المعتدل القامة.

٥٥٢ – " الْمُشَرِّدُ ﷺ "

هى من التشريد، وهو التفريق للعدو قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (الأنفال: ٥٧).

٥٥٣ – " الْمُشَفَّعُ: ﷺ "

٥٥٤ – " المشفوع ﷺ "

ذكره ابن دحية، ولعل له معنى عنده لم يذكره، ولا يجوز أن يكـون المشـفوع مـن الشفاعة اسم مفعول حيث تأباه اللغة.

٥٥٥ – " مُشَقَّحٌ ﷺ "

كمحمد وزنا ومعنى.

٥٥٦ – " المشهود ﷺ "

٥٥٧ – " الْمُشِيح ﷺ "

صفة جسمية يوصف بها الصدر مع البطن إذا اعتدلا فى شخص واحـد، بحيـث لا يرتفع بطنه عن صدره، ولا صدره عن بطنه.

قال القاضى عياض: لعله الْمَشِيح بميم مفتوحة فيكون معناه العريض الصدر.

٥٥٨ – " المشير ﷺ "

٥٥٩ – " المصافح ﷺ "

٥٦٠ – " المصارع ﷺ "

هى من الصرع بمعنى الطرح، وهى رمز القوة، حيث كان النبى ﷺ يصرع عـدوه، أو فيه هذا الاستعداد.

٥٦١ – " المصباح ﷺ "

٥٦٢ – " مصحح الحسنات ﷺ "

٥٦٣ – " الْمُصَدِّق ﷺ "

٥٦٤ – " الْمُصَدَّقُ ﷺ "

٥٦٥ – " المصدوق ﷺ "

٥٦٦ – " المصطفى ﷺ "

٥٦٧ – " المصلح ﷺ "

٥٦٨ – " المصلى ﷺ "

٥٦٩ – " المصون ﷺ "

٥٧٠ – " الْمِضْغَمُ ﷺ "

هى بوزن منبر وهى رمز الشرف والسيادة والنيافة.

٥٧١ – " الْمُضَرِىُ ﷺ "

نسبة إلى مُضَرَ وهو أحد أجداده ﷺ.

٥٧٢ – " المضىء ﷺ "

٥٧٣ – " المطاع ﷺ "

٥٧٤ – " المطهر ﷺ "

٥٧٥ – " المطيع ﷺ "

٥٧٦ – " المظفر ﷺ "

٥٧٧ – " المعروف ﷺ "

٥٧٨ – " الْمُعِزُّ ﷺ "

هو: الموقر الذى يؤمر غيره بإجلاله وتعظيمه ونصرته، وقرئ تعززوه فـــى قولـــه تعالى: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ بزاى بدل الراء فى آخره هكذا: ﴿وتعززوه﴾ تظهروا عـــزه فـــى قومه وبين الناس.

٥٧٩ – " المعصوم ﷺ "

٥٨٠ – " المعطى ﷺ "

٥٨١ – " المعظم ﷺ "

٥٨٢ – " المعقب ﷺ "

هو بمعنى العاقب وقد سبق.

٥٨٣ – " المعلِّم ﷺ "

٥٨٤ – " المعلَّم ﷺ "

٥٨٥ – " معلم أمته ﷺ "

٥٨٦ – " المعلِن ﷺ "

٥٨٧ – " الْمُعَلَّى ﷺ "

الذى رفع على غيره، اسم مفعول من التعلية وهى الرفعة.

٥٨٨ – " المعَمَّمُ ﷺ "

٥٨٩ – " الْمُعِينُ ﷺ "

وهو من الأسماء المشتركة.

٥٩٠ – " الْمُغْرَمُ ﷺ "

هى من الغرام، وإنما سمى بذلك لشدة محبته لله تعالى.

٥٩١ – " الْمَغْنَمُ ﷺ "

هى بوزن جعفر، ومعناه الخيار من كل شىء وفى كل شىء.

٥٩٢ – " المغنى ﷺ "

وهى من الأسماء المشتركة.

٥٩٣ - " المِفتاح ﷺ "

٥٩٤ - " مِفتاح الجنة ﷺ "

٥٩٦ - " المفضال ﷺ "

٥٩٧ - " المفضّل ﷺ "

٥٩٨ - " المفلّج ﷺ "

هى وصف لبعض مناطق الجسم حيث توصف الأسنان بها، والمفلج هو: المتباعد ما بين ثناياه.

٥٩٩ - " المفلح ﷺ "

٦٠٠ - " المقتصد ﷺ "

٦٠١ - " المستقيم ﷺ "

٦٠٢ - " المقتفى ﷺ "

سمى به لأنه قفى النبيين جاء بعدهم وختمهم الله به.

٦٠٣ - " الْمُقَدَّسُ ﷺ "

هو المطهر من الذنب، المبرأ من العيوب الخِلْقِيَّة وَالْخُلُقِيَّة.

٦٠٤ - " الْمُقَدِّسُ ﷺ "

هو المطهر لغيره.

والاسمان معًا يدلان على أنه طاهر فى نفسه مطهر لغيره.

٦٠٥ - " الْمُقَدَّمُ ﷺ "

٦٠٦ - " الْمُقَدِّمُ ﷺ "

٦٠٧ - " المقرئ ﷺ "

٦٠٨ - " المقسط ﷺ "

اسم فاعل من أقسط بمعنى: عدل، وهو غير المجرد: قسط بمعنى: جار وظلم.

٦٠٩ - " المقسم ﷺ "

٦١٠ - " المقصوص ﷺ "

فى القرآن: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ** ﴾ (يوسف: ٣).

٦١١ – " الْمُقَفِّى ﷺ "

وقد مر نظره.

٦١٢ – " الْمُقَوِّمُ ﷺ "

هى اسم مفعول، والمراد أنه هو: المستقيم الذى وضعه الله فى هذا المقام.

٦١٣ – " مقيل العثرات ﷺ "

وهو من الأسماء المشتركة.

٦١٤ – " مقيم السنة ﷺ "

٦١٥ – " المكتفى بالله ﷺ "

٦١٦ – " الْمُكَرَّمُ ﷺ "

٦١٧ – " المكفى ﷺ "

اسم مفعول من الكفاية.

٦١٨ – " الْمُكَلَّمُ ﷺ "

٦١٩ – " المكى ﷺ "

٦٢٠ – " المكين ﷺ "

٦٢١ – " الملاحمى ﷺ "

٦٢٢ – " الملاذ ﷺ "

وهو من الأسماء المشتركة.

يقول أبو طالب يمدحه:

يَلُوذُ بِهِ الْهُلاَّكُ مِن آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِى نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

٦٢٣ – " الملبى ﷺ "

٦٢٤ – " الملجأ ﷺ "

٦٢٥ – " الملحمة ﷺ "

هو فى الأصل اسم للمعركة تدور رحاها ويلتحم فيها الجنود، وسمى بـه النبـى ﷺ على سبيل المبالغة إشارة إلى شجاعته ﷺ وإلى ما سبقت البشارة به مـن أوصـافه فـى الكتب السابقة، وقد مر نظائر معناه.

٦٢٦ – " مُلَقَّى القرآن ﷺ "

٦٢٧ – " المليك ﷺ "

هو فعيل من المُلك بضم الميم أو كسرها، وهو من الأسماء المشتركة.

٦٢٨ – " الْمَلِكُ ﷺ "

هو بكسر اللام، وهو الذى يسوس الناس ويدبر أمرهم.

٦٢٩ – " الملىء ﷺ "

هو باللام آخره همزة، ومعناه: الغنى بالله عما سواه أو الحسن حكمه وقضاؤه.

٦٣٠ – " الممنوع ﷺ "

٦٣١ – " المنادى ﷺ "

هو اسم فاعل، ومعناه: الداعى إلى الله وتوحيده: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ (آل عمران: ١٩٣).

٦٣٣ – " المنادَى ﷺ "

٦٣٤ – " المنتجب ﷺ "

٦٣٥ – " المنتخب ﷺ "

وهما اسمان للمفعول، ومعناهما: المصطفى المختار.

٦٣٦ – " المنتصر ﷺ "

٦٣٧ – " الْمُنْجِدُ ﷺ "

٦٣٨ – " الْمُنْحَمِنَّا ﷺ "

هو بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء وكسر الميم الثانية بعدها نون مشددة مفتوحة آخره ألف، قال ابن إسحاق: هو اسمه فى الإنجيل ولغته السريانية، وترجمته إلى العربية: محمد.

٦٣٩ – " المنذر ﷺ "

٦٤٠ – " الْمُنَزَّلُ عليه ﷺ "

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً ﴾ (الإنسان: ٢٣).

٦٤١ – " المنصف ﷺ "

٦٤٢ – " المنصور ﷺ "

٦٤٣ – " المنقذ ﷺ "

قال حسان فى رثائه:

يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِى بِهِ   وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشِدُ

٦٤٤ – " منة الله ﷺ "

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (آل عمران:١٦٤).

٦٤٥ – " المنيب ﷺ "

٦٤٦ – " المنير ﷺ "

٦٤٧ – " المهاب ﷺ "

٦٤٨ – " المهاجر ﷺ "

٦٤٩ – " المهداة ﷺ "

أى الرحمة الممنوحة.

٦٥٠ – " المهدى ﷺ "

٦٥١ " المهذب ﷺ "

٦٥٢ – " المهيمن ﷺ "

وهو من الأسماء المشتركة.

قال عمه العباس يمدحه:

حَتَّى احْتَوَى بَيْتُكَ الْمُهَيْمِنُ مِنْ   خِنْدِفٍ عَلْيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ

قال بعض المفسرين: أصل هذا الاسم فى قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة: ٤٨).

ويستقيم هذا الرأى إذا قلنا: إن " مهيمنا " فى الآية حال من كاف الضمير فى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾.

٦٥٣ – " المورود حوضُه ﷺ "

٦٥٤ – " الموصل ﷺ "

هو اسمه ﷺ فى التوراة ومعناه: مرحوم، وذكره الشيخ عبد الباسط البلقينى.

٦٥٥ – " المؤتى جوامع الكلم ﷺ "

٦٥٦ – " **الموحَى إليه ﷺ** "

٦٥٧ – " **المولَى ﷺ** "

وردت به الأحاديث الشريفة فى الصحاح اسما له وصفة. والمولى تطلق ويراد منها معانى كثيرة قد تبلغ الستة عشر معنى على ما قاله ابن الأثير، معظمها وردت الأحاديث به، وما يليق من معانيها بالنبى ﷺ يطلق الاسم عليه به حسب السياق، والمراد منه هنا بالمعنى العام: السيد والمنعم والناصر والمحب.

٦٥٨ – " **موذ موذ ﷺ** "

وقد مر نظائره.

٦٥٩ – " **الموعظة ﷺ** "

وهو فى الأصل ما يصاحب الأمر والنهى من وعد أو وعيد، فترق القلوب له وتهاب النفوس، وسمى به النبى كأنه هو الموعظة نفسها، فوظيفته أنه مبشر ونذير مع البلاغ لما أرسله به والقدوة بما هو عليه.

٦٦٠ – " **الموقر ﷺ** "

٦٦١ – " **الموقن ﷺ** "

٦٦٢ – " **ميذ ميذ ﷺ** "

٦٦٣ – " **الْمُيَسَّرُ ﷺ** "

٦٦٤ – " **المُيَمَّمُ ﷺ** "

حرف النون:

٦٦٥ – " **النابذ ﷺ** "

هو مأخوذ من النبذ بالياء الساكنة الذى هو الطرح لكل ما لا يرغب فيه لعدم نفعه أو لشريته أو للزهد فيه.

قال تعالى للنبى ﷺ حين تحرج من حرب اليهود للعهد بينه وبينهم وقد خانوه: **﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾** (الأنفال:٥٨).

٦٦٦– " **الناجز ﷺ** "

هو اسم فاعل من نجز إذا وفى ولم يبطئ.

٦٦٧ – " **الناس ﷺ** "

هو تسمية باسم النوع حيث اجتمعت فيه صفات الخير فى النوع كله وتفرقت فى غيره.

ومأخذه من قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٥٤) على قول من أقوال، ذكره عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم عن عكرمة.

٦٦٨ – " الناسخ ﷺ "

٦٦٩ – " الناسك ﷺ "

٦٧٠ – " الناشر ﷺ "

٦٧١ – " الناصب ﷺ "

الجميع من أسماء الفاعلين.

والناصب: تطلق على معان على حسب مأخذها اللغوى، فهى تكون من النصب بمعنى العلامة، وهى تكون من النصب بمعنى التعب، ومأخذها فيه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ (الشرح: ٧) والجميع ظاهر النسبة إليه ﷺ.

٦٧٢ – " الناصح ﷺ "

٦٧٣ – " ناصر الدين ﷺ "

٦٧٤ – " الناضر ﷺ "

٦٧٥ – " الناطق بالحق ﷺ "

٦٧٦ – " الناظر من خلفه ﷺ "

٦٧٧ – " الناهى ﷺ "

٦٧٨ – " النبى ﷺ "

٦٧٩ – نبى الراحة ﷺ "

٦٨٠ – " نبى الرحمة ﷺ "

٦٨١ – " النبى الصالح ﷺ "

٦٨٢ – " نبى الأحمر ﷺ "

٦٨٣ – " نبى الأسود ﷺ "

٦٨٤ – " نبى التوبة ﷺ "

٦٨٥ – " نبى الحرمين ﷺ "

٦٨٦ – " نبى زمزم ﷺ "

٦٨٧ – " نبى المرحمة ﷺ "

٦٨٨ – " نبى الملحمة ﷺ "

٦٨٩ – " نبى الملاحم ﷺ "

٦٩٠ – " النبأ ﷺ "

هو الخبر ذو الشأن والأمر الجلل والخطب العظيم، ومأخذه من قوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (النبأ: ١، ٢).

قيل هو النبى ﷺ وهو قول من أقوال ثلاثة، ثانيها القرآن وثالثها: يوم النشور، ذكره البلقينى.

٦٩١ – " النجم ﷺ "

٦٩٢ – " النجم الثاقب ﷺ "

٦٩٣ – " النجيب ﷺ "

٦٩٤ – " النجيد ﷺ "

٦٩٥ – " نَجِىُّ الله تعالى ﷺ "

٦٩٦ – " الندب ﷺ "

هو مفردٌ جمعُه: ندوب وندباء، ومعناه فى المفرد: النجيب الظريف.

٦٩٧ – " النذير ﷺ "

٦٩٨ – " النسيب ﷺ "

٦٩٩ – " النعمة ﷺ "

٧٠٠ – " نعمة الله ﷺ "

٧٠١ – " النقى ﷺ "

٧٠٢ – " النقيب ﷺ "

كلمة تطلق على الشهيد على قومه والأمين والضمين.

وأصله قبل أن ينقل إلى هذه المعانى: النقب الواسع.

ومأخذه اسما له من قوله لبنى النجار أخوال أبيه لما هلك نقيبهم وقالوا له يارسول الله

اجعل لنا نقيبا، فقال: " أنتم أخوالى وأنا نقيبكم ".

٧٠٣ – " **النور ﷺ** "

٧٠٤ – " **نور الأمم ﷺ** "

٧٠٥ – " **نو ر الله الذى لا يطفأ ﷺ** "

٧٠٦ – " **نون ﷺ** "

وهو من الحروف المقطعة رمز اسمه كما علمت.

حرف الهاء:

٧٠٧ – " **الهادى ﷺ** "

٧٠٨ – " **الهاشمى ﷺ** "

٧٠٩ – " **الْهَجُودُ ﷺ** "

بوزن: صبور، وهو الكثير التجهد على نحو ما أمر به فى قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ (الاسراء: ٧٩).

٧١٠ – " **الْهُدَىٰ ﷺ** "

٧١١ – " **هدية الله ﷺ** "

٧١٢ – " **الهمام ﷺ** "

تطلق ويراد منها الملك العظيم.

٧١٣ – " **الهمة ﷺ** "

تطلق ويراد منها: السخاء والشجاعة، وسمى بها هكذا على وجه المبالغة لاجتماع أوصافها فيه.

٧١٤ – " **الْهَيِّنُ ﷺ** "

هى من الهون: وهو السكينة والوقار، لا من الهوان الذى هو الذلة والخضوع (وحاشاه).

حرف الواو:

٧١٥ – " **الواجِد ﷺ** "

٧١٦ – " **الواسِط ﷺ** "

٧١٧ – " **الواعِد ﷺ** "

٧١٨ - " الواسع ﷺ "

٧١٩ - " الواضع ﷺ "

٧٢٠ - " الواعظ ﷺ "

٧٢١ - " الوافى ﷺ "

٧٢٢ - " الوالى ﷺ "

٧٢٣ - " الوجيه ﷺ "

٧٢٤ - " الورع ﷺ "

٧٢٥ - " الوسيم ﷺ "

٧٢٦ - " الوسيلة ﷺ "

هى الواسطة بين موجود عالى القدر وآخر أدنى.

والنبى ﷺ وسيلة الخلق إلى الحق، والأحايث متواترة فى ذلك لا ينكرها إلا هالك، وحمل الآية فى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ على النبى ﷺ وغيره ممكن غير مرفوض.

٧٢٧ - " الوَصِىُّ ﷺ "

٧٢٨ - " الوفى ﷺ "

٧٢٩ - " ولى الفضل ﷺ "

٧٣٠ - " الولى ﷺ "

٧٣١ - " الْوَهَّابُ ﷺ "

مبالغة فى واهب الذى هو اسم الفاعل، والاشتقاق من: الهبة وهو من الأسماء المشتركة كما ترى.

حرف الياء:

٧٣٢ - " اليتيم ﷺ "

٧٣٣ - " يس ﷺ "

وهو من الحروف المقطعة فى أوائل السور، أو هو اسمه ﷺ على ما علمت.

٧٣٤ - " اليثربى ﷺ "

هو نسبة إلى يثرب ﷺ "

فى كُنْيَتِـــه ﷺ

لقد سبق أن تحدثنا عن الأسماء يُدعى بها الرجل، وقلنا إنها علم وكنية ولقب وشرحنا ذلك تفصيلا فيما مر.

وقد وصل بنا السير إلى أن أصبحنا أمام موضوع الحديث عــن كنــاه ﷺ وقبــل أن أحدثك عن الكنى التى تكنى بها رسول الله ﷺ أحب أن أحيطك علما بأوائل نشأة الكنية فى العرب.

وفى ذلك حكايات تروى منها: ما رواه ابن الأثير فى مُرَصَّعِهِ ما إجمالــه أن أحــد الملوك ولد له ولد، وأراد أن يؤدبه ويعلمه، ويعهد به إلى المؤدبين والمعلمين، وقد خــاف عليه صخب القصر وفتنة البلاط، فبنى له فى الصحراء ليكون فى عزلة، وأرسل معه من أترابه من أبناء عمومته ليتعامل معهم كى لا يتوحش، وتعود أن يزوره فى كل عام، ومع آباء الأتراب والأبناء الذين يقيمون مع ولده كى يزوروا أولادهم.

فإذا ما اجتمع الجميع، أخذ ابن الملك يسأل أباه عن هؤلاء الرجال الذين جاءوا معــه، ولما كان الابن لا عهد له بهؤلاء الرجال ولا صلة، فكان أبوه الملك يسميهم له بما يعرف فيقول له: هذا أبو فلان الذى معك، وهذا أبو فلان الذى معك، فيتعرف ابن الملــك علــى الرجال الذين جاءوا مع أبيه بإضافة كل واحد منهم إلى ولده.

ومن هنا نشأة الكنية، واستعملها العرب بعد ذلك غالبا فى المــدح واحتــرام المكنــى وإكرامه وتعظيمه قال الشاعر مادحا:

أُكَنِّيهِ حِينَ أُنَادِيهِ لأُكْرِمَهُ وَلاَ أُلَقِّبُهُ وَالسَّوْأَةُ اللَّقَبُ

والكنية لا تكون إلا فى بنى الإنسان.

والمقصود أن نتحدث عن الكنى الخاصة بالنبى ﷺ وهى غير كثيرة، وســنعدها الآن بين يديك عدا.

١ – " أبو القاسم ﷺ "

وهى أشهر ما كنى به النبى ﷺ.

وإذا سألت لماذا أكنى النبى ﷺ بهذه الكنية ؟ فإن إجابة هذا السؤال تدور حول نقطتين أساسيتين:

أما الأولى: فهى أن أكبر أبناء النبى ﷺ على بعضهم ما قيل: هو ابنه القاسم، فكنــى

به لذلك.

وأما الثانية: فإن النبى ﷺ كانت له صفة من صفاته لازمته، ولن تفارقه، حيث جعل النبى ﷺ قاسما فى الدنيا وفى الآخرة على ما جاءت به الروايات، فكنى بأبى القاسم لذلك.

فى صحيح البخارى بسنده إلى أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يمشى بالبقيع فمسع قائلا يقول: ياأبا القاسم، فرد رأسه إليه، فقال الرجل: يارسول الله إنى لم أعنك إنما دعوت فلانا، فقال رسول الله ﷺ " تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى فإنى جعلت قاسما أقسم بينكم " (١).

ولا مانع أن يكون النبى ﷺ قد كنى بهذه الكنية لظهور المعنيين فيه.

٢ - " أبو إبراهيم ﷺ "

روى البيهقى فى الدلائل عن أنس رضى الله عنه، أنه لما ولد إبراهيم ابن النبى ﷺ من مارية كاد يقع فى نفس النبى ﷺ منه حتى أتاه جبريل فقال: السلام عليك ياأبا إبراهيم.

٣ - " أبو الأرامل ﷺ "

٤ - " أبو المؤمنين ﷺ "

قال الله تعالى: ﴿**ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ**﴾ (الأحزاب: ٦) وقرأ أبى بن كعب - رضى الله عنه: " وهو أب لهم " أى كأبيهم فى الشفقة والرأفة والحنو، وليس فى النسب أو الاستلحاق.

وأنت خبير ولا شك أن الله عز وجل قد حرم الاستلحاق، وهو أن يقول الرجل لابن غيره: أنت ابن لى ويُشهد على ذلك ويحمله اسمه يصير بينهما التوارث، وتنتقل إليهما المحارم والمحرمات كقرابة النسب، ولم يستثن الله من ذلك أحدًا لا، ولا النبى ﷺ نفسه، بل الجميع ينطبق عليهم: قوله تعالى: ﴿**ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡ**﴾ (الأحزاب: ٤).

وتبقى أبوة النبى ﷺ للمؤمنين على المعنى الذى رأينا من الشفقة والرحمة، وما ألزم النبى ﷺ به نفسه مسؤليات تجاه أمته.

---

(١) صحيح البخارى ٢ / ٢١٨ ، وصحيح مسلم ك الأدب ح رقم ١.

وهذا التخريج لهذه الأبوة هو الذى يحمل عليه قول الله عز وجـــل: ﴿ٱلنَّبِـــىُّ أَوْلَـــىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦) وهو الذى يحمل عليه ما بقى من هذه الآية فـــى قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ أمومة تعظيم وإجلال لا أمومة نســـب ومـــن لـــوازم الإجلال والتكريم والاحترام، ومن لوازم سلب أمومة النسب: تحـــريم الـــزواج ووجـــوب الحجاب.

هذا ما أردنا أن نقوله هنا فى باب الكنى الخاصة بـــالنبى ﷺ ونســـأل الله أن يجنبنـــا الزلل والخطأ، وأن يحملنا على شفاعة النبى ﷺ.

حُكْمُ تَذَكُّرِ يَوْمِ مِيلَادِهِ وَإِقَامَةِ الشَّعَائِرِ وَتَقْدِيمِ الْقُرُبَاتِ فِيهِ

إن هذه مسألة من المسائل التى مرت فى الأمة دون أن تثير شيئا من الجدل فى فترات طويلة من الزمن.

وفى عصور متأخرة أصبحت هذه المسألة نفسها مثيرة للجدل الفكرى، ومهيجة للعواطف، وموضوعا للفتنة بغير سبب وبدون مبرر يعرفه العلماء.

وأُقحم الجاهلون من الناس على ميدان الجدل وهم نفر من الناس لا بصر لهم بالعلم ولا يملكون عاطفة الانتماء إلى هذا الدين فى معظم الأحايين.

كما أنه قد أقحم على هذا المجال مجموعة كبيرة من الصبية الغربيين الذين يندفعون بغرائزهم إلى الميدان الذى يريدهم أن يندفعوا إليه موجهوهم، يداعبون فيهم الغرائز التى تصاحب هذا السن فى فترة المراهقة كغريزة حب الاستقلال، وغريزة حب التملك، وغريزة حب الزعامة والرياسة ومناطحة الأقران، ومهاجمة الآباء والأجداد..

إلى غير ذلك مما يعرفه الناس ولا ينكرونه.

كما أقحم على هذا ميدان الجدل صنف آخر من الناس وهم أصحاب الظروف، الخاصة التى تطحن النفوس وتمرض الوجدان، وهى ظروف اجتماعية تتعدد أسبابها وتختلف آثارها فى الناس من فرد إلى آخر، فمنهم من تُلْقِى به هذه الأسباب فى انطوائية مميتة، ومنهم من تلقى به هذه الأسباب فى بحار الحقد على الأسوياء والنقمة على غيرهم ممن رفعهم الله فوق هذه الظروف الخاصة.

وأنت ترى ذلك رأى العين فى حلبات الصراع حول هذا الموضوع وغيره من نظائره، وهى موضوعات انسحبت إليها هذه الجماعات بتحريك أياد خفية منفعتهم فى ملء الجيوب أو ملء البطون وكما لا يصعب على الرائى الثَّقِفِ اللَّقِنِ أن يدرك هؤلاء الغربيون أصحاب الأحوال الخاصة فى حلبة الصراع، فإنه لا يصعب عليه كذلك أن يدرك هذه الأيادى التى تحركهم، وأن يدرك هذه التغيرات الاجتماعية والمادية التى تتطرأ على كل واحدة من هذه الأيادى المحركة.

فالواحد من هؤلاء يتحول فى يوم وليلة من حال إلى حال، ومن وضع إلى وضع دون أن يكون لذلك أسباب مؤهلة ولا مهنة معروفة إلا أن يكون متكسبا بهذا التوجيه الدينى، أو قل بملء بحار الفتنة الدينية بمخالفته للمسلمين ولدين الإسلام متناسيا أن من

يدعو إلى الله على بصيرة يجب أن يكون النبى ﷺ قدوته فيأخذ من الدنيا ما يكفيه من حلّه مضبوطا بضوابط الشرع الحكيم واضعا بين يديه قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وهو حال كل نبى على ما صرح به القرآن الكريم.

لم تكن مسألة تَذَكُّرِ يوم ميلاده على كل حال موضع جدل إلى أن جاءت هذه العصور المتأخرة، فشهدت ما شهدت من هذه الأصناف التى ذكرتها، وتركت لبصيرتك أن تدرك، ولفطنتك أن تستوعب، ولقلبك أن يعى.

ولقد ساعد هؤلاء المجادلين اندفاع العامة إلى أمور رأوها حسنة فأدخلوها على أعمال المسلمين فى ذكرى يوم ميلاد النبى ﷺ وما هى من العبادات، ولا قريبة منها.

وإنا بمشيئة الله نعتزم فى هذه الصفحات أن نقول كلمة الحق التى نراها، وأن نصدر هذا الحكم الذى نفتقده، وأن نبين عن الفتوى التى نراها، فإن أصبنا فيما قلناه، وكان ذلك نعمة من ربنا تستوجب شكرها، وإن أخطأنا فنحن نأمل أن نكون فى دائرة العفو، فهو اجتهاد لم يمنع النبى ﷺ من مثله، بل إنه قد بين أن المجتهد مأجور على كل حال.

وما كان لى أن أذكر القول الذى أراه والحكم الذى نعتقد، والفتوى التى أراها صوابا إلا بعد أن أقدم بين يدى ذلك كله الحيثيات التى يستند إليها هذا كله.

وقد يكون فى بعض هذه الحيثيات تكرار لما ذكرناه من قبل يغفره لنا القارئ بسبب حساسية الموضوع، وجرأة بعض القائلين فيه، ظنا منهم أنهم قادرون أن يقوموا بتوسيع الخرق على الراقع، حتى لا يتمكن المسلمون من تثبيت الراقع فى مكانه، دون النيل من الرونق العام، أو ظنا منهم أن الدين الذى بين يديهم إن هو إلا مجموعة من القوارير، لو أنهم تمكنوا من تحطيمها فى بعض جوانبها، تحولت إلى شعث لا يُلَمُّ، ولو أنهم أصابوها بالصدع كان صدعها لا يرأب، وما هؤلاء ببالغى ما يريدون، فإن للدين ربا يحميه.

وسنحاول أن نذكر هذه الحيثيات تحت أرقام نعدها عدا، لننضبط بها لا يسبح بنا الفكر فى بيداء التأمل، ولا يأخذنا السرد إلى أماكن يصعب العودة منها.

١- وأول ما نبدؤك به من هذه الحيثيات بعض أى القرآن الكريم ففى القرآن الكريم يأمر الله عز وجل بذكر النعمة على وجه العموم، كما يأمر الله عز وجل بذكر نعم بعينها يربطها بأوقاتها، ويلفت النظر إلى هذه النعمة مرتبطة بوقت حدوثها فى إطار من الظرف الذى يفيد الماضى وهو (إذ) أو فى إطار من السياق الذى يفيد هذا المعنى.

وسأزودك ببعضهم هذه الآيات، ثم أقف بك عند أكثرها وضوحا وصلة بالموضوع الذى نحن بصدره.

فمن ذلك ما قال الله: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ (البقرة: ٢٠٣) وقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ (آل عمران: ١٠٣) وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة: ١١) وقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة: ٢٠) وقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (إبراهيم: ٦) وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (الأحزاب: ٩) وقال: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (السجدة: ١٥).

وفى القرآن آيات كثيرة فى هذا المعنى يطلع عليها من أراد أن يستقصيها.

وكل هذه الآيات تثير أول ما تثير أسئلة معينة أهمها: ما حقيقة ذكر النعمة مرتبطة بالوقت الذى حدثت فيه؟.

وهل يجزئ أن يكون هذا الذكر المأمور به هو عبارة عن استدعاء المعلومة من هامش الشعور إلى بؤرته، ثم نجلس بعد هذا الاستحضار واضعين أيدينا تحت أذقاننا فى حالة من الاستغراق السلبى دون أن يكون هناك أثر يذكر يظهر على السلوك، وتنطبع به الأقوال والأفعال ؟.

إن القرآن الكريم لم يترك الأمر هكذا مرسلا، وإنما جاءت الآيات تمتدح الذاكرين لهذه النعم حين تنطبع أقوالهم وأفعالهم بهذه الذكرى وتتجاوب معها وفى آخر آية ذكرناها بين يديك تجد هذا المعنى ظاهرا جليا حيث يقول ربنا: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (السجدة: ١٥).

وفى هذا المعنى نفسه ولكن على الجهة المقابلة نجد القرآن الكريم يشدد النكير على

أناس يذكرهم نبيهم أو أحد الدعاة إلى الله بنعمة من نعم الله عليهم فلا يستجيبون.

يقول الله عز وجل: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (يونس: ٧١).

ومن مجمل ما ذكرته لك تدرك أن النعمة ينعم الله علينا بها إنما تستوجب أن نشكره عليها بعد أن نذكرها، وإلا صار الذكر عملا سلبيا باردا لا معنى له، وأسوأ منه أن يذكر الإنسان النعمة ويعاند ويكابر.

وأريد الآن أن أزيد الأمر بيانا من خلال آية من آيات القرآن الكريم هي أقرب إلى التخصيص وأدنى إلى الوضوح إن أردنا أن نقترب من الموضوع الذي نحن بصدده.

وذلك الذي أعنيه وأقصده هو قول الله تبارك تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٥: ٧) هذه ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل، يأمر الله فيها نبيه موسى عليه السلام أن يذهب إلى قومه ومعه دلائل نبوته، يحركهم إلى هدف مرسوم ومقصود إليه وهو إخراجهم من الظلمات إلى النور.

وتؤكد الآيات أن الله عز وجل قد أمر موسى نبيه، أن يستفز عواطف القوم، وأن يهيج مشاعرهم، فيذكرهم بأيام الله.

وأنت خير ولا شك أن الإنسان حين يذكر النعمة ودقتها، تعينه هذه الذكرى على طرد الشيطان وتقوى عزيمته إلى السير في طريق الله.

وإذا كان الله عز وجل قد أمر موسى أن يذكر قومه بأيام الله، فإن المقصود الأول ولا شك، ليس هو التذكير بالوعاء الحاوى أو بالظرف الذى وقعت فيه هذه الأحداث، وإنما المقصود الحقيقى هو التذكير بالنعمة التى احتواها هذا الظرف الزمانى الذى وقعت فيه.

ولم يكن التذكير لمجرد التذكير، إذ التذكير لمجرد التذكير عمل سلبى عديم القيمة،

فلا يبقى إلا أن يكون التذكير بالنعمة التى احتوتها أيام الله إنما القصد منه أن يقوم الذاكر للنعمة بواجب شكرها، وأن لم يفعل فيكون قد عرض نفسه لسخط الله وعقوبته.

ولقد قام سيدنا موسى بواجب التذكير، فنص على بعض النعم التى أنعم الله بها على بنى إسرائيل، وقد صور القرآن ذلك حين قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

أما ربنا ورب موسى عليه السلام فقد أنذر بنى إسرائيل إن هم لم يذكروا أيام الله، أو ذكروها ولم يشكروا ما فيها من نعم بقوله: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾.

هذه هى شواهد القرآن ولها فى القرآن نظائر وأشباه وفيها:

أ – وجوب ذكر أيام الله.

ب – وأن المقصود بذكر أيام الله ذكر ما فيها من نعم.

جـ – وذكر النعمة يعنى شكرها.

وأنت خبير ولا شك بأن ميلاد النبى ﷺ نعمة، فيجب ذكر يومها، وذكر ما فيه، وتقديم الأدلة على شكر ما أنعم الله به علينا من ميلاد هذا النبى العظيم.

وليس أمام المعارضين إلا أن يقولوا: إن التذكير بأيام الله ونعمه وشكر هذه النعم، يجوز فى كل موقع وفى كل حال إلا ميلاد النبى ﷺ ولو أنهم قالوا ذلك فإنه يجب علينا أن نسحب بساط العلم من تحت أرجلهم، ثم نعرض عنهم إعراض من أمرنا القرآن الكريم بالإعراض عنهم، حيث قال لنبيه أن يقول للمجادلين له على غير قاعدة علمية: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ* قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (سبأ: ٢٤: ٢٦).

٢ – وبعد أن حدثناك عن شواهد القرآن الكريم يحسن أن نذكر لك ما جاءت به السنة النبوية المطهرة فى هذا المجال خاصة قاصدين إلى إراحة قلبك وطمأنينة فؤادك، إلى حكم يستند إلى حيثيات، وإلى فتوى تستند إلى شواهد، وإلى رأى تقوم نتيجته على أساس من المقدمات.

ودونك هذه الأحاديث فتأملها بعناية وصدق النية.

أخرج الإمام مسلم بن الحجاج بالسند من طريق شعبة إلى أبى قتادة الأنصارى رضى الله عنه [أن رسول الله ﷺ سئل عن صومه ؟ قال: فغضب رسول الله ﷺ.

فقال عمر رضى الله عنه: رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديناه، وبمحمد رسولا، وببيعتنا بيعة.

قال: فسئل عن صيام الدهر ؟ فقال " لا صام ولا أفطر (أو ما صام وما أفطر) قال: فسئل عن صوم يومين وإفطار يوم ؟ قال: ومن ذلك ؟ قال: وسئل عن صوم يوم وإفطار يوم ؟ قال: ذاك صوم أخى داود عليه السلام).

قال: وسئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال: " ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت (أو أنزل على فيه " قال: فقال: صوم ثلاثة من كل شهر، ورمضان إلى رمضان صوم الدهر " قال: وسئل عن صوم عرفة ؟ فقال: " يكفر السنة الماضية والباقية " قال: وسئل عن صوم يوم عاشوراء ؟ فقال: " يكفر السنة الماضية ".

وفى هذا الحديث من رواية شعبة قال: وسئل عن صوم يوم الاثنين والخميس ؟ فسكتنا عن ذكر الخميس لما نراه وهمًا...

وفى مسلم من طريق غيلان بمثل حديث شعبة، غير أنه ذكر فيه الاثنين، ولم يذكر الخميس.

وهذه طريق أخرى لهذا الحديث فى مسلم بسنده إلى غيلان عن عبد الله بن معبد الزمانى، عن أبى قتادة الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم الاثنين؟ فقال: " فيه ولدت، وفيه أنزل عَلَيَّ] (١).

وفى الأثر من مرويات ابن عباس عن يعقوب قال: ولد رسول ﷺ يوم الاثنين، واستنبئ يوم الاثنين، وتوفى يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين.

وفى بعض الطرق عن ابن عساكر زيادة: وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) وكانت وقعة بدر يوم الاثنين.

---

(١) راجع صحيح مسلم – (١٣) ك الصيام – (٣٦) باب استحباب صيام ثلاثة أيام ... ح رقم ١٩٧، ١٩٨ والحديث عند أحمد ٢/٢٠٠ ، ٢٣٠ ، وعند أبى داود ١/ ٢٤١ ك الصوم باب فى صوم الدهر تطوعا.

وقد تحفظ ابن عساكر كما نتحفظ نحن على ما فى هذه الزيادة إذ المحفوظ عند أهـل العلم أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة، وكذلك نزول آية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) كانت فى حجة الوداع وفـى يـوم عرفة منها، وكان بإجماع أهل العلم يوم جمعة.

وهكذا يتبين من جميع الروايات أن النبى ﷺ ولد يوم الاثنين وفى النهار منه على ما رأيت.

والمسلمون استندوا إلى هذا الحديث وغيره فى الاحتفال بيـوم مـيلاده ﷺ ووجـه استدلالهم بهذا الحديث أن النبى ﷺ قد سئل عن حكم صيام النفل، فبين النبى ﷺ ما يجوز منه وما لا يجوز فيما عدا السؤال الذى سأل عن حكم صيام يوم الاثنين.

والسؤال عن الحكم إجابته واضحة للرجل العادى فضلا عن أن يكون المسئول عـن ذلك نبى مرسل.

والأحكام معروفة هى الوجوب، والندب، والحرمة، والكراهة، والإباحة.

والنبى ﷺ لم يجب بواحد من هذه الأحكام لا تصريحا ولا تلميحا، وإنما عـدل عـن ذلك إلى ذكر علة الصيام وحكمته فى يوم الاثنين.

والإجابة بتعليل الحكم فيها ذكر الحكم والاستدلال عليه بما يقطع كل محجة تنـاهض هذا الحكم أو تمارى فيه.

فماذا قال رسول الله ﷺ فى جواب السائل ؟ إنه قال: ذاك يوم ولدت فيه، وأوحى إلى فيه.

والذى يفهم من هذه الإجابة أن هذا اليوم الذى ولد فيه ﷺ يجوز تخصيصه بالعبـادة لهذه العلة فى كل مناسبة يأتى فيها هذا اليوم، فهو يأتى على مدار الأسبوع مرة فى كـل دورة، وهو يأتى على مدار العام مرة فى كل دورة، والناس يحتفلون به فى جميع دوراته، وهو يأتى على أساس مما ذكر القرآن الكريم من أنها نعمة وقعت فى يوم مـن أيـام الله، وقد ذكرهم النبى ﷺ به، وبين لهم سبب الاحتفاء به.

وبيان النبى ﷺ على هذا النحو فوق كل مراء، ودونه كل جدل.

قد يقول قائل: إذا نلتزم بهيئة الاحتفال لا نعدوها، فلا يكون الاحتفـال إلا بالصـيام، ويبطل الاحتفال بغيره من أنواع العبادات.

وهذا القول فيه شيء من الحكم، ذلك أن أعيادنا ومواسمنا فى العبادات على نوعين.

نوع قد حدد الله فيه كيفية العبادة وشكل الاحتفال وبين أنه لا يجوز أن يتعدى الناس هذا الشكل، كما لا يجوز أن يتجاوزوا هذه الهيئة.

والمثل الذى يوضع ذلك هو موسم الحج وهو عبادة تقع فى أيام معينة على هيئة مخصوصة، يرفض الشرع أن تتغير أو تتبدل، وقد تمثل هذا الرفض فى قوله ﷺ: " خذوا عنى مناسككم ".

وهناك نوع آخر من الأعياد والمواسم لم يحدد الشرع فيه كيفية الاحتفاء، ولا شكل الأداء المعبر عن السرور بالنعمة.

وفى هذا النوع يسمح للمسلمين أن يدخلوا على القربات نوعا من الأشياء التى تضفى عليهم من البهجة حتى تتقوى الروح على العبادة وتأنس بالقربات.

والمثل الذى يوضح ذلك ما حدث فى يوم من أيام أعياد المسلمين، جاءت فيه المغنيات إلى بيت عائشة وغنين بأشعار يوم بعاث ففهم أبو بكر أن هذه مزمارة ممقوتة وهى أشد مقتا إذا كانت فى بيت رسول الله ﷺ فقال لابنته وللمغنيات مستنكرا: " أمزمارة الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ ؟ " وكان النبى ﷺ فى فراشه متجا بردائه محولا وجهه، فالتفت إلى أبى بكر وأمره أن يترك المغنيتين على ما هما فيه معللا ذلك بقوله: " إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا ".

ومثل آخر على جانب من الوضوح لا ينكر فى حادثين منفصلين يجمعهما لعب الاحباش فى مسجد رسول الله ﷺ بالحراب، وحين تطلعت أم المؤمنين عائشة لرؤية هذا النوع من اللعب سترها النبى ﷺ بردائه إلا عينها فرأت وتأملت حتى سئمت وملت، فقال لها النبى ﷺ حسبك ؟ قالت: نعم، فانصرفت.

ولما أراد عمر أن يقذف هؤلاء اللاعبين من الحبشة بالحصى لاستنكاره أن يمارسوا ألعابهم فى المسجد فى يوم عيد المسلمين، أمره النبى ﷺ أن لا يفعل.

هما نوعان إذا من أنواع الهيئات التى يمكن أن يقوم المسلمون بهما فى المناسبات الموسمية.

والاحتفال بمولد النبى ﷺ لا يخضع لهيئة شرعية بعينها، فيجوز أن تختلط فيه القربات بالعادات الاجتماعية غير المحرمة على نحو ما يحدث فى العيدين: الفطر والأضحى دون حرج أو إثم.

٣ – وبعد أن حدثناك عن شواهد القرآن يحسن أن نُذكر لك ..

ومن مرويات السنة وفيها شاهد على الاحتفال بمولده ﷺ ما رواه البيهقى عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ عَقَّ عن نفسه بعد النبوة.

وتوجيه هذا الدليل يستلزم أن ننبه إلى أمرين:

أحدهما: أنه من الثابت تاريخيًا أن جد النبى ﷺ قد عق عنه يوم السابع من ولادته، إذ العقيقة تكون على الأب المباشر أو على من هو أعلى منه.

ثانيهما: أنه من الثابت دينيًا أن العقيقة لا تلزم المولود لا فى صباه تخرج من ماله، ولا بعد بلوغه يكلف بها.

إذا علمت ذلك فإنه ليس هناك من تفسير لفعل النبى ﷺ من قيامه بالذبح فى يوم مولده، إلا أن يكون احتفاءً بهذا اليوم وشكرًا للنعمة، إذ النبوة تكون منةً من الله علينا وعليه فى وقت واحد، ويكون ميلاده الذى هو تقدمة لهذه النبوة وتوطئة لها منة يمتن الله بها عليه كما يمتن بها علينا.

والقول عام كما نعلم فى كل تكليف يكلفنا الله به فإنه يشملنا ويشمل النبى ﷺ من غير استثناء، إلا أن يكون هناك نوع من التكليف يختص به النبى ﷺ دوننا.

فأنت ترانا نشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمدًا رسول الله، وكذلك هو.

وأنت ترانا وقد أمرنا بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وكذلك هو.

وإذا اضطرد هذا الأصل (وهو مضطرد قطعًا) فإنه بالإمكان أن نقول: إن النبى ﷺ قد ذكر يوم نعمة مولده، كما نذكره نحن، فشكر ربه بقربان الذبح شكرا لهذه النعمة، وعلينا أن نشكر ربنا حين نذكر يوم نعمة مولده بكل ما يجوز من أنواع القربات.

ومن الأشياء التى تروى فى كتب السنة والسير أن النبى ﷺ جاء إلى المدينة مهاجرا، فلما أقبل شهر المحرم وجد اليهود يصومون اليوم العاشر منه، فلما سألهم عن سبب صيامه، قالوا له: إنه يوم من أيام الله أمرنا أن نذكره، حيث نجانا الله ونجا موسى فيه من

فرعون وقومه، فقال النبى معلقا: " نحن أولى بموسى منهم " وصامه وأمر الناس بصيامه.

ومما يستأنس به فى هذا المجال ما ذكره شيخ القراء الحافظ بن الجزرى رحمه الله تعالى من أنه: قد رئى أبو لهب بعد موته فى النوم فقيل له: ما حالك ؟ فقال: فى النار إلا أنه يخفف عنى كل ليلة اثنين وأمص من بين إصبعى هاتين ماءً بقدر هذا ــ وأمشار لرأسى إصبعيه ــ وإن ذلك بإعتاقى لثويبة عندما بشرتنى بولادة محمد ﷺ وبإرضاعها له.

ثم قال الشيخ معلقا: فإذا كان أبو لهب الكافر الذى نزل القرآن بذَمِّهِ جوزى فى النار لفرحه ليلة مولد محمد ﷺ، فما حال المسلم الموحد من أمة محمد ﷺ ببشره بمولده، وبذل ما تصل إليه قدرته فى محبته ؟ لعمرى إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنة النعيم.

وما ذكره الشيخ ابن الجزرى فى تعليقاته تلك، ذكر نحوه الشيخ الحافظ شمس الدين محمد ابن ناصر الدين الدمشقى رحمه الله تعالى ثم أنشد يقول:

إِذَا كَانَ هَـذَا كَافِرًا جَاءَ ذَمُّـهُ   وَتَبَّتْ يَدَاهُ فِى الْجَحِيمِ مُخَلَّدَا
أَتَـى أَنَّـهُ فِى يَوْمِ الاثْنَيْنِ دَائِمًا   يُخَفَّفُ عَنْهُ بِالسُّرُورِ بِأَحْمَدَا
فَمَا الظَّنُّ بِالْعَبْدِ الَّذِى كَانَ عُمْرُهُ   بِأَحْمَدَ مَسْرُورًا وَمَاتَ مُوَحِّدَا

واستنادا إلى ما ذكرناه نقول: إن الاحتفال بالمولد النبوى الشريف فيه ذكر ليوم من أيام الله، هذا اليوم قد احتوى نعمة من أَجَلِّ نعم الله على عباده، وهى ميلاد النبى ﷺ أولاً، ثم إرساله إلى الناس كافةً فيه بعد ذلك.

وذكر هذا اليوم وشكر النعمة فيه بكل أساليب الشكر المشروعة أمر مندوب إليه، ونكرانه جحود لا يليق أن يصدر من آحاد أمة محمد ﷺ ولا من مجموعهم.

فتأمل.

آرَاءُ صَدَرَتْ عَنْ عُلَمَاءَ:

هكذا أقد أنجزنا لك ما وعدناك به من أننا لن نصدر حكمنا فى هذه القضية إلا وبين يديك حيثياته، ولن نطلق الفتوى هكذا مرسلة ولكن بعد أن نذكر الأدلة التى تؤدى إليها، ولن نقول رأينا هكذا فجًّا وإنما نقدم له بالمقدمات التى تؤدى لا محالة إلى نتائجها.

وبعد أن حققنا لك ما وعدناك نعود فنذكر لك آراءَ بعض جهابذة العلماء، ولا نستقصي، فإن المثال يغني دائمًا عن الاستقصاء وطول المقال.

رَأْيُ السُّيُوطِيِّ وَابْنِ حَجَرٍ وَالسَّخَاوِيِّ:

ولنبدؤك بهذه الكوكبة من العلماء يمثلهم هؤلاء الثلاثة في إجمال مجمل:

قالوا: [إن من أحسن ما ابتدع وإن لم يفعله أحد من السلف في القرون الثلاثة ما جرت به العادة من العناية بأمر المولد النبوي الشريف ليلته أو يومه، بحيث يقع الاجتماع وإظهار الفرح وإطعام الطعام والإحسان للفقراء وقراءة القرآن والذكر وإنشاد القصائد النبوية والصلاة والسلام عليه ﷺ وقراءة قصة المولد، وما اشتمل أي المولد عليه من كراماته ومعجزاته عليه الصلاة والسلام] (١).

وهؤلاء الثلاثة وغيرهم من جماهير العلماء الذين وافقوهم على ما ذهبوا إليه يعتمدون على أن هذه الاحتفالات وإن كانت بدعة مستحدثة، إلا أنها ليست بدعة مذمومة على أساس أن البدعة كما قال العز بن عبد السلام يعتريها ما في الفقه الإسلامي من أحكام (٢).

وقد تناول هؤلاء ما جاء في الحديث النبوي الشريف من العموم في قوله ﷺ: " إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة " فقالوا: إن العموم هنا ليس على إطلاقه، إنما هو عموم في بابه على معنى أنه حديث عن البدعة التي تخالف نصا شرعيا، أو إجماعا معتبرا، أو قياسا استوفى أركانه، كما نص على ذلك الفقهاء الأوائل وأصحاب المذاهب ورءوسها ومن أوائلهم محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه .

روى البيهقي في كتابه المشهور - مناقب الشافعي - عنه أنه قال: [المحدثات في الأمور ضربان: أحدهما: ما أحدث مما خالف كتابا أو سنة أو أثرا أو أجماعا فهذه البدعة الضلالة، ثانيهما: ما أحدث من الخير وهذه محدثة غير مذمومة] .

رَأْيُ الْعَلَّامَةِ أَبِي زُرْعَةَ بنِ الْعِرَاقِي:

---

(١) انظر سعادة الدارين في الرد على الفرقتين - للشيخ إبراهيم السمنودي - ط مطبعة جريدة الإسلام بمصر ١٣١٩هـ جـ ٢ ص ٧٧ وما بعدها.

(٢) السابق.

وقد سئل العلامة أبو زرعة بن العراقى عن فعل المولد أمستحب أو مكروه ؟ فقال: إطعام الطعام مستحب فى كل وقت، فكيف إذا انضم لذلك السرور بظهور نور النبوة فى هذا الشهر الشريف، ولا نعلم ذلك عن السلف، ولا يلزم من كونه بدعة كونه مكروها، فكم من بدعة مستحبة بل واجبة ؟!

رَأْيُ الشَّيْخِ عَلِيٍّ مَالِكِي فِيمَا ذَكَرَهُ عَنِ الأَحْنَافِ:

أما الشيخ على مالكى مفتى الحرمين الشريفين فى عصره فقد نقل فى آخر كتابه – الصارم المبيد – عن بعض علماء الأحناف: [أن الاحتفال بالمولد مستحب لأن الله تعالى يقول لنبيه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) والرحمة هى من أعظم النعم.

وقد ورد الأمر بالتحدث بالنعم الفائضة عليه ﷺ بالبيانات التفصيلية، بحيث يظهر أنه نعمة عظمى فائقة على نعم العالمين.

كما يجب علينا التحدث بالنعم الفائقة علينا بواسطته ﷺ، وحيث علم ذلك الواجب فعلى الواعظ التالى لقصة مولده ﷺ، الذى هو سبب وصول النعمة العظمى إلينا، أن يبين أولاً الفضائل المذكورة تفصيلا، بحيث يجعلها توطئة لولادة النبى ﷺ ووصوله الينا، ثم يبين تفصيلا فضائل الولادة والوصول إلينا.

وذكر وجوها كثيرة تثبت أن الاحتفال بمولده ﷺ لا سيما فى هذا الزمان مستحب ولا ينبغى تركه] [1].

رَأْيُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ:

ذكر الشيخ أحمد بن تيمية رأيه فى هذه المسألة فى بعض كتبه منها: " اقتضاء الصراط المستقيم " فبعد أن ذكر أن محبة النبى ﷺ فى اتباعه والتزام هديه وأطال فى ذلك قال: [فتعظيم المولد واتخاذه موسما قد يفعله بعض الناس، ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله ﷺ كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد، ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء إنه أنفق على مصحف ألف

---

(١) انظر (الاحتفال بذكر النعم واجب) رسالة كتبها السيد حامد المحضار – المقدمة التى كتبها الشيخ محمد أحمد الخزرجى وزير الأوقاف والشئون الإسلامية ولجنة التراث بدولة الإمارات – ط دار النصر – القاهرة بدون ص ٦ وما بعدها.

دينار ونحو ذلك فقال: دعه فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب أو كما قال، مع أن مذهبه أن زخرفة المصحف مكروهة] [١].

مَوْقِفٌ بِإِيجَازٍ:

وبعد ما ذكرناه من آراء ومواقف للعلماء على طولها، نحب الآن أن نذكر بعض المواقف على عجل، ومن أراد أن يقف عليها فليطالعها فى أماكنها.

أ ــ المالكية:

ومنهم الإمام أبو الخطاب عمر بن الحسن بن على البلنسى المغربى المعروف بابن دحية، له فى جواز الاحتفال بالمولد النبوى كتابان كاملان أحدهما بعنوان: (السراج المنير فى مولد البشير النذير) وثانيهما بعنوان (التنوير فى مولد السراج المنير).

ومن المالكية أحمد بن محمد العزفى (القاضى) وله فى المولد النبوى كتاب يسمى (الدر المنظم بمولد النبى الأعظم).

وقد مات قبل إتمامه فأتمه من بعده ولده محمد بن أحمد اللخمى.

ومن فقهاء المالكية الشيخ ابن عبادة القدورى وهو من مشايخ الشيخ رزوق، وهذا الشيخ له فتوى بجواز الاحتفال بالمولد النبوى ضمن (رسائله الكبرى) والشيخ أبو محمد عبد الواحد بن على المشهور بابن عاشر – صاحب المرشد المعين – وكان من كبار الصالحين، وعنده أن الاحتفال بالمولد النبوى من القربات.

... وغير ذلك من فقهاء المالكية كثير.

ب ــ ومن الذين أفتوا بجواز الاحتفال بالمولد النبوى من الشافعية:

الإمام الشيخ أبو شامة وهو شيخ الإمام يحيى بن شرف النووى، والإمام يحيى ابن شرف النووى، والإمام تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى، والإمام القاضى عبد الوهاب بن على السبكى صاحب طبقات الشافعية، والإمام عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير (هو تلميذ ابن تيمية) وهو صاحب التفسير المشهور والبداية والنهاية،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم – ابن تيمية بتحقيق محمد حامد الفقى – الطبعة الثانية بدون تاريخ – مكتبة السنة المحمدية.

وقد بلغ به إيمانه بجواز الاحتفال بالمولد أن ألف مولدا [1] لطيفا مستفيدا فيه من مولد ابن دحية، وقد نظم مولد ابن كثير العلامة الشيخ محمد بن حفيظ العلوى الحسينى، وقد جـــاء فيه بعد المقدمة:

وبعد هذا ذكر بعض ما ورد — فى مولد المختار مما يعتقد
مـــن الأحاديـــث أو الآثـــار — ممـــا رواه ســـادة الأخبار
وكلـــها عن كتبـــهم منقولة — وهى لدى حفاظهم مقبولة
كما أتى فى مولد النحريـــر — ابن كثير صاحب التفسير

ومن علماء الشافعية الحافظ العراقى المحدث المشهور، وقد ألف العراقى مولدا أسماه (الْمَوْرِدُ الْهَنِيُّ فِى الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ) يقرأ فى مناسبات المولد من كل عام.

ومنهم الإمام ابن حجر العسقلانى وله كلام طويل فى إجازة المولد والاحتفـــال بـــه، باعتباره نعمة وقعت فى يوم من أيام الله، وقد خرج هذا الرأى له على أصول كثيرة مـــن السنة النبوية المطهرة، فتأمل رأيه فى مظانه إن شئت.

ج – ومن علماء المذهب الحنبلى وهم كثيرون غير ابن تيمية الذى ذكرناه من قبل:

الإمام أبو الفرج بن الجوزى ورأيه معروف مشهور، وله مولد مكتوب يقرأ فى هـــذه المناسبة يسمى (مولد العروس).

والإمام ابن رجب الحنبلى والبرزلى وغيرهم من محدثى الحنابلة فى القـــرن الثـــامن الهجرى.

د – ومن الحنفية علماء كثيرون نكتفى بذكر الشيخ المُلاَّ على القارىء بن سلطان ابن محمد الهروى الحنفى.

هذا وقد وضعنا بين يديك صورة توضح هذه الجمهرة الكثيرة مـــن علمـــاء الأمـــة، والذين لهم مكانتهم فى العلم، وبينا رأيهم وفتواهم فى المولد النبوى والاحتفال به، وتقـــديم القربات فيه، وهو رأى لم يخالف فيه إلا عدد يسير من الناس قد لا تعرف دوافعهم إلـــى هذه المخالفة.

---

(١) حقق المولد الذى كتبه ابن كثير وقدم له العلامة الشيخ محمد الحسن المالكى، وطبع فى المطبعة العصرية بحلب فى شوال عام ١٣٨٧هـ .

والله يهدينا وإياهم إلى سواء السبيل.

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وقع الفراغ من إملاء هذا البحث فى الساعة الثانية عشرة والنصف لتسع وعشـــرين خلون من شهر صفر لعام ١٤٢٥هـ - الموافق التاسع عشر من شهر أبريل لسنة ٢٠٠٤م.

نفع الله به ممليه وكاتبه وكل من بذل فيه جهدا وقارئه المنتفع به آمـــين والحمـــد لله رب العالمين.

أملاه طه بن الدسوقى بن مهدى بن بدوى بن حبيشى الحسينى غفر الله له.

آميـــن

الفهرس

ثَانِيِ الْفِهْرِسُ

تابع الفهرس

بَابُ الْفِهْرِس

الموضوع — الصفحة

وَصَفَّـــهُ على الكمبيوتر / أبو عائش مجدى عبد الرحمن
مكتب الزهراء

رقم الايداع
٢٠٠٤/٨٣٧٥